المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

رِبَاطُ العلماءِ وجهادُهم في الثُّغور الشاميَّة ضدَّ الرُّوم زمن الخليفةِ العباسي هَارُون الرَّشِيد _رحمهُ اللَّه_

"١٧٠هـ_١٩٣هـ/٧٨٥م_٨٠٩م"

بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالبة:

عائشة بنت عثمان بن معلم يوسف العباسي

الرقم الجامعي: (٤٣٠٨٠٣٠١)

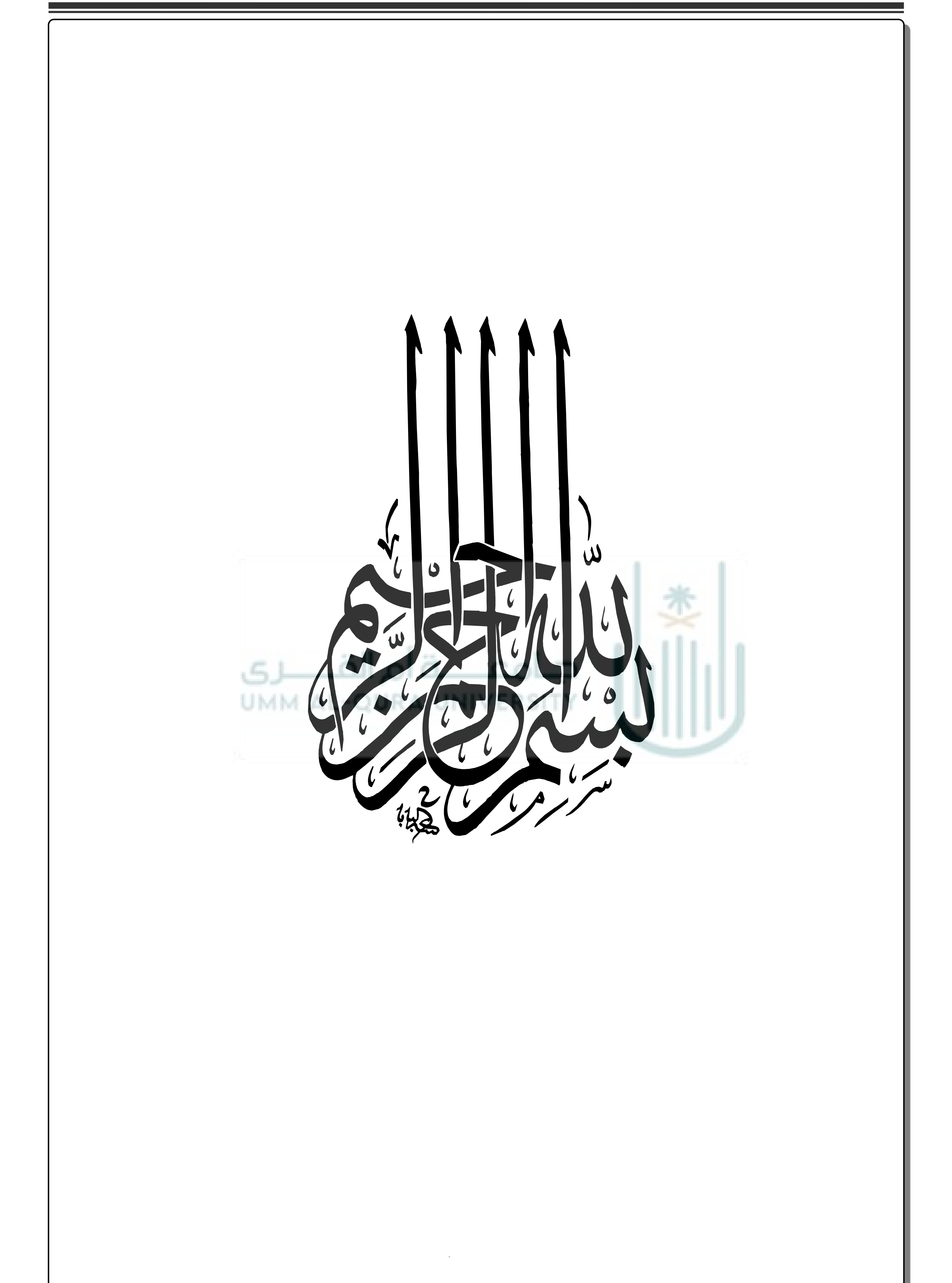
إشراف:

أ. د/ علي بن محمّد عودة الغامدي.

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

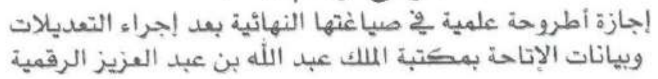
١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (١٩)



إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات
وبيانات الإتاحة بمكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية



بيانات الطالب

Name	Aisha Osman Muallim Yusuf Al_Abbasi	عائشة بنت عثمان بن معلم يوسف العبّاسي	الاسم
University ID	43080301	٤٣٠٨٠٣٠١	الرقم الجامعي
College	Shari'ah 'Islamic Law and Islamic Studies	الشريعة والدراسات الإسلامية	الكلية
Department	History and Islamic Civilization	التاريخ والحضارة الإسلامية	القسم
Academic Degree	Master's / year 2017	١٤٣٨هـ / السنة / الماجستير	الدرجة العلمية
E-mail			البريد الالكتروني

بيانات الأطروحة (الرسالة) العلمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة العلمية، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٧ / ٧ / ١٤٣٨هـ، بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صياغتها النهائية المرفقة، كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه. والله الموفق.

عنوان الأطروحة كاملاً	(رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الرومِ زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_ ١٧٠هـ_١٩٣هـ/٧٨٥م_٨٠٩م)

أعضاء اللجنة

المشرف على الرسالة	الاسم	أ.د. علي بن محمّد عودة الغامدي	التوقيع
المشرف المساعد (إن وجد)	الاسم		التوقيع
المناقش الأول	الاسم	أ.د. طلال بن جميل الرفاعي	التوقيع
المناقش الثاني	الاسم	د. مسفر بن سالم الغامدي	التوقيع
المناقش الخارجي (إن وجد)	الاسم		التوقيع
مصادقة رئيس القسم	الاسم	د. إبراهيم بن عطيّة الله السّلمي	التوقيع

إتاحة الأطروحة (الرسالة) العلمية

بناء على التنسيق المشترك بين عمادة الدراسات العليا و عمادة شؤون المكتبات، بإتاحة الرسالة العلمية للمكتبة الرقمية، فإن للطالب الحق في التأشير (✓) على أحد الخيارات التالية :

- ☑ **لا أوافق** على إتاحة الرسالة كاملة في المكتبة الرقمية، وأعلم أن للمكتبة الحق في استخدام عملي أو إتاحته في إطار الاستخدام المشروع الذي يسمح به نظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية.
- ○ **أوافق** على اتاحة الرسالة في المكتبة الرقمية، وتصوير الرسالة كاملة بدون مقابل.

يعبأ النموذج باستخدام الحاسب الآلي، ويوضع أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة (الرسالة) العلمية في كل نسخة من الرسالة

ملخص الرسالة.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..

فهذا بحثٌ مقدَّمٌ لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، وعنوانه: (**رِبَاطُ العلماءِ وجِهادُهم في الثُّغُور الشّاميّة ضدّ الروم زمن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد –رحمه الله– ١٧٠هـ_١٩٣هـ/٧٨٥م_٨٠٩م**)، وحاول استقراء مسارات هذا الجهاد وشواهده ودلالاته بالدرس والتحليل. وجاء هذا البحث في أربعة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة وملاحق وثبتٌ بالمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

أما التمهيد ففيه: تعريفٌ بمعنى الرِّباط والجهاد، ومعنى الثغور والعواصم والفرق بينهما، ثمّ لمحة جغرافية عن منطقة الثغور الشامية.

_ **الفصل الأول: عناية الخليفة هارون الرشيد بتحصين الثغور الشامية**: عرضتُ فيه أولًا لملامح العلاقة بين الدولة العباسية والروم قُبيل عهد الرشيد، ثمّ شكل العلاقة خلال خلافته، ثمّ مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية من خلال بناء المدن الثغرية وتحصيناتها الدفاعية واختيار ولاتها.

_ **الفصل الثاني: الخصائص المؤثرة في الفكر الجهاديّ لدى العلماء**. وتحدد البحث حول الفقهاء والمحدثين المرابطين والمجاهدين بالثغور الشامية، وجملة الخصائص الاجتماعية والدينية والفكرية التي أثّرت في فكرهم الجهاديّ.

_ **الفصل الثالث: دور العلماء في المرابطة والجهاد بالثغور الشامية**. استعرضتُ فيه طبيعة العلاقة بين علماء الثغور والسلطة السياسية. ثمّ بيّنتُ دور العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم من خلال موقعهم في الجيش العبّاسيّ، وسُبل النفير والاستعداد للحرب، ومشاركاتهم المباشرة في ميادين المعارك.

_ **الفصل الرابع: دور العلماء في الجهاد الفكريّ بالثغور**. ويتجلّى في إسهامهم في تبادل الأسرى والمشاورات، وتأصيلهم للفكر الجهادي من خلال المصنّفات، وأثرهم على حياة المجاهدين بالثغور. كما قدّمتُ قراءة تاريخية لرسالة أبي الربيع مُحَمّد بن الليث التي بعث بها الخليفة هارون الرشيد إلى الامبراطور البيزنطيّ قسطنطين السادس. واستعرضتُ دور المرأة الجهاديّ بالثغور.

واشتملت الخاتمة على نتائج الدراسة وأهمها: أن علاقة المسلمين بالروم كانت عدائية في خلافة الرشيد إلا ما تخللها من سنوات الهدنة وتبادل الأسرى، وأن دور العلماء كان محوريًا في الثغور الشامية رباطًا وجهادًا وتعليمًا وتصنيفًا ومشورة، وانفردت هذه الدراسة بتحليل معركة القُفل سندًا ومتنًا والتي أظهرت صورة التكامل الجهاديّ بين الخليفة والعلماء والقادة. **والحمد لله رب العالمين**.

الطالبة/	**المشرف/**
عائشة بنت عثمان معلم يوسف العباسي.	أ.د. علي بن مُحَمّد عودة الغامدي.

Abstract

Praise be to Allah, prayer and peace be upon His messenger.

This is a thesis presented to achieve the Master's degree in History and Islamic Civilization. The title of it is: Scholars' Stationing and Jihad in the Levantine borders against the Romans in the time of the Abbasid Caliph Harun Al-Rashid (170-193 Hijri 785-809 A.D) which tries to extrapolate the indications, markers and results of this Jihad. This thesis includes four chapters preceded by a preface, an introduction and followed by a conclusion and an appendix.

The preface gives an explanation of the meanings of stationing, Jihad, borders, capitals and the differences between them. Following that is a geographical study of the Levantine Borders.

First Chapter: Harun Al-Rashid 's Care of Fortifying the Levantine Borders:

In this chapter, I show the relationship between the Abbasid Empire and the Romans before Al-Rashid 's era, the form of that relationship during his succession and the indications of Al-Rashid's protection of the Levantine borders by building border cities, defensive fortresses and selecting their rulers.

Second Chapter: The Influencing Elements of the Jihadist Ideology of the Scholars:

I research, in this chapter, the stationed scholars and narrators who were fighting on the Levantine borders as well as the social, religious, and intellectual factors that influenced their Jihadist ideologies.

Third Chapter: Scholars' Role in Stationing and Jihad on the Levantine Borders:

This chapter includes the nature of the relationship between border scholars and the political authority. The role of the scholars in military operations against the Romans through their position in the Abbasid army, the different tactics for preparation then deployment and their direct participation in combat is also an essential part of this chapter.

Fourth Chapter: Scholars' Role in the Intellectual Jihad on the Levantine borders:

This is evident in their contribution to the exchange of prisoners, consultations, and rooting the jihadist ideology through their books and their impact on the lives of border troops. I also provide a historical reading of the message of Abu Alrabie, Mohammed Bin Laith, sent by Caliph Harun Al-Rashid to the Byzantine Emperor Constantine VI. Furthermore, I review the role of female Jihadists on those borders.

The Conclusion includes the results of the study:

Most Importantly that the relationship between Muslims and Romans was hostile in Al-Rashid's era except some years of truce and exchange of prisoners. And that the role of Scholars was pivotal in the Levantine borders whether stationing, fighting, teaching, classifying and advising. This study is made unique by its analysis of the battle of the lock, its historians and events which exemplified the Jihadist integration between the Caliph, scholars and leaders.

Student's name:	***Advisor:***
Aisha Othman Alabbasi	*Prof. Ali Mohammad Awdah Alghamdi*

مقدمة

الحمد لله الذي قصُر عن حمده الحامدون، وأمِل في عفوه المقصّرون. الحمد لله الذي علّمني ما لم أكن أعلم وكان فضلُ الله عليَّ عظيما. والصلاة والسلام على سيّد العلماء وإمام المجاهدين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ ما كبّرَ مؤمنٌ وعجّ قانِت.

وبعد..

فقد مرّت الأمة الإسلامية خلال تاريخها بمراحل مختلفةٍ من التوثب والركود، كانَ العلماءُ عنصرًا أساسيًا في تكوينها؛ قيامًا بواجبهم أو غفلةً عنه. ووصلت الأمة أوج ازدهارها إبان عهد الخليفة العبّاسيّ الخامس هارون الرشيد _رحمه الله_، وأضحت الدولة العبّاسيةُ الدولةَ الكبرى في العالم آنذاك، وبلغت أحوالها الفكرية والسياسية والاجتماعية والعسكرية شأوًا بعيدًا من الخصب والثراء، ومثّل العلماء باختصاصاتهم المتعددة رُكنًا جوهريًا وحاسمًا في توجيه السير التاريخيّ لهذه الفترة.

وكان الجهاد في سبيل الله من أبرز سِمات خلافة الرشيد الذي تولّى قيادة الصوائف أيام أبيه المهديّ، وأظهر بعد توليه الخلافة نشاطًا متميزًا وعناية فائقة بالغزو والثغور. واتّسقت أدوار مكوّنات المجتمع المسلم في تطبيقات الجهاد، إلا أنّ علماء الشريعة الإسلامية من فقهاء ومحدّثين أسهموا في تأصيل وتحقيق هذه التطبيقات رباطًا، وجهادًا، وتربيةً، وتعليما باعتبارهم القوة الروحية والفكرية المؤثرة في الأمة.

من أجل ذلك، رُمتُ في هذه الدراسة استقراء دور العلماء في حركة الجهاد الإسلامي وقراءة دلالاته التاريخية تحت عنوان: (**رِبَاطُ العلماءِ وجِهادُهم في الثُّغُور الشّاميّة ضدّ الروم زمن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد -رحمه الله- ١٧٠هـ_١٩٣هـ/ ٧٨٥م_٨٠٩م**). وتنبع أهمية هذا الموضوع من نواحٍ عدّة، أبرزها ما يلي:

أولًا: الوقوف على المنظومة العامّة التي خرج منها العلماء المجاهدون والذين يعدّون من أبرز قادة الفكر الإسلامي في القرن الثاني الهجري؛ كأبي إسحاق الفَزَاري وعبد الله بن المبارك ومخلد بن الحسين وعليّ بن بكّار ويوسف بن أسباط وجماعة سواهم، وهي امتداد للمنظومة التي رفع رايتها سيد المجاهدين صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: إن تتبع إسهام العلماء في الجهاد بالثغور الشامية فكريًا وعسكريًا يدلّ على إدراكهم الحقيقيّ لمعنى الجهاد، كما يعطينا صورة لطبيعة الحرب التي دارت في الثغور الشامية بين المسلمين والروم، والدور الكبير الذي نهض به العلماء المجاهدون والمتطوعون جنبًا إلى جنب مع جيوش الخلافة العباسية، وتكامل دورهم مع دور الخليفةِ الرشيد يُشير إلى الوعي الديني الراسخ لدى الساسة، وهو كذلك وجهٌ من وجوهِ ارتباطِ الكلِّ بالعقيدة الإسلامية كمحركٍ أساسيّ للحياة.

ثالثًا: تقدِّم تفاصيل رباط العلماء وجهادهم خلال ثلاثٍ وعشرين عامًا _هي مدة خلافة الرشيد_؛ رؤية حول طبيعة العلاقة التي ربطت هؤلاء العلماء بالسلطة السياسية من جهة، والدولة العباسية بالدولة البيزنطية من جهة أخرى.

رابعًا: لم يكن جهاد الثغور في عهد الرشيد محصورًا على النشاط العسكريّ فحسب؛ بل سار إلى جانبه وعلى خطّ موازٍ تمامًا نشاطٌ دينيٌّ وفكريٌّ حرص العلماء فيه على التعليم والتصنيف، وهدف الخليفة من خلاله إلى إقامة الحجة على الدولة البيزنطية عقديًا.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت خلافة الرشيد والنشاط العلميّ فيها بالبحث وتنوّع مشاربها، ومع أن ثلةً من الباحثين صنّفوا باقتدار في الثغور الإسلامية عسكريًا وحضاريًا؛ **إلا أنني لم أقف -حسب علمي- على دراسةٍ أفردت رباط العلماء وجهادهم بمعالجةٍ مستقلة**، وكان اهتمام بعض هذه الدراسات منصبًا على علاقة العلماء بالخلفاء **كدراسة أحمد إسماعيل الجبوري** بعنوان: (**علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول**)، فيما ورد

طرفٌ من أخبار جهاد العلماء ضمن دراسات متعلّقة بشخصيات بعض العلماء **كدراسة محمد عثمان جمال** التي جاءت بعنوان: **(عبد الله بن المبارك الإمام القدوة).**

واختصّ **المعيار الجغرافيّ** لهذه الدراسة بالثغور الشامية الشمالية الغربية على الحدود البيزنطية؛ لأنها كانت عبّاسيةً بامتياز، إذ اعتنى خلفاءُ بني العباس ببنائها وتحصينها أكثر من اهتمام غيرهم بها، و مثّلت مدنها في عهد الرشيد قواعد متقدّمة لتنظيم وانطلاق الحملات العسكرية ضد الروم، فيما اعتبرت الثغور الجزْرية دفاعيةً بالمقام الأول.

وجاءت **مصادر هذه الدراسة** متنوّعة بحسب ما يتطلّبه الدرس التاريخيّ في أدوار العلماء، ومن أهمها كتب التاريخ العام وكتب التراجم والرجال والطّبقات، وتواريخ المدن وكتب البلدان، وكتب التفسير والحديث، وكتب الأدب ومعاجم اللغة، إضافة إلى جملة من المراجع الحديثة من كتب عربية ومُعرّبة، ورسائل علمية، وأبحاث الدوريات المحكّمة، ونتائج المؤتمرات والندوات ذات الصلة. واعتمدتُ –بعد عون الله تعالى- **على المنهج الموضوعيّ الاستقرائي التحليليّ**، القائم على استعراض الحوادث والشواهد من مصادرها، ومحاولة استنطاقها داخل سياقها الزمنيّ وتحليل أبعادها واستنباط نتائجها.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تنتظم مباحثها في فصولٍ أربعة تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة تُجمل ما توصّل إليه البحث من نتائج، وهي على النحو التالي:

مقدمة، وفيها موضوع الدراسة وأهميّته ومنهج معالجته وهيكلةُ بحثه.

تمهيد، وفيه إيضاحٌ لمفهوم الجهاد والرِّباط، وبيان لمعنى الثغور والفرق بينه وبين العواصم، ثمّ لمحة جغرافيةٌ عن منطقة الثغور الشامية.

الفصل الأول: عناية الخليفة هارون الرشيد بتحصين الثغور الشامية. واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة المسلمين بالروم قُبيل خلافة الرشيد. وفيه نظرةٌ سريعةٌ على انعطافاتها منذ قيام الدولة العباسية، ودور الرشيد فيها أيام أبيه المهديّ.

المبحث الثاني: ملامح علاقة العباسيين بالروم خلال خلافة الرشيد. واستعرضتُ فيه تفاصيل العلاقة التي ربطت بين الرشيد ومعاصريه من أباطرة الروم، وتجسيدها لحالة القوة التي كانت عليها الدولة العباسية، وموقف الدولة البيزنطية أمام الضغط الإسلاميّ.

المبحث الثالث: مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية والتي تجلّت في بناء المدن الثغرية وتحصيناتها الدفاعية واختيار ولاتها.

الفصل الثاني: الخصائص المؤثرة في الفكر الجهاديّ لدى العلماء. واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الخصائص الاجتماعية. وناقشت فيه ما اتّصل بحياة العلماء المجاهدين وأُسَرِهم، والمُدن التي نشأوا فيها، وطبيعة المجتمع الذي أخرج هؤلاء العلماء وأثره في توجيه سلوكهم.

المبحث الثاني: الخصائص الدينية. واستعرضتُ فيه ما ميّز العلماء المجاهدين من سلامة العقيدة ووضوح مفهوم الجهاد، ومكانتهم كأعلامٍ لأهل السنة والجماعة في القرن الثاني الهجريّ الذي ماجَ بعديد الفرق والمذاهب.

المبحث الثالث: الخصائص الفكرية. واستعرضتُ فيه سِمات الازدهار الفكري للعصر الذي عاش فيه العلماء باعتباره أزهى عصور الحضارة الإسلامية، وأثره عليهم من خلال حرصهم على طلب العلم ورحلتهم فيه وتعدد شيوخهم وتنوّع العلوم التي نبغوا فيها.

الفصل الثالث: دور العلماء في المرابطة والجهاد بالثغور الشامية. وضمّ مبحثين:

المبحث الأول: علاقة علماء الثغور بالسلطة السياسية. وهي علاقة مبنية على معرفة القدر واحترام المسلك من الطرفين.

المبحث الثاني: دور العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم، وفيه عرضٌ لموقع العلماء المجاهدين في الجيش العباسي، وإيضاحٌ لسُبل النفير والاستعداد للحرب، وتفصيلٌ لمشاركات العلماء المباشرة في النشاط العسكريّ.

وقدّمتُ في هذا المبحث قراءة تاريخية لمعركة القُفْل التي انفرد بإيرادها ابن العديم في بغية الطلب نقلًا عن كتاب مفقود اسمه (كتاب النسب) للأمير أبي موسى هارون بن محمد بن إسحاق العبّاسيّ الهاشميّ. ولنفاسة النصّ المتعلّق بهذه المعركة وعدم وقوفي على دراسةٍ لأي بُعدٍ من أبعاده؛ ارتأيتُ تحليله سندًا ومتنًا، وحاولتُ وضعه في سياقه التاريخيّ التقريبيّ واستنباط نتائجه.

الفصل الرابع: دور العلماء في الجهاد الفكريّ بالثغور. وفيه أربعةُ مباحث:

المبحث الأول: إسهام العلماء في تبادل الأسرى والمشاورات والمراسلات. عرضتُ فيه لملامح هذا الإسهام الناتج عن المعارك من جهة، وعن طوارئ التواصل السياسيّ مع الروم من جهةٍ أخرى. **ثمّ تطرّقتُ للرسالة التي كتبها أبو الربيع محمد بن الليث وبعث بها الرشيد إلى قسطنطين السادس** كنموذجٍ لتكامل الفكر الجهاديّ للدولة العباسية، واستعرضتُ تفاصيلها من خلال كاتب الرسالة، ووصفها، وأهمية أوّليتها، وظروف بعثها إلى امبراطور الروم وأهدافها، ومضامينها، ودلالتها على شخصية كاتبها.

المبحث الثاني: دور العلماء في تأصيل الفكر الجهاديّ من خلال المصنّفات. واستعرضتُ فيه كتاب السِّيَر لأبي إسحاق الفزاريّ وكتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك كنموذج لذلك.

المبحث الثالث: أثُر العلماء على حياة المجاهدين في الثغور. وهو أثرٌ اجتماعيٌّ وتربويٌّ وعلميٌّ استمر تأثيره إلى ما بعد خلافة الرشيد.

المبحث الرابع: دور المرأة الجهاديّ في الثغور الشامية.

وتلت هذه الفصول **خاتمةٌ** أوجزتُ فيها نتائج البحث، ثمّ **ملاحق الدراسة، وثبتٌ بالمصادر والمراجع** و**فهرس للموضوعات.**

وبعد،

فالحمدُ لله حمدًا يليقُ بكرم وجهه وعِزّ جلاله، الحمد لله الذي يجازي بالكثير عن القليل،

حمْدا يفوتني القيام بحقّه، وحُجّتي في ذلك عظيمُ آلاءِ ربّي وتنزُّه قدْرِه.

وإنّ وسيلتي في العروج إلى شكر خالقي شكْرُ أهل الفضل من خَلْقِه، وليس أحقّ من والديّ الكريمين؛ فشكرًا أمي الحبيبة السيّدة الشريفة (فرقان العبّاسيّ الهاشميّ) إليكِ أسوق ثمرة دعائكِ، وتعجزُ لغتي عن إدراك قلبي، فجزاك الله عنّي خير ما جزى أمًا عن ابنتها، وحفظكِ لي جنّةً ونعيما. شكرًا والدي الجليل على دعواتك المباركة. شكرًا شقيقي الحبيب (يوسف) ما اعتزّت حُرّةٌ بأخيها، على حدبك وعنايتك السابغة. شكرًا شقيقاتي وأشقّائي رفقاء الهمّة والعُلا.

والشكرُ الوافر لمشرفي الفاضل سعادة أ.د.علي بن محمد عودة الغامدي، كِفاء ما أولاني من صبره وعلمه ووقته منذ كان البحث بذرة حتى استوى على سوقه، بخُلُق الوالد وحكمة الأستاذ، فجزاه الله خيرا، وباركَ في عِلمه وعُمُره.

والشكرُ لأساتذتي بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية وأخصُّ منهم سعادة أ.د.مريزن بن سعيد عسيري، و أ.د. عبد الله بن سعيد الغامدي و أ.د. عبد الله بن حسين الشنبري الشريف و د. خالد بن محمد الغيث الذين أمدّوني بالرأي والمشورة في مستهلّ هذه المسيرة.

كما أشكر أ.د. خليل بن إبراهيم العلاف، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب بجامعة الموصل-فرّج الله كربها-، وحرمه د.سناء عبد الله الطائي، الأستاذة بمركز الدراسات الإقليمية بذات الجامعة، فقد حرصا على إمدادي برسالتَيْ الدكتورة العلميتين الموسومتين بـ:

مدينة طرسوس ودورها في التاريخ العربي الإسلامي ١٧٢-٣٥٤ هـ/ ٧٨٨-٩٦٥م.

الحياة الفكرية في الثغور والعواصم حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر الميلادي.

ورغم تعثّرِ وصولهما إلا أن همّتهما في ذلك أبلغُ من تحققها.

وختامًا، أتوجّه بالشكر للأستاذين المناقشين، لتفضّلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلتُ وإليه أنيب.

تمهيد، وفيه:

- معنى الربّاط والجهاد.
- معنى الثغور والفرق بينها وبين العواصم.
- لمحة جغرافية عن منطقة الثغور الشامية.





■ معنى الرباط والجهاد.

الرباط عند أهل اللغة: الشّيء الذي يُرْبَطُ به.

والرّبْطُ: الحبْسُ والشَّدّ.

والرِّباط: المداومة على الشيء.

ورجلٌ رابط الجأش ورَبَطَ جَأْشه أي: اشتدّ قلبُه وحَزُم فلا يَفِرُّ عندَ الرَّوْع.

والرباط من الخيل: الخمس فما فوقها.[١]

والمرابطة اصطلاحًا: ملازمة ثغر العدو مقويًا للمسلمين على الكفار. وأصله من رباط الخيل لأن هؤلاء يربطون خيولهم وهؤلاء يربطون خيولهم كلٌّ يُعِدُّ لصاحبه، فسُمّيَ المقام بالثّغر رباطًا وإن لم يكن فيه خيل.[٢]

وورد الرّباط بمعانيه المتعددة في أربعة مواضع بالقرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، جاءت المرابطة بمعنى المداومة في مكان العبادة والثبات. وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة،[٣] واستدلّ من قال بذلك بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء عند المَكَارِه، وكثرة

(١) مادة (ر ب ط): **كتاب العين**: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٧، ص ٤٢٢-٤٢٣؛ **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، ج٧، ص٣٠٢-٣٠٣؛ **تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٣، ص١١٢٧.

(٢) ينظر: **لسان العرب** ٧/ ٣٠٢، **المغني**: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب، الرياض ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١٣، ص١٨.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وسهل بن حُنيْف ومحمد بن كعب القُرظي وغيرهم. ينظر: **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص١٩٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّبَاط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط".[١] وقيل: المراد بالمرابطة هاهنا مرابطة الغزو في نُحور العدو، وحفظ ثُغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حَوْزَة بلاد المسلمين.[٢]

وفي سياق أمر المؤمنين بإعداد آلات الحرب لقتال العدو قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، والرباط هنا: اسم للخيل التي تربط للغزو في سبيل الله تعالى.[٣]

أما في خبر يوم بدرٍ فقد جاء الربط بمعنى آخر؛ قال عزّ وجلّ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١]، والمراد بالربط على قلوب المؤمنين: حفظُها وجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب.[٤]

وفي ذات المعنى قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤]، وربطنا: أي شَدَدْنا عليها بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان.[٥] وكذا في قصة أم موسى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠] أي ثبّتناه بالإيمان والعصمة

---

(١)حديث صحيح أخرجه مسلم في (**كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره**) ، ينظر: **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج١، ص٢١٩؛ وأخرجه مالك في (**كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها**) ، ينظر: **الموطأ**: مالك بن أنس بن عامر الأصبحي(ت ١٧٩هـ)، خرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٦١.

(٢)ينظر: **تفسير القرآن العظيم**، ٢/ ١٩٧.

(٣) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ج٥، ص٢٢١.

(٤) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص٢٩١.

(٥) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٥، ص١٥٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

واليقين والوحي. والرّبط على القلب كنايةٌ عن قراره واطمئنانه، شُبِّهَ بها يُربطُ مخافة الانفلات.[١] وعلى هذا يكون الرباط إمّا بالنفس بالمداومة على طاعة الله أو لزوم ثغرٍ من ثغور المسلمين لحفظها وحراستها، أو بالخيل وهو ارتباطها واقتناؤها للجهاد.

ووردت الأحاديث المستفيضة في الحث على الربّاط والترغيب في ثوابه؛ فعن سهل بن سعد الساعديّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها ".[٢]

وعن فُضالة بن عُبيد قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل ميّت يُخْتَمُ على عمله، إلا الذي مات مُرَابطًا في سبيل الله، فإنه يُنمى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر".[٣]

وعن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعتُ عثمان وهو على المنبر يقول: إنّي كَتَمتُكم حديثًا سمعته من رسول الله كراهية تفرُّقكم عنّي، ثم بدا لي أن أُحدّثكموه ليختار امرؤٌ لنفسه ما بدا له، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل".[٤]

---

(١) **البحر المحيط في التفسير**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٧، ص١٠٢.

(٢) حديثٌ صحيح أخرجه البخاري في (**كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فضلُ رباط يوم في سبيل الله**)، ينظر: **الجامع الصحيح**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)، اعتنى به: محمد زهير ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت ١٤٢٢هـ، ، ج٤، ص٣٥.

(٣) حديثٌ حسن صحيح أخرجه الترمذي في (**كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا**)، ينظر: **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، علّق عليه: محمد ناصر الدين الألبانيّ، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض١٤١٧هـ، ص٣٨٢.

(٤)حديثٌ حسنٌ صحيح غريب أخرجه الترمذي في (**كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط**)، **سنن الترمذي**، ص٣٩٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

وقد قدّم النبي صلى الله عليه وسلم الرباط ليلةً واحدة على موافقة أفضل الليالي في أفضل البقاع، فعن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط، ففزعوا إلى الساحل، ثم قيل لا بأس، فانصرف الناس وأبو هريرة واقف، فمر به إنسان فقال: ما يوقفك يا أبا هريرة؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود".[1] وأجمع علماء الأمة على أن المرابطة في الثغور من أجلّ الأعمال بل فضّلوها على المجاورة بالمساجد الثلاثة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ما أعلم في ذلك خلافا بين العلماء"[2]. ولازال الصالحون من لدُن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا يتسابقون إلى الرباط في الثغور ويتواصون به؛ فهذا الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز يقول: «وددت أن منزلي بقزوين[3] حتى أموت، يعني بذلك الرباط».[4]

وأفضل الرباط المقام بأشد الثغور خوفا لأنه أحوج إلى ذلك والمقام به أنفع، يقول ابن حنبل _رحمه الله_: «أفضل الرباط أشدهم كَلَبًا».[5] ولذلك كان أغلب رباط العلماء في الثغور

(١)حديثٌ صحيح أخرجه ابن حبّان في (**باب فضل الجهاد، ذكر تفضل الله جل وعلا على الواقف ساعة في سبيل الله بإعطائه خيرا من مصادفة ليلة القدر بالمسجد الحرام**)، ينظر: **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع**: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١٠، ص٤٦٢.

(٢) **مجموع الفتاوى**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج٢٧، ص٥١.

(٣) **قزوين**: مدينة مشهورة من مدن بلاد فارس، بينها وبين الريّ سبعة وعشرون فرسخًا. والريّ هي مدينة طهران اليوم عاصمة جمهورية إيران وتقع قزوين –التي احتفظت باسمها– إلى الغرب منها. ينظر: **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ج٤، ص٣٤٢؛ **موسوعة المدن العربية والإسلامية**: يحيى شامي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص٢٧٥.

(٤) **الزُّهد**: أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، ط٢، دار ابن رجب، ٢٠٠٣م، ص ٤٩٠.

(٥) أي: أحرص الكفّار على قتال المسلمين وأشدّهم أذى. من كلِبَ على الشّيء كَلَبًا: إذا حرِصَ عليه. ينظر: مادة (**ك ل ب**) **المحكم والمحيط الأعظم**: علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٧، ص٤٣؛ المغني لابن قدامة ١٣/ ٢٠.

الشامية والجزرية المتاخمة للعدو كالأوزاعي، وأبي إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وإبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن المبارك، وحذيفة المرعشي، ويوسف بن أسباط، وغيرهم.

وقد كانت الثغور الإسلامية على امتداد التاريخ عامرةً بالمرابطين من أبناء الأمة وعلى رأسهم العلماء والفقهاء، وكان سفيان بن عيينة يقول: "إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر فإن الله تعالى يقول:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].[١]

ومعروفٌ أن المنوط بهم توجيه الأمة عند الاختلاف هم العلماء، وربما يكون العالم حال رِباطه وانقطاعه عن مُلهيات الدنيا وزهده فيها قريبًا للتقوى والورع صادقًا في أداء النصيحة ومُجاهدًا في تحقيقها فيكون أهلًا لهداية الله وتوفيقه.

معنى الجهاد.

الجَهْدُ بالفتح: الغاية والمشقّة.

وبالضمّ: الوُسْعُ والطاقة.

والجِهاد، بالكسر: القتال مع العدو، والمبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، كالمجاهدة، قال الله تعالى: "وجاهدوا في الله" يقال: جاهَدَ العدوّ مجاهدةً وجهادًا: قاتَلَه.[٢]

وتنوّعت رؤية أهل العلم لمعنى الجهاد فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو استفراغُ الطاقة فيه، وألا يَخافَ في اللهِ لومةَ لائم". وقال مقاتل: "اعملوا لله حقَّ عمله، واعبدُوه حقَّ عِبادته". وقال عبد الله بنُ المبارك: "هو مجاهدةُ النفس والهوى".[٣] وأجمل ابن تيمية هذه

---

(١) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٧، ص٢٩٠.

(٢) (ج هـ د) لسان العرب ١٣/ ٢٥٧، **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، ج٧، ص٥٣٤و٥٣٧.

(٣) **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

المعاني فقال: هو الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان.(١)

ولا شكّ أن جهاد النفس أصلٌ لجهاد العدو، وكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أُطلق أريد به مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلواْ في الإسلام أو يُعطواْ الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.(٢)

ولست هنا بصدد الحديث عن الجهاد وتفصيلاته، فقد أفرد علماء الحديث والفقه والسير والمغازي أبوابًا للجهاد تناولواْ فيها أحكامه وما يتعلق به مما يغني الباحث في هذا الشأن، والذي يتصل بموضوع الدراسة هو بيان معنى الجهاد والعلاقة بينه وبين الرباط.

فالجهاد ذروة سنام الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد".(٣)

ومن باعَ نفسه لإعلاء كلمة الله تعالى فقد ربح بيعه وفاز في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وذلك هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

والجهاد أفضل ما يتقرّب به العبد لربّه ولا يعدله من أعمال التطوّع صلاة أو صيام؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: "لا تستطيعونه"، فأعادواْ عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه"، وَقَالَ في الثالثة:

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠/ ١٩١.

(٢) المقدّمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدوّن من الأحكام الشرعيات: محمد بن أحمد بن رشد القرطبيّ (ت٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجّي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م، ج١، ص٣٤٢.

(٣) حديثٌ حسنٌ صحيح أخرجه الترمذي في (كتاب الإيمان_ باب ما جاء في حُرمة الصلاة)، سنن الترمذي ص٥٩٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

مثلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتُر من صيامٍ ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى".[١]

وأكيدٌ أن مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى أعمّ وأشملُ إذ يدخلُ فيه الرّباط والقتال وغيره، وقد ذكر ابن القيّم رحمه الله أن للجهاد ثلاث عشرة مرتبة تختصُّ واحدة منها فقط بقتال الكفّار وحربهم، فلجهاد النفس أربع مراتب، ومرتبتان لجهاد الشيطان، ولجهاد الكفار والمنافقين أربع مراتب: بالقلب، واللِّسان، والمال والنفسِ، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان. وأما جهادُ أرباب الظلم والبِدعِ والمنكرات فثلاث مراتب.[٢]

والرباط جزءٌ من الجهاد وهو دَفْعٌ عن المسلمين وعن حريمهم، وقوةٌ لأهل الثغر ولأهل الغزو وإعدادٌ للحرب كما أمر الله تعالى، والجهاد بمعنى القتال أفضل منه؛ لأن قوّة أهل الحق أظهر ما تكون فيه، ولما فيه من العناء والتعب والمشقة، وما يتحقق به من محق أعداء الله وتطهير الأرض منهم، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم، وصوْن دماء المسلمين وأموالهم وحُرمهم وأطفالهم.[٣]

(١) حديثٌ حسن صحيح أخرجه مسلم في (كتاب الإمارة_ باب فضل الشهادة في سبيل الله)، صحيح مسلم، ٣/ ١٤٩٨.

(٢) زاد المعاد، ٣/ ٩-١١.

(٣) المغني لابن قدامة، ١٣/ ١٨، أحكام الجهاد وفضائله: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: نزيه حمّاد، ط١، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٥٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

معنى الثغور والفرق بينها وبين العواصم.

الثَّغْر في اللغة: الفمُ أو الأسنان أو ما تقدّم منها.

والثُّغرة: كلُّ فُرجةٍ في جبلٍ أو بطن وادٍ أو طريقٍ مسلوك.

وأصل الثَّغْر: الكَسْرُ والثّلم، ومنه قيل للموضع الذي يُخاف منه اندراء العدو في جبلٍ أو حصن: ثَغْر؛ لانثلامه وإعواره حتى يمكن للعدو الدخول منه. (١)

والثّغْرُ في اصطلاحِ البُلدانيين: كلُّ موضعٍ قريبٍ من أرض العدو، كأنه مأخوذٌ من الثُّغْرة، وهي الفُرجة في الحائط، وجمعه: ثُغُور. وما من أرضٍ تكون حدًّا فاصلًا بين بلاد المسلمين والكفار إلا وأطلق عليها: ثغر، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.(٢)

وقبل أن تأخذ الحدود السياسية شكلها التجريدي اليوم؛ مثّلت التخوم بنطاقاتها الطبيعية المختلفة حدودًا فاصلة بين الأمم في السابق، وغالبًا ما تكون السيطرة على هذه المناطق متغيّرةً من حيث الاتساع والانحسار تبعًا لقوة طرفٍ دون الآخر. وعُرفت التخوم الفاصلة بين المسلمين والروم البيزنطيين بالثغور، ومنذ أن اتجهت الدعوة الإسلامية شمالًا بعد معركة مؤتة٨هـ شهدت هذه المناطق تحولًا استراتيجيًا غيّر من طبيعة الصراع وازدادت معه أهمية الثغور؛ حيث أصبحت حدًا فاصلًا بين أمتين مختلفتين عَقَديًا وحضاريًا، ومحور اتصالٍ في آن وحربٍ في آنٍ آخر.

ومنذ الفتوح الإسلامية الأولى حرص المسلمون _إلى جانب تأمين أراضيهم_ على اتخاذ قواعد عسكرية متقدّمة تمثّل نقاط انطلاق للهجوم على الدولة البيزنطية فيما عُرف بحملات الصوائف والشواتي، وكانت قواعد الثغور الشاميّة أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما

(١) مادة (ث غ ر): **لسان العرب**، ٤/ ١٠٣؛ **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرحب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١، ج ٨، ص١٠٢؛ **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسيّ، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٥٩.

(٢) ينظر: **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٢، ص٧٩؛ **لسان العرب** ١٥/ ٢٠.

وما بعد ذلك "أنطاكية وغيرها من المدن التي سمّاها الرشيد عواصم"(١). ومع اتّساع رقعة الدولة الإسلامية وتطوّر أنظمتها الدفاعية في هذه الجبهات اضطر المسلمون إلى بناء مدن تقوم بمهمات الحماية فيما يلي أنطاكية ومدن الخطّ الثغريّ الأول، فنشأ نظام الثغور أوائل العصر الأموي، لكنه تطوّر على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وبنهاية عهد الخليفة هارون الرشيد ١٩٣هـ/ ٨٠٩م كان هذا النظام العسكري قد اكتمل، واستمرّ فعّالًا في أداء دوره الهجومي والدفاعي حتى عصر الصحوة البيزنطية الذي بدأ في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. (٢)

ولم تكن مناطق التخوم في العصر الأموي والعباسي ممتدةً على عمق واحد، بل تعددت أبعادها في مساحة عريضة تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية إضافة إلى المدن الممتدة على طول ساحل البحر المتوسط، وكانت الثغور البرّية خطًّا طويلًا من القلاع يحمي هذه الحدود فيميل من مَلَطْيَة على الفرات الأعلى إلى طَرَسُوس(٣) بالقرب من ساحل البحر المتوسط.(٤)

(١) **فتوح البلدان**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨م، ص١٦٤.

(٢) **الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية**: عبد الرحمن مُحَّد العبد الغني، حوليات كلية الآداب، الحولية١١، الرسالة٧١، مجلس النشر العلمي_ جامعة الكويت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٣١_٣٢.

(٣) **طرسوس**: قيل أنها سُميت بطرسوس بن الروم بن اليفن بن سام بن نوح عليه السلام. واسمها بالعربية (طرسوس)، وفي التوراة (إبسوس) وفي الإنجيل (أرسوس)، وكانت تسمى قديمًا (أيارسين)، وكانت أعظم مدينة في إقليم قيليقية وأشهرها وقاعدة ملكها في التاريخ القديم. ذكرها المؤرخ اليوناني اكزينيفون أنها كانت مبنية في القرن الخامس قبل المسيح عليه السلام. ولها منزلة عظيمة عند المسلمين إذ بها قبور عشرة من الأنبياء، ولدى المسيحيين لأنها مسقط رأس القديس بولس الذي يسمونه (بولس الرسول). وتقع مدينة طرسوس اليوم ضمن محافظة مرسين جنوب جمهورية تركيا. ينظر: **بغية الطلب**: عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص١٧٥و١٧٧و٢٠٢؛ **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**: مُحَّد بن علي بن إبراهيم بن شداد (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبّارة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا–دمشق ١٩٩١م، الجزء الأول، القسم الثاني ، ص١٥٢؛ **الدُّرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب**: مُحَّد بن الشحنة (ت ٨٩٠هـ)، تقديم: عبد الله مُحَّد الدرويش، دار الكتاب العربي، سوريا ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٨٣-١٨٤؛ **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى**: علية عبد السميع الجنزوري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٠؛ **موسوعة المدن العربية والإسلامية**: يحيى شامي، ص٣١٦.

(٤) **بلدان الخلافة الشرقية**: كي لسترنج، نقله إلى العربية وعلّق عليه: بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٦٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ودرج البلدانيّون المسلمون على تقسيم مناطق الثغور البرية إلى شاميّة وأخرى جَزْرِية(١)، ترتكزُ جغرافيتها إلى أرض الجزيرة في شمالي العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى، كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقي بأرمينية، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى، وإلى الغرب منها يقع ساحل البحر المتوسط الذي كان يسميه العرب ببحر الروم.(٢)

أما الثغور الشّامية فهي الواقعة شمال غرب بلاد الشام ومهمّتها حماية ما وراءها من مدنه، وهذه الثغور هي طرسوس وأذنة(٣) والمصيصة(٤) وعين زربة(٥) والكنيسة(٦) والهارونية(٧)، ويقابلها من أراضي الروم من جهة البرّ بند القباذق (كبادوكيا) ويقرب منها بند الناطليق،(٨) وأما من جهة البحر فتقابلها سلوقية.(٩)

---

(١) أضاف قدامة بن جعفر في تقسيمه للثغور قسمًا ثالثًا سماه **(الثغور البكريّة)** نسبة إلى ديار بكر، وهي إلى الشمال من الثغور الجزرية، وهي سميساط وحاني وملكين والحصون المرتبطة بها. ينظر: **الخراج وصناعة الكتابة**: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، ط١، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م، ص١٨٧.

(٢) **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**: محمّد فتحي عثمان، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ج ١، ص١٣٦.

(٣) **أَذَنَة**: مدينة روميّة قديمة كانت تُسمى (أدانم)، ذات موقع استراتيجيّ على الضفة الغربية لنهر سيحان مطلّةٌ على خليج الاسكندرونة. وتُسمى اليوم (أَضَنَة) تقع جنوب الجمهورية التركية وتعتبر مركز مقاطعة أضنة وإحدى أكبر مدن البلاد. ينظر: **صورة الأرض**: محمّد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت: بعد ٣٦٧هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م، ص١٦٨؛ **موسوعة المدن العربية والإسلامية**: يحيى شامي، ص٣٠٧.

(٤) **المِصِّيصَة**: مدينة روميّة قديمة، تقع على شاطئ نهر جيحان، وهي من مشهور ثغور الشام تقارب طرسوس وبينها وبين أذن مسيرة يوم. وتقع أطلالها اليوم بالقرب من مدينة أضنة التركية. ينظر: معجم البلدان، ١٤٥/٥؛ **موسوعة المدن العربية والإسلامية**: يحيى شامي، ص٣٠٧.

(٥) **عين زَرَبَة**: وهي بلدةٌ من مشهور الثغور الشامية من نواحي المصيصة. ينظر: معجم بالبلدان، ١٧٧/٤.

(٦) **الكنيسة السوداء**: مدينةٌ بالثغور الشامية إلى الشرق من المصيصة. ينظر: معجم البلدان، ٤٨٥/٤.

(٧) **الهارونية**: مدينة أنشأها هارون الرشيد في الشعاب الغربية على طرف جبل اللُّكام (طوروس الداخلية). ينظر: معجم البلدان، ٣٨٨/٥.

(٨) للمصادر الإسلامية أهمية كبيرة في دراسة نظام البنود البيزنطية، ينظر مثلًا: **المسالك والممالك** لابن خرداذبّة، ١٠٥-١٠٨؛ **الخراج وصناعة الكتابة**، ص١٩٠-١٩٢؛ **التنبيه والإشراف**: أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص١٥٠-١٥٣. وكذلك ينظر: **الحدود الإسلامية البيزنطية**، ١/ ١٠٤-١١٣؛ **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، دار النهضة العربية، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٧٤-٧٧.

(٩) **الخراج وصناعة الكتابة**، ص١٨٦.

وتقع الثغور الجزْرية في الشمال الشرقي وتتولّى حماية ما وراءها من مدن الجزيرة. والجزيرة هي المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات وتمتد إلى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد إلى الجبال الفارسية. وقد كان إقليم الجزيرة وشمالي الشام وحدة تتم بعضها بعضًا من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما للغارات البيزنطية.[١]

ومن أهم مدن الثغور الجزرية: مرعش والحدث وزبطرة وشمشاط ومَلَطْية. ويقابلها من بلد الروم بند خرسيون وبند الخالدية.[٢] ويَفْصِلُ بين الثغور الشامية والجزرية جبل اللُّكام، وهو الاسم الذي أطلقه البلدانيُّون المسلمون على سلسلة جبال طوروس الداخلية.[٣]

وتخللت جبال طوروس مجموعة من الدروب والمعابر سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم؛ أهمها: درب الأبواب القيليقية، وقد أطلق عليه المسلمون (درب السلامة)، ويعتبر الدرب الأهم بالنسبة لحركات الجهاد في الثغور، وهو الضارب شمالًا من طرسوس ومنه يأخذ الطريق العام إلى القسطنطينية، وكان هذا الطريق الذي يسلُكه سُعاة البريد وتمرُّ منه وفود الخليفة وقيصر. وثاني هذه الدروب: درب الحَدَث أو (ممر كوردخاي)، وهو في الشمال الشرقي يمتد من مرعش إلى أبلستين.[٤]

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد نضج التنظيم الإداري لمنطقة الثغور واستحدث الرشيد تنظيمًا جديدًا عام١٧٠هـ حيث أفرد "منبج، ودلوك، ورعبان، وقورس، وأنطاكية وتيزين، وسماها العواصم".[٥]

---

(١) **الحدود الإسلامية البيزنطية**، ١/ ١٤٢.

(٢) المصدر السابق ٢٥٣.

(٣) **المسالك والممالك**: إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م، ص٤٣؛ **بلدان الخلافة الشرقية**: كي لسترنج، ص١٦٢.

(٤) **بلدان الخلافة الشرقية**، ص ١٦٥_١٦٦؛ **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**: أسد رستم، ط١، دار المكشوف، بيروت١٩٥٥م، ج١، ص٢٩٥.

(٥) **فتوح البلدان**، ص١٣٤؛ **تاريخ الرسل والملوك**: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج ٦، ص٤٤٤.

والعواصم: جمع عاصم، وهو المانع. وهي حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال فسمّيت بذلك.(١) وهذه العواصم هي سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية المختلفة، وتشكّلُ عسكريًا المنطقة الخلفية للثغر حيث كانت تعصم المسلمين وتمدّهم في أوقات النفير، وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر. (٢)

ويذهب (فتحي عثمان) إلى أن الثغور والعواصم "اسمٌ على مسمّى واحد"(٣)، وإن كان راعى في دراسته الفصل بينهما على ما ذهب إليه أغلب الدارسين، ويعلل التداخل في معلومات الجغرافيين المسلمين حول المصطلحين بأن إقليم الثغور والعواصم يتداخل من الوجهة الجغرافية في أعالي الشام والجزيرة وأرمينية، وهو من الوجهة الإدارية تقسيم تأخر حدوثه نسبيًا في تاريخ الدولة الإسلامية، مع الأخذ بعين الاعتبار حركة المد والجزر التي تعرض لها خطّ الثغور الأمامية تبعًا لنتائج الحروب بين المسلمين والروم.(٤)

ومهما يكن من أمر، فإن منطقة الثغور الإسلامية بشقّيها ومنطقة العواصم شكّلتا عمقًا استراتيجيًا للدولة الإسلامية، أعطاها _منذ الفتوح الأولى وحتى عصر الرشيد وما بعده_ فرصةً لإحكام خططها الدفاعية ومَنْعِ تقدّم الأعداء داخل أراضيها. ومثّلت بذلك أطول منطقة اتصال بين أمتين متباينتين في العقيدة والعرق والحضارة، وإن كان هذا الاتصال متأرجحًا بين السلم والحرب إلا أنه بلور في آخر المطاف نمطًا متميّزًا بصبغته الخاصة في تاريخ كل من المسلمين والروم.

---

(١) معجم البلدان، ٤/ ١٦٥.

(٢) الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٥٣؛ معجم البلدان، ٤/ ١٦٥؛ الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ١/ ١٣٣.

(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية، ١/ ٢١٦.

(٤) الحدود الإسلامية البيزنطية، ١/ ٢١٧.

لمحة جغرافية عن منطقة الثغور الشامية.

من الطبيعيّ ألا نجد في كتب البلدانيين المسلمين إجماعًا على الحدود المكانية للثغور الشامية؛ ذلك أنّ حدودها لم تكن ثابتة على الإطلاق بل كانت متغيّرة بحسب الوضع السياسي والعسكري للدولة القائمة، إذ ينسحب التداخل في معلوماتهم حول إقليمي الثغور والعواصم على ما يتبعهما من مدن وكور.

وإذا نظرنا إلى ما دوّنه الجغرافيّون المسلمون حول الثغور الشامية نجد ابن خرداذبة (ت٢٨٠هـ) يعدّدُها عند ذكره السكك من حلب إليها فيقول: "من حلب إلى قِنَّسرين سبع سكك، ثم إلى أنطاكية أربع سكك، ثم إلى الإسكندريّة _أي الاسكندرونة [١]_أربع سكك، ثم إلى المصّيصة سبع سكك..ومن المصيصة إلى أذنة ثلاث سكك...ثم من أذنة إلى طرسوس خمس سكك"، ثم يذكر عوادل الثغور الشامية فيقول: "عين زَرْبَة والهارونية وكنيسة السوداء وتل جُبَيْر من طرسوس على ثمانية أميال". [٢]

وبهذا يجعل ابن خرداذبة الثغور الشامية: المصيصة وأذنة وطرسوس، ويجمع إليها عواصمها وهي أنطاكية وقنّسرين، كما يضيف إليها الاسكندرونة. أما العوادل فيذكرها الدكتور محمد مخزوم في تعليقه على مسالك ابن خرداذبة بدالٍ معجمة (عواذل)، ويقول أنها "من العذل أي الإحراق، كاللائم يُحْرِق بعَذْله قلبَ المَعْذول، مما يدلّ على أهمية هذه الثغور في دفع الروم عن بلاد الإسلام". [٣] وقد يُحملُ المعنى على "عدَلَ الشيء بالشيء إذا سواه به"، فربما تكون مدن العوادل ما يقابلُ الثغور ويماثلها. وإذا نظرنا إلى الخريطة نجد المصيصة وأذنة

(١) **اسكندرونة**: مدينة في شرقي أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ. **معجم البلدان**، ١/ ١٨٢.

(٢) **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت ١٨٨٩م، ص٩٩.

(٣) **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وطرسوس على خطّ عرضيّ واحد وتقابلها من جهة الشمال الشرقي عين زربة فالكنيسة فالهارونية.

أما ابن رُسْتَة (ت ٣٠٠هـ) فبعد أن ذكر كور الشام قال: "ومن الشام كور تسمى الثغور الشامية وهي: أَذَنة والمَصِّيصَة وطَرَسُوس وعين زَرْبَة والهارونية والكنيسة السوداء والعواصم وأنطاكية وتيزين وقُورُس ومَنْبِج ودُلُوك ورَعْبان".[1] وحدّ الثغور الشامية عند ابن رستة من أذنة إلى رعبان، فهو إذًا يجمع بينها وبين العواصم، ولا يفصلها عن المدن التي أسماها ابن خرداذبة بالعوادل.

ويطالعنا قدامة ابن جعفر (ت ٣٣٧هـ) بتفصيلٍ أدق من سابقيه، حيث فرّق بين الثغور وجعلها على ثلاثة أضرب: شاميّةً وجزْريّةً وبحريّة، كما فصل بين كل ثغرٍ وعواصمه. فيقول إن الثغور "منها برّيّة تلقاها بلاد العدوّ وتقاربه من جهة البرّ، ومنها بحريّة تلقاه وتواجهه من جهة البحر، ومنها ما يجتمع فيه الأمران...والمجتمع فيه الأمران غزو البرّ والبحر: الثغور المعروفة بالشامية، فلنبدأ بذكرها وهي: طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربة والكنيسة والهارونية وبياس[2] ونقابلس[3] ...وعواصم هذه الثغور وما وراءها إلينا من بلدان الإسلام وإنّما سمّي كلّ واحد منها عاصمًا لأنه يعصم الثغر ويمدّه في أوقات النفير ثم ينفر إليه من أهل أنطاكية والجومة[4] والقُورُس[5]".[6]

([1]) **الأعلاق النفيسة:** أحمد بن عمر بن رُسْتة، ليدن ١٨٩١م، ج٧، ص١٠٧.

([2]) **بيّاس:** مدينة صغيرة شرقي أنطاكية وغربي المصيصة بينهما، قريبة من البحر بينها وبين الاسكندرية فرسخان، قريبة من جبل اللكام، وذكر ابن العديم أنها من الثغور الشامية. ينظر: **معجم البلدان** ٥١٧/١؛ **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ج٥، ص٢٤٥٥.

([3]) **نقابلس:** لم أجد لها تعريفًا في كتب البلدان، وأوردها البلاذري في سياق أمر جندِ قِنَّسْرِين والمدن التي تُدعى العواصم فذكر أنّ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه غلب في فتح قورس على جميع أرضها " إلى آخر حد نقابلس". فيظهر أنها أيضًا من نواحي حلب. ولعلّها (نيكابوليس) قريبة من قورس إلى الشمال الغربي منها، وجدتها في خريطة نقلها الدكتور فتحي عثمان عن: Honig manet les Byzantins ، ينظر: **فتوح البلدان**، ص١٥٠؛ **الحدود الإسلامية البيزنطية**، ٤٠٩/١.

([4]) **الجومة:** مدينة من نواحي حلب. ينظر: **معجم البلدان**، ١٨٩/٢.

([5]) **قُورُس:** مدينةٌ أزلية بها آثارٌ قديمة وكورة من نواحي حلب، كانت قورس كالمسلحة لأنطاكية يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها، ذُكِرت ضمن كور جند قنسرين والعواصم. ينظر: **فتوح البلدان**، ص١٥٠؛ **معجم البلدان**، ٤١٢/٤؛ **بغية الطلب**، ٢٦٣/١.

([6]) **الخراج وصناعة الكتابة**، ص١٨٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

وأضاف قدامة إلى الثغور الشامية بيّاس ونقابلس وهما بين أنطاكية وحلب، أي مما يلي الثغور من مدن العواصم. وهو مع دقّته في تحديد الثغور الشامية وعواصمها، إلا أننا نلحظُ في معلوماته تداخُلًا يسيرًا بينها وما يليها من مدن العواصم.

وينحو الإصطخريّ (ت٣٤٦هـ) منحًى آخر في رؤيته للثغور وأقسامها، فبعد أن ذكر حدود الشام من جهاتها الأربع، قال: "ومما يلى الروم الثغور، وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونيّة والكنيسة وعين زربة والمصّيصة وأذنة وطرسوس"[١]، ثمّ يُفصّل في سبب تسميتها فيقول: "قد جمعت الثغور إلى الشام، وبعض الثغور تعرف بثغور الشام، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون، لا لأنّها من الجزيرة".[٢]

فكلّ الثغور عند الإصطخريّ شاميّةٌ وإن سُمّيتْ بغير ذلك، وتعليلُه أن كلّ ما وراء الفراتِ يُسمّى شامًا. ويوافقه في ما ذهب إليه ابن حوقل[٣]، إلا أن المقدسي في بيانه لإقليم الشام وسبب تسميته يوضّحُ مقصد القائلين بهذا الرأي، فيذكر أن "أهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شامًا، ولهذا أرسل محمد بن الحسن[٤] القول في دواوينه: وليس وراء الفرات من الشام غير كورة قنّسرين فحسب، والباقي بادية العرب والشام من ورائها، وإنما أراد محمد التقريب والمتعارف بين الناس، كما يقال لخراسان المشرق وإنما هو من ورائها".[٥] ويرُدّ

(١) **المسالك والممالك**، ص٤٣.

(٢) **السابق**.

(٣) **صورة الأرض** لابن حوقل، ص١٥٣ـ١٥٤.

(٤) **مُحَمَّد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني** مولاهم، ولد بواسط سنة ١٣٢هـ ونشأ بالكوفة، صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، وفقيه أهل العراق في زمانه، ولّاه الرشيد القضاء بعد أبي يوسف، توفّي بالريّ عام ١٨٩هـ. ينظر: **سير أعلام النبلاء**: مُحَمَّد بن أحمد الذَهَبِي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ج٩، ص١٣٤-١٣٦.

(٥) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**: مُحَمَّد بن أحمد المقدسي البشاري (٣٨١هـ)، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٥٢.

المقدسيّ الإطلاق العام في تسمية ما وراء الفرات شامًا بقوله: "قد قسمنا الأقاليم ورسمنا الحدود فلا ينبغي لنا أن ندخل في إقليم من غيره."(١)

وفي معجم البلدان يضمّ ياقوت الثغور الشامية إلى عواصمها كسابقيه، ويفصلها عن الجزْرية، فيذكر من مدنها: "بياس ومنها إلى الإسكندرية مرحلة، ومن بياس إلى المصيصة مرحلتان، ومن المصيصة إلى عين زربة مرحلة، ومن المصيصة إلى أذنة مرحلة، ومن أذنة إلى طرسوس يوم، ومن طرسوس إلى الجوزات يومان، ومن طرسوس إلى أولاس على بحر الروم يومان، ومن بياس إلى الكنيسة السوداء وهي مدينة أقل من يوم، ومن بياس إلى الهارونية مثله، ومن الهارونية إلى مرعش وهي من ثغور الجزيرة أقل من يوم، ومن مشهور مدن هذا الثغر أنطاكية وبغراس وغير ذلك إلا أن هذا الذي ذكرنا أشهر مدنها". (٢)

يظهر لنا مما سبق أن أغلب البلدانيين المسلمين يَجْمَعون إلى الثغور الشامية عواصمها، فيبدؤون بالثغور المتاخمة للروم مما يلي الشام، ثم يسيرون في اتجاه عَرْضِيّ نحو العمق الجنوبي فيضيفون إليها بعض مدن العواصم، ثم يميلون حتى بياس والاسكندرونة على ساحل البحر المتوسط. في حين تفرّد ابن رستة باتجاهه نحو الجنوب الشرقي _أي إلى عواصم الثغور الجزرية على الفرات_ فأضاف إلى الثغور الشامية: مَنْبِج ودُلُوك ورَعْبان. كما اعتبر الإصطخري الثغور كلّها شاميّة جغرافيًا وإن تباينت مسمياتها.

وإذا فصلنا بين الخطّ الثغري الأول للشام _وهو ما عرف في عهد الرشيد بالعواصم_ وما أشار إليه _من ذكرتُ من البلدانيّين_ من مدنها: حلب وأنطاكية وبغراس والجومة ونقابلس وقورس، ثم حصرنا الثغور الشامية فيما بعد هذا الخطّ شمالًا؛ نجد مجموعةً من المدن الكبيرة الواقعة عليه، وبينها عددٌ لا بأس به من القرى الصغيرة والحصون والقلاع، وأهم هذه

(١) السابق، ص١٥٢.

(٢) ٢/ ٧٩_٨٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

المدن: طرسوس وأذنة والمصيصة وكفربيا وعين زربة والكنيسة السوداء والهارونية. وستكون المساحة الجغرافية الممتدة على طول هذا الخط الإطار المكانيّ لهذه الدراسة إن شاء الله.

وقد شكّلت الثغور الشامية واجهةً دفاعيّة للدولة الإسلامية، وكان موقعها الاستراتيجي على الطرف الشمالي الغربي لبلاد الشام محفّزًا للمسلمين والروم على إحكام السيطرة عليها. حيث تقع الثغور الشاميّة على سهل قيليقية بالقرب من الساحل الشمالي لخليج الاسكندرونة. ويمتد هذا السهل عبر منطقة دلتا نهريْ سيْحان وجيْحان، وقد أطلق المسلمون على نهري سارس (Sarus) وبيرامس (pyramus) اسم: نهر سيحان ونهر جيحان. وكانا في صدر الإسلام حدًا مائيًا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم.[١] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ).[٢]

وتحيط الجبال بسهل قيليقية من ثلاث جهات: طوروس القيليقية، طوروس الداخلية وجبال الأمانوس، وغالبًا ما تنتهي هذه الجبال بألسنة صخرية داخل البحر لتشكّل مرافئ صغيرة محمية اتخذها القراصنة في العصور القديمة ملجأً لهم.[٣]

وينقسم السهل إلى قسمين: السّهل الأدنى أو الغربي ويسمى (قيليقية السفلى) ويمتد من سفوح جبال طوروس حتى البحر، وأهم مدنه طرسوس وأذنة. أما السهول الشرقية أو العليا فيفصلها عن السهول الغربية مرتفعاتٌ تعرف بجبل النور، وأشهر مدن هذا الجزء المصيصة وعين زربة وسيس.[٤]

---

(١) **بلدان الخلافة الشرقية**، ص١٦١_١٦٣؛ **الثغور البرية الإسلامية** : **علية الجنزوري**، ص١٣.

(٢) حديثٌ صحيح أخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (ما في الدنيا من أنهار الجنة)، ينظر: **صحيح مسلم** ٤/ ٢١٨٣.

(٣) **الثغور البرية الإسلامية**، ص ١٤؛ **سياسة نور الدين محمود العسكرية إزاء الأرمن في قيليقية**: علي محمد عودة الغامدي، ضمن بحوث اللقاءين العلميين الأول والثاني اللذين عقدا في شوال ١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ، الجمعية التاريخية السعودية. ص٣١٠.

(٤) **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص١٥.

وتروي منطقة الثغور الشامية عدة أنهار أهمها نهر جيحان وسيحان وبردان. أما جيحان ويسمّيه الروم (جهان) فمنابعُه عيونٌ وراء بلاد مرعش، وهو نهر المصيصة وتقع على ضفته الغربية وكفر بيا على ضفته الشرقية وعلى النهر بين المدينتين جسر عظيم قديم معقود بالحجارة. [١]

وإلى الغرب منه يجري نهر سيحان وهو نهر أذنة، ينبع من مدينة سيحان من ناحية ملطية ويصبّ في البحر المتوسط، وهو دون جيحان في الكبر، عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جدًا[٢]. أما طرسوس فيشقّها نهر البردان الذي ينبع من جبل بلقار ويصبّ في البحر المتوسط على مسافة قليلة من سيحان ويقترب جدًا من طوروس القيليقية.[٣] وربّما سُمّيَ بالبردان لأن "ماءه موصوفٌ بشدة البرودة في الصيف"،[٤] كما أنه يوصف بالدفء في الشتاء؛ ويبدو أن مردّ هذه الظاهرة الطبيعية أن مياهه تتكوّن في الشتاء من الأمطار التي تسقط بكثرة على جبال طوروس، وفي الصيف تتكوّن من ذوبان الثلوج على جبال طوروس ومن الطبيعيّ أن تكون مياهه باردةً جدًا.

وكانت أراضي الدولة الإسلامية تنتهي عند نهر صغير هو نهر اللامس(Lamos Su) الذي يعين الحدود الفاصلة وعليه كان يجري الفداء بين المسلمين والروم.[٥]

وبعد أن عرفنا جغرافية الثغور الشامية ومدنها؛ سنرى في الفصل القادم جهود الخليفة هارون الرشيد في تحصينها، وشكل العلاقة التي ربطت بين الدولتين المسيطرتين على طرفي هذه التخوم.

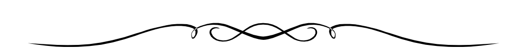
(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/ ٣٧٣؛ المسالك والممالك للإصطخري،ص٤٧؛ التنبيه والإشراف للمسعودي، ص٥٢.

(٢) بغية الطلب، ١/ ٣٧٩؛ صورة الأرض لابن حوقل، ص١٦٨؛ التنبيه والإشراف، ص٥١.

(٣) التنبيه والإشراف، ص٥١، الثغور البرية الإسلامية، ص ١٤.

(٤) بغية الطلب، ١/ ٣٨٩.

(٥) التنبيه والإشراف، ص٥٣؛ معجم البلدان، ٥/ ٨؛ الثغور البرية الإسلامية، ص ١٤_١٥.



• الفصل الأول: عناية الخليفة هارون الرشيد بتحصين الثغور الشامية.

_**المبحث الأول**: علاقة المسلمين بالروم قبيل خلافة الرشيد.

_**المبحث الثاني**: ملامح علاقة العباسيين بالروم خلال خلافة الرشيد.

_**المبحث الثالث**: مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية:

1. بناء المدن الثغرية.
2. التحصينات الدفاعية.
3. اختيار الولاة.



ـ المبحث الأول: علاقة المسلمين بالروم قبيل خلافة الرشيد.

تعود علاقة المسلمين بالروم إلى جذور تاريخية بعيدة، وذلك حين سمع المؤمنون المستضعفون في مكة بحرب الفرس والروم، وأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم سورة كريمة بشره فيها بغلبة الروم على الفرس، وفرح المسلمون بذلك انتصارًا لقربى الدينِ على وثنية النار. ومنذ ذلك الوقت وعلاقة الأمتين تأخذ مجراها بين مدّ وجزر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده.

وقد برزت الدولة البيزنطية على مسرح الصراع ضد المسلمين بشكل واضحٍ في معركة مؤتة ٨هـ/ ٦٢٨م[١] حين استشرف الروم خطورة هذه القوة الناشئة عليها، وفي ذات الوقت أدركت الدولة الإسلامية الفتيّة أنها لا تتعامل مع عرب الشام فحسب بل مع من وراءهم من جحافل الروم، وسعت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسب ولاء هذه القبائل وتحييدها في الصدام الذي رآه حتميًا مع القوة الكبرى في تلك الفترة.[٢]

ويبدو أن المعاهدات التي عقدها المسلمون مع عرب الشام بعد غزوة تبوك عام ٩هـ/ ٦٢٩م[٣] لم تُرق للدولة البيزنطية التي اعتبرت ذلك تجنيًا واضحًا على سلطانها،

(١) في تفاصيل المعركة ونتائجها ينظر: **المغازي**: موسى بن عقبة بن أبي عياش (ت ١٤١هـ)، تحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، المغرب ١٩٧٩م، ص٢٦٣_٢٦٥؛ **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٤، ص١١-١٧؛ **الطبقات الكبرى**: محمّد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزُّهري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م، ج٢، ص١٢٨_١٣٠؛ **السيرة النبوية الصحيحة**: أكرم ضياء العمري، ط٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص٤٦٧_٤٧٠؛ **المسلمون والروم في عصر النبوة**: عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٨٧_١٠٢.

(٢) **المسلمون والروم في عصر النبوة**، ص١٤٣و١٤٤.

(٣) في تفاصيل المعركة ونتائجها ينظر: **مغازي موسى بن عقبة**، ص٢٩٤_٣٠٧؛ **السيرة النبوية** لابن هشام، ج٤، ص٩١-١٠٢؛ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**: مهدي رزق الله أحمد، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٦١٣_٦٣٨.

وتزعزعت هيبتها لأول مرة بعد أن حقق بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ١١هـ/ ٦٣١م نتائجه الاستراتيجية.(١)

أخذ الصراع الإسلامي الروميّ بعد ذلك منعطفًا خطيرًا في عصر الخلفاء الراشدين؛ فبعد أقل من عقدين من الهجرة النبوية المباركة كانت الدعوة الإسلامية قد بسطت نورها على بلاد العراق والشام ومصر، وفقدت دولة الروم أقدس أراضيها بعد فتح بيت المقدس في خلافة الفاروق رضي الله عنه عام١٦هـ/ ٦٣٧م(٢)، وانحسر سلطانها إلى عمق أراضيها، ودفع أباطرتها الجزية للمسلمين.

ومع تتابع الفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية برًا وبحرًا اتخذت الدولة البيزنطية مُكرهَةً سياسة الدفاع عن نفسها أمام القوة الإسلامية الضاربة التي وصلت إلى عاصمتها وحاصرتها غير مرة،(٣) حيث كانت وجهةُ الدولة الأموية بحريَّةً نحو الغرب، ووضع خلفاؤها الأوائل نصب أعينهم فتح عاصمة البيزنطيين والقضاء على هذه الدولة التي وقفت ضد المسلمين زمنًا طويلًا، لكن محاولاتها التي أشرفت فيها على القسطنطينية لم يكتب لها النجاح.

وبعد أن وصل العبّاسيّون إلى سدّة الحكم آلت إليهم تركةُ الصراع التقليدي مع البيزنطيين، الذين احتمَوْا بمواقع حصينة في جبال طوروس وآسيا الصغرى وبحر مرمرة، يُطلّون منها في ساعت الضعف أو الانشغال، ويتقهقرون إليها في ساعات القوة والوحدة.(٤)

وقد تغيّرت ملامح الصراع الإسلامي البيزنطي في عصر بني العباس، إذ انتقلت عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد وابتعدت قوة المركز الإسلامي عن عاصمة البيزنطيين،

---

(١) في تفاصيل البعث ونتائجه ينظر: **مغازي موسى بن عقبة**، ص٣٢٧_٣٢٨و٣٣٦؛ **تاريخ الطبري**،٣/ ٢٢٣_٢٢٧؛ **المسلمون والروم في عصر النبوة**، ص ١٢٧_١٣٧.

(٢) حول فتح بيت المقدس ينظر: **فتوح البلدان**، ص١٤٠؛ **تاريخ الطبري**، ٣/ ٦٠٧_٦١٣.

(٣) حول حصار القسطنطينية وتحليل نتائجه ينظر: **العالم الإسلامي في العصر الأموي**: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ط٣، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٤١_٢٦٢؛ **تاريخ الدولة الأموية ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م**: محمد سهيل طقّوش، ط٧، دار النفائس، بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٣٢_٣٥و ١١٤_١١٥ و١٣٠_١٣٣.

(٤) **العالم الإسلامي في العصر العباسي**: حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، ط٥، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ص١٦٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وأصبح تحقيق السّلم الإسلامي هدف الخلافة العباسية التي بذلت جهودًا معلومة للوصول إليه، وكانت نتائجه الثقافية أبقى أثرًا من السياسية، فلم يكن مجرّد كسب دبلوماسي بل تعدّاه إلى انفتاحٍ ثقافيّ هائل أشرعت فيه الحضارة الإسلامية أبوابها على بلاد التركستان وما وراء النهر والهند والشرق الأقصى وصقلية وجنوب إيطاليا، واقتبس المسلمون في هذه النقلة الحضارية من الثقافات الإغريقية والفارسية والهندية والصينية.(١)

وعلى الرغم من تراجع فكرة الاستيلاء على القسطنطينية وتهديد الوجود البيزنطيّ؛ ظلّ الجهاد ضد الرّوم مستمرًا في العصر العباسي الأول في شكل حملات كبيرة قادها أو أرسلها الخلفاء العباسيّون لحفظ حدود الدولة وترسيخ هيبتها، وكانت الحرب سجالًا بين الطرفين إذ "تابعت هذه الحملات إحداث الخسائر في أقاليم الحدود البيزنطية والإضرار بممتلكات السكان وحياتهم".(٢) واعتُبر خطّ الحدود بين الدولتين خطًّا دفاعيًا توجَّه إلى تحصينه اهتمام كلّ من المسلمين والروم، وظلَّ في أخذ وردٍّ بين الجانبين دون أن يخضع تمامًا لأحدهما.(٣)

صادف قيام الخلافة العباسية السنوات الأولى من حكم قسطنطين الخامس Constantine V (١٢٤_١٥٩هـ/ ٧٤١_٧٧٥م)، وكان البيزنطيون آنذاك مشغولين داخليًا بمحارية الأيقونات(٤)، هذه المشكلة التي مثّلت خطرًا هدّد روح الامبراطورية وعقيدتها وثقافتها وحضارتها،(٥) ولم تكن التحديات الخارجية أقل شأنًا إذ تنامى التهديد البلغاري على

(١) **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ص١٦١.

(٢) **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان، ٢/ ١٣٥.

(٣) **الحدود الإسلامية البيزنطية**، ١/ ٣٨٩.

(٤) **كلمة أيقونات** Icons مشتقة من الفعل اليوناني القديم (Eiko) بمعنى "أنا أشبه" أو "أماثل" والاسم (Eikon) ومعناه صورة أو صورة مقدّسة. ومحطّم الصور أو اللاأيقوني يسمى (Iconoclast)، ومناهضة عبادة الأيقونات أو الصور الدينية تسمى (Iconoclasm)، أما الشخص الذي يعبد الأيقونة أو الأيقوني فيسمى (Iconodule). ينظر: **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، ص١٠٢ (حاشية رقم ١).

(٥) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع،ص١٠٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ساحل البحر الأسود، كما ظلَّ اللومبارديون يزيدون من ضرباتهم على الممتلكات الغربية، وبتحالف البابوية مع الفرنجة ضاعت معظم إيطاليا رسميًا من الإمبراطورية البيزنطية.[1]

لم تمنع هذه الظروف قسطنطين الخامس Constantine V من انتهاز فرصة انشغال العباسيين بتدعيم أركان دولتهم، وشجّعه على ذلك ما وقع في إقليم الجزيرة من فتن واضطرابات أوائل حكم أبي العباس، فهاجم منطقة الثغور الجزرية عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م "ونازل كَمْخ"[2]، فاستنجد أهلها بأهل مَلَطْية "فخرج إلى الروم منهم ثماني مئة فارس فواقعهم خيل الروم فهزمتهم"[3]، ثم حاصر الرّوم مَلَطية، فوجّه أهلها رسولًا إلى عامل الجزيرة موسى بن كعْب التميمي، وكان إذ ذاك مُحاصَرًا بحرّان، حاصره أهل الجزيرة بعد أن ثاروْا وخلعوْا بيعة أبي العباس" فلم يُمكنه إغاثتهم، وبلغ ذلك قسطنطين فقال لهم: يا أهل ملطية! إني لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم، انزلوا على الأمان واخلوا المدينة وأخربها وأمضى عنكم"[4] فأبوْا عليه، فلما اشتدّ عليهم الحصار "نزلوا على أمانه فهدم المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة، ووجه مع المسلمين خيلًا حتى بلغتهم مأمنهم"[5] كما هدم الروم حصن قَلُوذِية[6].[7] وأناخ قسطنطين بقاليقلا[8] "وأرسل كوشان الأرمني فحصرها، فنقب إخوان من

---

(١) **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص١٠٦_١١٠.

(٢) **الكامل في التاريخ**: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزَري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج ٥، ص٤٤٧.

(٣) **فتوح البلدان**، ص١٨٦.

(٤) **فتوح البلدان**، ص١٨٦.

(٥) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ٧، ص٣٢٢.

(٦) **قلوذية**: حصن كان بقرب مَلَطيَة ذكر أنه هدم، ثم أعاد بناءه الحسن بن قحطبة في سنة ١٤١هـ في أيام المنصور، وإليه ينسب بطليموس صاحب المجسطي. ينظر: **معجم البلدان**، ٤/ ٣٩٢.

(٧) **فتوح البلدان**، ص١٨٧.

(٨) **قاليقلا**: مدينة بالثغور الإسلامية المقابلة لأرمينية، بنتها ملكةٌ من ملوك أرمينية اسمها قالي، فسمت المدينة: قالي قاله، ومعناه إحسان قالي. عدّها ابن خرداذبة من الثغور البكرية إلا أنه قال: "ثم ثغر قاليقلا في جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة إلا أنه كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة". ينظر: **معجم البلدان**، ٤/ ٢٩٩؛ **المسالك والممالك** لابن خرداذبّة، ص٢٥٤-٢٥٥.

الأرمن من أهل المدينة ردماً كان في سورها، فدخل كوشان ومن معه المدينة وغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء"[1] وبذلك أحدق الخطر بالثغور من كل صوب.

وفي عام ١٣٦هـ/ ٧٥٣م قدم والي الشام عبد الله بن علي على أبى العباس في الأنبار "فعقد له أبو العباس على الصائفة في أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة والموصل"،[2] فخرج يريد الروم وسار حتى بلغ دُلوك، فلما كان بأفواه الدروب أتاه خبر وفاة أبى العباس فانصرف.[3]

وهكذا لم تنفذ هذه الحملة التي كانت طليعة حملات العباسيين على بلاد الروم، وكانت الأعوام التالية حافلةً بالمتاعب حيث انشغل المنصور بقتال عمه عبد الله بن علي، وأثار مقتل أبي مسلم اضطرابات في خراسان، إضافة إلى حركات الخوارج في إقليم الجزيرة.[4]

وما إن هدأت الأمور الداخلية نوعًا ما حتى وجّه المنصور جُلّ اهتمامه لتأمين حدود الدولة "فتتبع حصون السواحل ومدنها فعمّرها وحصّنها وبنى ما احتاج إِلَى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور" [5] فكانت المصّيصة أوّل ما اعتنى بتحصينه من مدن الثغور الشامية، لأن الروم ألحَّوا عليها في بداية حكم بني العباس حتى جلى عنها أهلها، فأمر أبو جعفر ببناء المدينة عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م،"وكان حائطها متشعثًا من الزلازل".[6]فوجّه صالح بن عليّ _والي مصر_ جبريل بن يحيى إليها فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م وسماها المعمورة وبنى فيها مسجدًا جامعًا. ثُمَّ نقل إليها أهل مدينة الخصوص شرقي جيحان وهم

---

(1) **الكامل لابن الأثير**، ٥/ ٤٤٧.

(2) **تاريخ الطبري**، ٧/ ٤٧٣.

(3) **تاريخ الطبري**، ٧/ ٤٧٤؛ **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج٢، ص٢٩٩.

(4) **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان، ٢/ ١٤٨.

(5) **فتوح البلدان**، ص ١٦٣.

(6) **فتوح البلدان**، ص١٦٦.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

فرس وصقالبة وأنباط نصارى كان مروان بن محمد أسكنهم إياها، وأعطاهم خططًا في المدينة عوضًا عن منازلهم.[1]

ويظهر من نصوص المؤرخين أن معالجة أمر الثغور في خلافة أبي العباس وصدر خلافة المنصور كانت منوطةً بوالي الشام تارة وبوالي مصر تارة أخرى، وهذا يعني أن تنظيمها الإداري لم يأخذ شكلًا واضحًا إلى هذه اللحظة. وأدرك المنصور خطورة الأمر وهو العليم بمنطقة الثغور حيث كان واليًا على الجزيرة لأخيه أبي العباس طوال مدّة خلافته. وانعكست معرفته بطبيعة المنطقة على تعامله معها، فكتب عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م "إلى صالح بن علي يأمره ببناء ملطية وتحصينها"،[2] ثم رأى أن يجعل للجزيرة وثغورها كيانًا إداريًا قائمًا بذاته، ومنطلقًا لغزو الروم[3]، فوجّه في ذات العام " عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام واليًا على الجزيرة وثغورها".[4] فتوجه إليها عام١٤٠هـ/ ٧٥٧م ومعه الحسن بن قحطبة[5] في جند خراسان، وأرسل إلى جند الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفًا، فعسكر بهم على ملطية. ثم جمع البنّائين من كل بلد لبنائها.[6]

وقد بذل الحسن بن قحطبة جهدًا كبيرًا في إتمام بناء مدينة ملطية وحثّ العمال بشتى الوسائل على الانتهاء من مهمتهم فكان يحمل الحجر ويناوله البنّاء، ويطعم الناس من ماله.[7] "فجدّ الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر، وبنى للجند الذين

---

(1) **فتوح البلدان**، ص١٦٦_١٦٧.

(2) **فتوح البلدان**، ص ١٨٧.

(3) **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٩٣، ج٣، ص٢١٦.

(4) **فتوح البلدان**، ص١٨٧.

(5) **الحسن بن قحطبة الطّائي**: أحد القادة الشجعان المقدمين في العصر العباسي. استخلفه المنصور سنة ١٣٦ هـ على أرمينية، ثم استقدمه سنة ١٣٧هـ لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن عليّ، وسيّره سنة ١٤٠هـ مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام إلى ملطية، وغزا الصائفة سنة ١٦٢هـ، وكانت وفاته ببغداد سنة ١٨١هـ. ينظر: **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج٢، ص٢١١.

(6) **فتوح البلدان**، ص١٨٧.

(7) **فتوح البلدان**، ص١٨٧؛ **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص١٠٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

سكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلا. وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلا منها، ومسلحة على نهر قباقب الذي يصب في الفرات".[1] وأسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم، ووضع فيها شحنتها من السلاح، وأقطع الجند المزارع وزاد في أعطياتهم. كما بنى المنصور حصن قلوذية الذي هدمه الروم.[2]

وبعد أن اطمأنّ أبو جعفر إلى انتظام أمر الثغور وتدارك ما خرّبه الروم وقع الفداء بينه وبين قسطنطين الخامس Constantine V عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م، فاستنقذ المنصور أسرى قاليقلا وغيرهم من الروم، وبناها وعمّرها ورد إليها أهلها، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم، فأقاموا بها وحموها.[3] وهذا أول فداء تذكره الحوليات الإسلامية في خلافة بني العباس.

كان البيزنطيّون يتابعون هذا السعي الحثيث من المنصور في تحصين الثغور، وربما أرادوا معرفة ذلك عن كثب حين أقبل الإمبراطور قسطنطين الخامس Constantine V في أكثر من مئة ألف فنزل جيحان، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم.[4] متجنبًا التورّط في معركة لن يكون هو وجيشه في استعداد لها.

وفي سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م أقبل إلى ملطية محمد بن إبراهيم الإمام في جند من أهل خراسان ورابط بها حتى لا يطمع فيها البيزنطيون، ولهذا السبب اجتذبت المدينة السكّان المدنيين، ورجع إليها من كان باقيًا من أهلها.[5]

وفي سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م بُنيت مدينة أذنة من الثغور الشامية، ووجّه إليها صالح بن عليّ جندًا من أهل خراسان مع مسلمة بن يحيى البجليّ، وجندًا من أهل الشام مع مالك بن

---

(١) **فتوح البلدان**، ص١٨٧.

(٢) **فتوح البلدان**، ص١٨٧.

(٣) **تاريخ الطبري**،٧/٥٠٠؛ **الكامل** لابن الأثير، ١١٩/٥.

(٤) **فتوح البلدان**، ١٨٧ـ١٨٨؛ **الكامل** لابن الأثير، ١١٩/5.

(٥) **فتوح البلدان**، ص١٨٨؛ **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، ٢١٧/٣.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

أدهم الباهلي ليعسكرواْ بها. كما وجّه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردن وغيرهم فبنى القصر الذي عند جسر أذنة على نهر سيحان.(1)

ومن الملاحظ أن مرحلة توطيد الحكم في الدولة العباسية لم تشهد حملات كبيرة ضد الروم،(2) إلا أن أبا العباس والمنصور أوليا منطقة الثغور اهتمامًا بالغًا مع ما كانت الدولة مشغولة به من اضطرابات داخلية، ودأبا على تولية أمرها إلى قادة من خاصة أهلهم ممن تمرّسواْ على الجهاد والحروب، واعتنواْ بتحصين الحدود وشحنها بالمقاتلة وبعث الصوائف والشواتي. ولاشك أن أبا جعفر كان مشغولًا بأمر الثغور ومعنيًّا بخطورته، فلم يكتفِ بتنظيمها إداريًّا وما يتبعه من إعداد وتهيئة؛ بل كان من جملة وصاياه لابنه محمد قبيل وفاته وصيته إيّاه بشحن الثغور وضبط الأطراف(3) حيث قال: "وليكن أهم أمورك إليك تحفُّظُ أطرافك، وسَدُّ ثغورك، وإكماش بعوثك، وارغب إلى الله عز وجل في الجهاد والمحاماة عن دينه وإهلاك عدوه بما يفتح الله على المسلمين ويمكِّن لهم في الدين، وابذل في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك، وتفقد جيوشك ليلك ونهارك، واعرف مراكز خيلك، ومواطن رحلك وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك.".(4)

ولم تخلُ هذه العلاقة _العدائية في مجملها_ بين المسلمين والروم من ملامح سلميّة كان لابدّ منها بين أي دولتين وإن طال أمد الحرب بينهما، فقد أهدى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس Constantine V إلى الخليفة أبي جعفر المنصور المعاصر له _وإن كانت

(1) **فتوح البلدان**، ص ١٦٨_١٦٩.

(2) **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان ١٥١/٢.

(3) **تاريخ الطبري**، ١٠٦/٨؛ **الكامل** لابن الأثير ٢١٧/٥.

(4) **تاريخ اليعقوبي**، ٣٣٥/٢-٣٣٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

المصادر الإسلامية لم تذكر اسم الإمبراطور_ لوحًا عظيمًا من الفضة بلغ من نفاسته عنده أن بعث به المنصور في جملة هداياه إلى الكعبة المشرفة.(١)

وعندما آلت الخلافة إلى المهديّ كانت الدولة العباسية قد استقرت بعد مرور ربع قرنٍ على قيامها، وتضاعف ثقلها السياسي ونمت مواردها المالية وازدادت قوّتها العسكرية، فأتمَّ المهديّ بناء ما بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها(٢). وفي المقابل؛ كانت الدولة البيزنطية في حالة تخبّط دينيّ وتدهور اقتصاديّ؛ فلم تفلح سياسة الاعتدال مع الأيقونيين التي اشتهر بها ليو الرابع _الخزري_ (١٥٩_١٦٤هـ/ ٧٧٥_٧٨٠م) في إحداث نوعٍ من الاستقرار،(٣) كما أدّت القرارات الاقتصادية التي أعلنتها الإمبراطورة إيرين Irene _الوصيّة على ابنها قسطنطين السادس Constantine VI وقسيمته في الحكم_ إلى تدمير الموارد المالية للدولة البيزنطية، ووقوع البلاد في شَرَك الفوضى.(٤)

ويمكن القول بأن المهديّ هو الذي وضع لجبهة الروم ذلك التقليد في الغزو السنوي وفي الحملات الدورية الوقائية، وهو أوّل من اتبع خطة التوازن فيما بين تصعيد الحرب إلى الدرجة القصوى والمحافظة في الوقت نفسه على الحدود والمواقع المتقدمة، ولعل استقرار الدولة ساعده في خلق هذا التوازن وتثبيته إلى حدٍّ بعيد. وعلى الرغم من ذلك فقد ظلّت علاقة الدولتين عدائية بدرجة كبيرة وإن لم تخلُ من مسارب سلميّة، وبلغ الجهاد العباسي ضد الروم ذروته في الفترة ما بين خلافة المهدي وخلافة المعتصم.(٥)

---

(١) **الجماهر في معرفة الجواهر:** محمّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت٤٤٠هـ)، طبعة حيدر أباد، الهند ١٣٥٥هـ، ص٦٧؛ **السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدول العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس:** سليمان الرحيلي، مكتبة التوبة، الرياض١٤١٤هـ، ص٧٤.

(٢) **فتوح البلدان**، ص١٦٣.

(٣) **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:** محمود سعيد عمران، ص١١١.

(٤) للمحافظة على ما تبقى لها عند السكان من مكانة؛ تجاوزت الحكومة البيزنطية عن كثير من الضرائب المقررة عليهم، وأمعنت في منح امتيازات للأديرة لما للرهبان من أهمية في تأييد إيرين، وبذلت الحكومة الهبات والمنح لسكان العاصمة وأسقطت عنهم ضريبة البلدية، وازداد تخفيض ضرائب التصدير والاستيراد المقررة على الموانئ خارج القسطنطينية. ينظر: **الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م:** السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢م، ص ٢٢٨.

(٥) **دولة بني العباس:** شاكر مصطفى، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣م، ج٢، ص٣٠٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

كانت أولى المواجهات في عهد المهدي حين جرّد الإمبراطور ليو الرابع الخزري حملة ضد سميساط، فأغار الروم عليها عام ١٥٩هـ/ ٧٧٥م وسبوا خلقًا كثيرًا من المسلمين، فوجّه إليهم المهدي أحد مواليه القادة لاستنقاذ المسلمين من عدوّهم.(١) وفي ذات العام خرجَ المهديّ من بغداد فعسكر بالبَرَدَان(٢) وأقام فيه حتى أنفذ عمّه العباس بن محمد على الصائفة، وجعل على مقدمته مولاه الحسن الوصيف وضمّ إليه جماعة من قادة خراسان. فأوغلوا في أرض الروم حتى بلغوا أنقرة لكنهم لم يفتحوها، وفتحوا مدينة ومطمورة(٣) كما فتحواْ قلعة (كاسن) في كبادوكيا(٤) وانصرفواْ سالمين.(٥)

أدرك الروم خطورة هجمات المسلمين، واستشرفواْ الصائفة التي غزاها ثمامة بن الوليد العبسيّ ونزوله دابق سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م ؛ فتحركواْ بهجوم مضاد في ٨٠ ألف مقاتل واجتازواْ درب الحدث قاصدين مرعش، فقتلواْ في طريقهم وسبواْ وأحرقواْ حتى صارواْ إلى باب المدينة وكان عيسى بن عليّ العباسيّ مرابطًا بحصنها، فخرج إليهم مواليه وأهل المدينة ومقاتلتهم فرشقوهم بالنبل والسهام، فكرّ الروم على المسلمين وقتلواْ من موالي عيسى ثمانية نفر واعتصم الباقون في المدينة فأغلقوها، وفشل الجيش البيزنطي في دخول مرعش فرفع الحصار عنها وعاد أدراجه.(٦)

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**، ٢/٣٤٧.

(٢) **البَرَدَان**: من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها، قرب صريفين وهي من نواحي دجيل. انظر: **معجم البلدان** ١/٣٧٥.

(٣) **المطمورة**: جمعها مطامير، وهي كهوفٌ أرضية في جنوب الأناضول ووسطه تكون تحت الحصون أو قربها، كان يلجأ إليها الناس من ويلات الحرب، وقد اشتهر أمرها في العصر العباسي حتى سُمّيَ الإقليم بالمطامير أو ذات المطامير. انظر: **دولة بني العباس**: شاكر مصطفى ٢/ ٢٩٩.

(٤) تعتبر هذه القلعة قاعدة تموين، وتضم مخازن الحبوب التي يحتاجها المسلمون كلما توغلواْ في آسيا الصغرى. ينظر: **تاريخ الدولة العباسية**: محمد سهيل طقوش، ط٧، دار النفائس، بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٨٣. (نقلًا عن: **Ramsay, W.M: The Historical Geography of Asia Minor: P 356.)**

(٥) **تاريخ الطبري**، ٨/ ١١٦؛ **الكامل** ٥/ ٢٣١.

(٦) **فتوح البلدان**، ص ١٨٩؛ **تاريخ الطبري** ٨/ ١٣٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ويذكر الطبريّ أن ثمامة علم بتحركات الروم "وهو مغترّ، فأتت طلائعه وعيونه بذلك فلم يحفل بما جاءوا به، وخرج إلى الروم وعليها ميخائيل بسرعان الناس فأصيب من المسلمين عدة".(١) فيما يذكر البلاذري أن ثمامة بن الوليد وجّه إلى الروم "خيلًا كثيفة فأصيبوا إلا من نجا منهم".(٢) ويبدو من الروايتين أن موقف ثمامة من هجوم الروم سواءً بتجاهله لخطورة الأمر أو سوء إدارته للمعركة _ لم يؤثر على النتيجة النهائية حيث فشل في صدّ الهجوم فشلًا ذريعًا، وبلغ الخبر المهديّ فأغضبه ذلك وعظُم عليه وأعدّ العدّة من فوره لغزو الروم، إذ لم يمكنه قبول هذا الارتداد الإسلاميّ أمام خطورة التحركات البيزنطية؛ فلمّا كان العام التالي ١٦٢هـ/ ٧٧٨م وجّه المهديّ قائده الحسن بن قحطبة الطائيّ في ثلاثين ألف مقاتل من أهل خراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن سوى مطّوّعة العراق والحجاز، فساحَ في بلاد الرّوم حتى بلغ حمّة أذرولية (دوريليوم) وبثّ سراياه في أرض الرّوم، ووجّه ابنه محمدًا بن الحسن إلى عمّوريّة، وأكثر التخريب والتحريق في بلاد العدوّ ثمّ قفل بعسكره سالمًا دون أن يفتحَ حصنًا أو يلقى جمعًا. وثقلت وطأة الحسن على الرّوم حتّى صوّروه في كنائسهم ليعرفه الناس وسمّوْه (الشّيتن) يعني _الشيطان_.(٣)

وفي هذا العام أيضًا ١٦٢هـ/ ٧٧٨م"غزا يزيد بن أُسَيْد السُّلمي من باب قاليقلا (تيودوسبوليس) فغنم وفتح ثلاثة حصون وأصاب سبيًا كثيرا وأسرى".(٤) وبالرغم من أن حملة الحسن بن قحطبة لم تحقق أهدافًا كبيرة؛ إلا أنها _مع حملة يزيد الناجحة_ ثبّتت حضورًا

(١) تاريخ الطبريّ، ٨/ ١٣٦.

(٢) فتوح البلدان، ص ١٨٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٢٩؛ فتوح البلدان، ص١٦٩.

(٤) تاريخ الطبري، ٨/ ١٤٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

إسلاميًا قويًا في منطقة الثغور والعواصم، وأظهرت يقظة الجيش العبّاسيّ في محاور الصراع المختلفة.[1]

وكان من أهم نتائج حملة الحسن بن قحطبة اقتراحه على الخليفة المهديّ بناء ثغريْ الحدث وطرسوس، إذ أنّه لّما خرج من بلاد الروم "نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها وهي خراب فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها وأحزر عدة من يسكنها فوجدهم مئة ألف. فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشحنتها من غيظ العدو وكبته وعز الإسلام وأهله وأخبره في الحدث أيضًا بخبر رغبه في بناء مدينتها".[2] وازدادت أهمية موقع الحدث عند الحسن لّما علم أن قائد الروم ميخائيل البطريق خرج منه إلى بلاد المسلمين. فأمر المهديّ بتقديم بناء الحدث وأنشأها عَلي بْن سُلَيْمان بن علي العباسيّ سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م وهو عَلَى الجزيرة وقنسرين وسميت المحمدية والمهديّة. فيما تأخّر بناء طرسوس إلى عهد الرشيد.[3]

ومما يسترعي الانتباه في نصوص البلاذري حول هذه الحملة قوله: "وكان في غزاة الْحَسَن هَذِهِ مندل العنزي[4] المحدث الكوفي ومعتمر بْن سُلَيْمان البصري[5]".[6] وهما من كبار فقهاء وعلماء ذلك العصر، وهذه إشارةٌ مهمّة إلى نشاط العلماءِ ومشاركتهم في الجهاد.

ويبدو أنّ الخليفة المهديّ لم يكْتَفِ بما تحقق إلى هذه اللحظة؛ فتهيّأ للغزو في العام التالي ١٦٣هـ/ ٧٧٩م وجمع الأجناد من خراسان وغيرها، وخرج بنفسه واستصحب معه ابنه

---

(١) **تاريخ الدولة العباسية**: محمد سهيل طقّوش، ص٨٣

(٢) **فتوح البلدان**، ص١٦٩.

(٣) **فتوح البلدان**، ص١٩٠.

(٤) أبو عبد الله مَنْدَل بن عليّ العنزيّ، من رجال الحديث و كان خيّرًا فاضلًا من أهل السُّنَّة، توفي بالكوفة في خلافة المهديّ سنة ١٦٨هـ. ينظر: **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ٦/ ٣٨١؛ **الأعلام للزركلي**، ج٧، ص٢٩٢.

(٥) الإمام الحافظ أبو محمد مُعْتَمِر بن سليمان بن طرخان التيميّ البصريّ، من موالي بني مُرَّة، ونُسِبَ إلى تَيْم لنزوله فيهم هو وأبوه. كان من كبار العلماء ووثّقه غير واحد من أئمة السلف، توفّي بالبصرة في خلافة الرشيد سنة ١٨٧هـ. ينظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي، ٨/ ٤٧٧-٤٧٨.

(٦) **فتوح البلدان**، ص١٩٠.

هارون وجمعًا من أهل بيته وخاصّته ووجوه دولته. وعَسْكَر بالبردان مدّة شهرين يتهيّأ للغزو، ثم سار من طريق الموصل فعَبَر الفرات إلى حلب، **وجعل ابنه هارون على رأس هذه الصائفة،** وضمّ إليه عيسى بن موسى، وعبد الملك بن صالح بن عليّ[1]، والحسن بن قحطبة، والربيع بن يونس الحاجب، والحسن وسليمان ابنا برمك ويحيى بن خالد بن برمك. وشيّع المهديّ ابنه حتى اجتاز الدرب وبلغ جيحان وارتاد بها مدينة الحدث التي سُمّيت المهدية. فسار هارون بالجيش الإسلاميّ مخترقًا بلاد الرّوم حتى نزل على قلعة (سمالو[2]) فحاصرها المسلمون ثمانية وثلاثين يومًا ونصبواْ عليها المجانيق ففتحها الله عليهم بالأمان بعد تخريبٍ لها، وعطشٍ وجوعٍ أصاب أهلها، وبعد قتل وجراحات كانت في المسلمين. وكان فتحُها على شروط شرطوها لأنفسهم: ألا يُقتلوا ولا يرحّلوا، ولا يفرق بينهم فأعطوا ذلك إلا الترحيل؛ فقد رُحّلواْ وأنزلوا ببغداد عَلَى باب الشماسية في موضع عُرف باسم قلعتهم.[3]

ولاشكّ أن هذه الصائفة من الأهمية بمكان، إذ بدأ يظهر فيها اسم الأمير الفتى هارون الذي يُعِدُّه والده الخليفة لمهام الدولة الجسيمة فولّاه هذه الغزوة وضمّ إليه كبار القادة وهو في الخامسة عشرة من عمره، كما أعدّ لها المهديّ العدّة في البردان لشهرين متتالين عبّأ فيها الجيش وأعطى الأعطيات وأخرج الصلات، وكان لآل برمك إسهامٌ جليل في المعركة وفي ذلك يقول الطّبريّ: "وكان لخالد في ذلك بسمالو أثرٌ جميل لم يكن لأحد".[4]

ومع استمرار الصراع الإسلاميّ الروميّ وازدياد ضغط الدولة العباسية على الدولة البيزنطية **كانت الأخيرة تواجه صعوبتين أضعفتا قدراتها الدفاعية عام ١٦٤هـ/ ٧٨٠م**: إذ

---

(1) **أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشيّ**، كان من رجالات قريش وكفاتهم، ولي المدينة وغزو الصوائف للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين. كان فصيحًا بليغًا شريف الأخلاق مهابًا شجاعا، ولم يكن في دهره مثله في صيانته وجلالته، توفي بالرقة عام ١٩٦هـ. ينظر: **سير أعلام النبلاء للذهبي، ٩/ ٢٢٢.**

(2) **سمالو**: تلفظ بالصاد (صمالو) قلعة روميّة قرب المصيصة وطرسوس. ينظر: **معجم البلدان، ٣/ ٤٢٣.**

(3) **فتوح البلدان**، ص١٧١؛ **تاريخ الطبري، ٨/ ١٤٤– ١٤٨**؛ **الكامل** لابن الأثير، ٥/ ٢٤٤.

(4) **تاريخ الطبريّ، ٨/ ١٤٦.**

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

توفّي الامبراطور ليو الرابع الخزري واعتلت زوجته إيرين Irene العرش كوصيّة على ابنها قسطنطين السادس الذي لم يكن عمره وقتذاك يزيد على عشر سنوات، مما أدّى إلى نشوب فتن داخلية أثارها بعض أفراد الأسرة الحاكمة. أما الصعوبة الثانية فهي تعرُّض بيزنطة لثورة كبيرة في صقلّية، فاضطرّت إلى توزيع قواتها بين هذه الجزيرة والجبهة الشرقية مع المسلمين.(١)

وفي هذا العام غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث، وكان الرّوم قد أعادواْ ترتيب صفوفهم بعد غزوتي الحسن وهارون، فأقبلواْ إلى جيش المسلمين في تسعين ألفًا يقودهم ميخائيل البطريق وطازاذ الأرمني البطريق، فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم، واعتبر المهدي ذلك الانسحاب هزيمةً وأراد قَتْل عبد الكبير، فشُفّع فيه فحبسه في المُطْبِق.(٢)

سارع المهديّ إلى ردّ الاعتبار بعد انسحاب جيشه أمام القوة البيزنطية المتأهّبة، فوجّه ابنه هارون على رأس حملة انتقاميّة في العام التالي ١٦٥هـ/ ٧٨١م، وتعتبر هذه الصائفة أكبر حملة جهاديّة تمّت في عهد المهديّ، الذي هيأ لها جيشًا كثيفًا بلغ تعداده حوالي ١٠٠ ألف جندي، وحمل لها من المال حوالي المائتي ألف دينار ومن الفضة ٢٢ مليونًا تقريبًا، وضمّ إلى هارون كبار قادة الجيش منهم يزيد بن مزيد الشيباني كما ضمّ إليه الربيع بن يونس الحاجب، وهذا يعني أن الدولة العباسية ألقت بثقلها كله في هذه الحرب الضروس.(٣)

سار هارون أواخر جماد الآخرة وتوغّل في بلاد الرّوم وعينُه على عاصمتهم، لكنّه موّه أهداف حملته وأرسل قوة عسكرية هاجمت ثغر تراقيسيون في أقصى الغرب وأحرزت فيه انتصاراتٍ حاسمة.(٤) بينما واصل الجيش الرئيسي زحفه نحو العاصمة فافتتح في طريقه حصن

---

(١) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، ص١٢٢؛ **تاريخ الدولة العباسية**: محمد سهيل طقّوش، ص٨٤.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ١٥٠؛ **الكامل لابن الأثير**، ٥/ ٢٤٦.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٨/ ١٥٢؛ **الكامل لابن الأثير**، ٥/٢٤٨؛ **العالم الإسلامي في العصر العباسي**: حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، ص١٦٥.

(٤) **تاريخ الدولة العباسية**: محمد سهيل طقّوش، ص٨٤؛ **الدولة البيزنطية**: السّيد الباز العريني، ص ٢٢٩.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

ماجدة، ولقيته فرق الفرسان البيزنطية بقيادة نقيطا (نيكيتاس) قومس القوامسة فأثخنه يزيد بن مزيد وانهزم الروم وغلب يزيد على عسكرهم. واستمر هارون في اختراق آسيا الصغرى باتجاه الشمال الغربي ووصل إلى ولاية نيقوميديا المشرفة على البسفور وبحر مرمرة وهزم دُمستقها[1] (صاحب المسالح)، وشدد هجماته حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية.[2] ويؤكد ثيوفانو ذلك إذ ذكر أن هارون وصل إلى مدينة كريسوبوليس chrysopolis على البسفور (اسكي دار حاليًا).[3]

اضطرت الإمبراطورة إيرين Irene (أغسطة امرأة ليون) أمام هذا التوغل في جوف أملاك الدولة البيزنطية إلى شراء الصلح من المسلمين، إذ كانت هذه أوّل مرة منذ خسين سنة يصل فيها الجيش الإسلامي مشارف القسطنطينية ويهددها، فجرت بينها وبين الأمير هارون بن المهدي الرسل والسفراء في طلب الموادعة وإعطائه الفدية، فقبل ذلك منها هارون بشروط:

١. أن تدفع إيرين Irene جزية سنوية مقدارها ٩٠ أو٧٠ ألف دينار تؤدّيها في نيسان الأول في كل سنة، وفي حزيران.
٢. تسليم ما لدى الروم من أسرى المسلمين جميعًا.
٣. تقيم بيزنطة الأسواق على طريق عودة الجيش الإسلامي وتقدّم له الأدلّاء وذلك أنه دخل مدخلاً صعباً مخوفاً على المسلمين.
٤. توقُّف الحرب بين المسلمين والروم لمدة ثلاث سنوات.[4]

وكانت نتائج هذه الغزوة عظيمة على المسلمين، فإضافة إلى الهدنة المهينة لبيزنطة، حفلت المصادر الإسلامية بتفصيلات عن أعداد قتلى الروم وأسراهم وجملة الغنائم التي اجتمعت

(١) **الدُّمُسْتُق:** لقبٌ يُطلق على أكبر البطارقة ورئيسهم، وهو النائب عن الملك، ويُطلق عادة على قائد قوات اللواء أي القائد الأعلى للجيش البيزنطيّ. ينظر: **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية:** أنور محمود زناتي، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، عمّان ٢٠١١م، ص١٦١.

(٢) **تاريخ الطبري،** ١٥٢/٨؛ **الكامل لابن الأثير،** ٢٤٨/٥.

(٣) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية:** محمّد حسنين ربيع، ص١٢٦ (نقلًا عن: **Canard, ' les expeditions des Arabes', pp. 102-4**).

(٤) **تاريخ الطبري** ١٥٢/٨-١٥٣. **الكامل لابن الأثير** ٢٤٨/٥-٢٤٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

للمسلمين،(١) وارتفعت مكانة الأمير هارون عند أبيه ففي منتصف محرم عام ١٦٦هـ/ ٧٨٢م رجع هارون بجيشه ظافرًا إلى بغداد وقدِمت الرّوم بالجزية معه، فأخذ المهديّ البيعة له بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادي ولقّبه الرّشيد، وفي هذه المعركة يقول مروان بن أبي حفصة(٢):

أَطَفْتَ بقُسْطَنْطِينَةِ الرُّومِ مُسْنِدًا ... إليْهَا القَنَا حتى اكتسَى الذُّلَّ سورُهَا

وما رِمْتَـهَا حتى أتتـكَ مُلُوكُها ... بِجِزْيَـــتِها، والحربُ تغلي قُدُورُها (٣)

ولعلّ السؤال الذي يُلحّ على من يتتبع سير هذه الغزوة هو: لماذا لم يتقدّم هارون الرشيد لفتح القسطنطينية وقد توغّل في قلب الدولة البيزنطية حتى وقف على أبواب عاصمتها دون أن يواجه مقاومةً شرسة؟

الواقع أنه لم يكن بإمكان الجيش العباسي أن يتقدّم لحصار القسطنطينية وفتحها؛ لأنه لم يكن يملك القوة البحرية التي لابد منها لحصار تلك المدينة، ولأن الجند العباسيّ كان قد أُنهِكَ في هذه الغارة البعيدة الخطوط، كما كان مهددًا كل التهديد بأن تُقطع عليه طرق العودة وأن تنصب فيها الكمائن والهجمات الجانبية أثناء الانسحاب.(٤)

ويبدو أن ما اتسمت به استراتيجية الدولة العباسية في حروبها مع الدولة البيزنطية مثّلت سببًا مباشرًا في عدم إقدام الرشيد، إذ كان الهدف الأوّل للعبّاسيّين هو تأمين حدود الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، وضمان استقرار هذه المساحة الجغرافية الممتدة من تخوم الصين إلى أعتاب الأندلس، ولم يهدفواْ إلى القضاء على الرّوم بشكل كامل ولذلك اعتبرواْ خط الحدود

---

(١) في تفصيلات غنائم المعركة ينظر: **تاريخ الطبري** ٨/١٥٢-١٥٣.

(٢) **مروان بن أبي حفصة**: أبو الهيذام، مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد، كان مولى لمروان بن الحكم الأمويّ ثمّ أعتقه، وقيل: بل كان أبو حفصة طبيبًا يهوديًّا، فأسلم على يد عثمان، أو يد مروان. وكان مروان بن أبي حفصة من أهل اليمامة، فقدم بغداد، ومدح المهدي والرشيد ونال عندهما حظوة كبيرة. ينظر: **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواردِيها**: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج ١٥، ص١٨٢-١٨٦.

(٣) **تاريخ الطبري** ٨/١٥٣-١٥٤.

(٤) **دولة بني العباس**: شاكر مصطفى، ٢/٣٠٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

خطًا ينتهي إليه سلطانهم الفعليّ ولا يتجاوزونه إلا لتأديب الروم والردّ على اعتداءاتهم. ولعلّنا نستثني من ذلك خطة الفتح التي قد تبدو في خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) والتي سعى إليها من خلال دعمه لثورة توماس الصقّلبي ضد الإمبراطور ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ/ ٨٢٠-٨٢٩م) وعزمه على فتح القسطنطينية.[1]

ومهما يكن من أمر، فإن الروم نقضواْ الهدنة التي أخذتها إيرين Irene على نفسها أمام الرشيد قبل انتهاء المدة بأربعة أشهر، فوجه علي بن سليمان (وهو يومئذٍ على الجزيرة وقنسرين) يزيد بن بدر بن البطال في سرية إلى الروم عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤م فغنموا وظفروا.[2]

ومع أنّ خلافة موسى الهادي بن محمد المهديّ لم تتجاوز العام الواحد إلا أن الطبري يذكر خروج صائفة فيها للردّ على الرّوم، وكانواْ قد خرجواْ مع بطريقهم إلى مدينة الحدث التي هرب واليها وجندها وأهل أسواقها ودخلها العدو عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، فدخل يحيى بن معيوف أرض العدو وبلغ مدينة أُشْنُة[3]، وأصاب المسلمون سبايا وأسارى وغنموا.[4]

ويُلاحظ في سير الحملات الدورية المتبادلة بين المسلمين والرّوم أن الغلبة لا تكون لطرف على الآخر وأنّ النتيجة تبقى متراوحة بين الفريقين كلّ حين. وكان للحوادث التي جرت في خلافة المهديّ ومشاركة هارون الرشيد فيها قبل توليه الخلافة أثرٌ كبيرٌ على طبيعة العلاقة التي جمعت بين المسلمين والروم في أزهى عصور الخلافة العباسية _أعني خلافة الرشيد_، وهو ما سنراه في الصفحات القادمة.

(1) أشار فازيلييف إلى نيّة المأمون مهاجمة القسطنطينية نفسها، وناقش طبيعة هذا الحلف الذي قضت شروطه بأن يمدّ المأمون توماس بجيش قويّ، وعلّق على ذلك بقوله: (إننا نلاحظ حلفًا حقيقيًا كاملًا بين توماس والعرب، فلم يكن وجود الفرق العربية في جيش توماس اتفاقًا، ولم يكن دخولهم فيه رغبة في السلم والغنيمة؛ وإنما كان المأمون في ذلك متّبعًا خطّة دقيقة التحديد عدائية للروم...). ينظر: **العرب والروم**: فازيلييف، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، ص٢٧و ٣٦و٣٧.

(2) **تاريخ الطبري**، ٨/ ١٦٧.

(3) **أُشْنُة**: في طرف أذربيجان من جهة إربل، يُنسب إليها جماعة من الرواة. ينظر: **معجم البلدان** ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(4) **تاريخ الطبريّ**، ٨/ ٢٠٣-٢٠٤؛ **الكامل لابن الأثير**، ٥/ ٢٦٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثاني: ملامح علاقة العباسيين بالروم خلال خلافة الرشيد.

لما أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد بعد أخيه موسى الهادي عام ١٧٠هـ/ ٧٨٥م، كانت الدولة الإسلامية قد وصلت إلى أوج استقرارها لا في الخلافة العباسية فحسب؛ ولكن في التاريخ الإسلاميّ كله، وبلغت أحوالها الفكرية والسياسية والاجتماعية والعسكرية شأوًا بعيدًا من الخصب والثراء، وتجمّعت كل روعة فترة الاستقرار هذه في عهد الرشيد الذي يمكن أن يُعتبر ممثلًا لها وتعتبر سيرته نموذجًا لهذا الثراء.[١]

وقد زخرت المصادر الإسلامية بأخبار الخليفة هارون الرشيد، وأفاض المؤرخون قديمًا وحديثًا في تناول سيرته وأخبار دولته بالبحث والدراسة، وكان الرشيد من أكثر الشخصيات الإسلامية التي تعرضت للطعن والتشويه من أقلامٍ عربية وغربية؛ ولا عَجَب، فلم يكن التشويه عملًا اعتباطيًا قادت إليه الصُّدفة؛ بل كان مدروسًا ومحكمًا سُدِّدَ لواسطة العقد في الحضارة العربية الإسلامية لأن ذروة هذه الحضارة بما فيها من خير ورفاه وتقدّم علمي تمثلت في عصر الرشيد، وكانت الدولة العباسية في عهده الدولة الأقوى في العالم كله، فجاء الطعنُ في قائد هذه الفترة طعنًا في كل ما أوصل الأمة إلى عزّها من دينٍ وأخلاق وقيم ومعرفة، ليؤدي هذا التشويه إلى تغلغل عقدة النقص في أجيال الأمة، فتزهد في صانعي تاريخها وأعلام فكرها وتنسلخ من هويّتها وتفقد شخصيتها التي ميّزتها على أمم الأرض جمعاء.[٢]

وإذ نقول ذلك؛ فهذا لا يعني أن خلافة الرشيد كانت معصومةً من الزلل، بل اكتنفها ما يسري على أعمال البشر من خطأٍ ونقصان، وإيضاح الحالين معًا هو هدف المؤرخ الحقّ، واحترام التراث ورجالاته احترامًا وسطًا بين التقديس والتشويه هو غاية ما يصبو إليه العاقل، وغايةُ ما يطلبه التراث من أبنائه المنصفين.

---

(١) **دولة بني العباس**: شاكر مصطفى، ١/ ٣٨٤ وما بعدها.

(٢) بتصرف من : **هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا**: شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط٤، دمشق ١٩٩٩م، ص٢٥٤-٢٦٠.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ومهما يكن من أمر، فإنّ البحث في سيرة الرشيد بحثٌ يطولُ ولا يُملّ، بيد أن الذي يختصّ بهذه الدراسة من سيرته ما يتعلّق بجهاده ضد الروم ومسارب السّلم التي تخللت علاقته بهم، إذ كان ميدان الحروب المباشرة مع البيزنطيين معروفًا عند الرشيد وهو الذي تولّى قيادتها منذ كان في الخامسة عشرة من عمره أيام أبيه المهديّ، وأظهر بعد توليه الخلافة نشاطًا متميزًا فاق سابقيه إذ "اجتهد في إقامة الجهاد، وأنفق الأموال الوافرة في الثغور وأهلها، وكان يَقْدُمُ حلب ويرتب أمر الغزو منها".(١) وكان الرشيد يحجّ عامًا ويغزو عامًا، وإذا لم يغْزُ غزا بالصائفة كبارُ أهل بيته وقوّاده، وقد اتخذ قلنسوة يلبسها مكتوبٌ عليها (غازٍ وحاج)، وفي ذلك قال أبو المعالي الكلابيّ:

فمن يَطلُب لِقاءَك أو يُرِدْهُ ... فَبِالحرمَينِ أو أقصَى الثُّغُورِ
ففي أرضِ العدوِّ على طِمِرٍّ ... وفي أرض البَنِيّةِ فَوقَ طُورِ(٢)
وما حَازَ الثُّغُورَ سِوَاكَ خَلْقٌ ... مِن الـمُسْتَخلَفِينَ على الأُمُورِ(٣)

وقد استمر الصراع بين العباسيين والبيزنطيين في عهد الرشيد واتّسمت علاقتهما بالعدائية إلا ما تخللتها من سنوات الهدنة المتفرّقة، وتعاقب على عرش القسطنطينية بقية أباطرة الأسرة الأيسورية، قسطنطين السادس Constantine VI وأمه الإمبراطورة إيرين Irene وصيّة عليه ١٦٤هـ-١٧٤هـ/ ٧٨٠م-٧٩٠م، ثم انفرد قسطنطين بالحكم ولكنه جعل إيرين قسيمةً له في الإمبراطورية ١٧٤هـ-١٨١هـ/ ٧٩٠-٧٩٧م، إلا أن الإمبراطورة إيرين تآمرت

(١) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ١/ ٤٧.

(٢) **الطِمِرّ**: الجوادُ المستفزُّ للوثب والعدو، مشتقّ من الطُّمُور وهو الوَثْب وإنما يعني بذلك سرعته؛ **أرض البَنِيَّة**: أي مكة، **والبَنِيَّةُ** هي الكعبة وسميت بذلك لشرفها إذ هي أشرف مَبْنِيّ؛ **الطُّور**: الجبل. ينظر: **لسان العرب** لابن منظور، مادة (ط م ر) ٤/ ٥٠٣؛ ومادة (ب ن ي) ١٤/ ٩٥؛ ومادة (ط و ر) ٤/ ٥٠٨.

(٣) ينظر: **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٢١؛ **تاريخ بغداد**، ج١٦، ص٩؛ **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**: عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاتة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣، ص٢٨٢.

على ابنها وسملت عينيه وانفردت بالعرش في الفترة من١٨١هـ-١٨٦هـ/ ٧٩٧-٨٠٢م)، وردّ لها نقفور Nicephorus I الجريرة بانقلابه عليها وتوليه الحكم من (١٨٦-١٩٦هـ/ ٨٠٢-٨١١م)، ويمكن تقسيم هذه العلاقة بشكل مجمل إلى فترتين:

١. فترة الهدوء النسبي الذي امتدّ من ما بين ١٧٠هـ-١٨٦هـ/ ٧٨٦م-٨٠٢م.

وهذا الهدوء لا يعني أن الحرب انقطعت في السنوات السبع عشرة الأولى من خلافة الرشيد بل استمرت ولكنها كانت محدودة الأثر.[١] ففي حين استقرّت أوضاع الدولة العباسية وازدهرت الحياة بكل مناحيها؛ كانت الدولة البيزنطية تشهد اضطرابات سياسية ودينية كبيرة حيث بقيت الامبراطورة إيرين على رأس السلطة وصية على ابنها قسطنطين، وكان الصراع الديني حول عبادة الأيقونات متصاعدًا أججته إيرين بتعيينها تاراسيوس بطريركا جديدًا على كنيسة القسطنطينية، وعقدها لمجمع نيقية الذي قرر إعادة تبجيل الأيقونات كما كان عليه الحال من قبل وذلك عام ١٧١هـ/ ٧٨٧م.[٢]

أدّت هذه القرارات إلى انقسام هائلٍ داخل جسم الدولة البيزنطية، إذ عارضت القوات العسكرية المرابطة في ثغور آسيا الصغرى قرارات المجمع، فيما أيدتها الكنسية ورجال الدين ودعمتها إيرين Irene . وظهرت آثار هذا الانقسام حين وقع الصدام بين الإمبراطورة وابنها قسطنطين السادس Constantine VI بسبب تمسكها بالوصاية عليه والاحتفاظ بالسلطة رغم بلوغ ابنها سن الرشد وحرصه على مباشرة الحكم، فانحاز إليه المعارضون للسياسة الأيقونية والقوات المرابطة في القسطنطينية، غير أن المعارضة الشديدة لحكم إيرين

(١) **دولة بني العباس**، ٢/ ٣٠٩.

(٢) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، ص١٢٣.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

جاءت من قبل القوات المرابطة في سائر ثغور آسيا الصغرى والتي ناصرت قسطنطين حتى انفرد بالسلطة عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م إلا أنه سمح لأمه بمقاسمته الحكم.[١]

غير أن السياسات المضطربة التي اتبعها قسطنطين عرّضه لسخط كافة فئات شعبه إذ أنزل عقوبات قاسية على أعمامه وأنصاره من رجال الجيش، وخالف قوانين الكنيسة ومبادئ الأباطرة بانفصاله عن زوجته وارتباطه بإحدى وصيفات القصر وتتويجها امبراطورة، مما شجّع إيرين على انتهاز الفرصة فأمرت عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م بسمل عيني قسطنطين وانفردت بحكم الدولة البيزنطية كأول امرأة تصل إلى هذا المنصب.[٢]

كان من الطبيعي في مثل هذه الظروف التي عانت منها الدولة البيزنطية أن تتلقى صفعات قاسية من أعدائها التقليديين، وسجّلت الحوليات الإسلامية الصوائف والشواتي التي كانت تخرج كل عام إلى أراضي الروم يقودها الخليفة أو أحد أقاربه وقادته. وكانت أبرز هذه المواجهات غزو الرشيد عامَ وَلِيَ الخلافة سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م حيث خرج حتى غزا أطراف الروم، وانصرف في شعبان، ثم حج بالناس من بغداد آخر السنة وأعطى أهل الحرمين عطاءً كثيرًا، وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له: إن هذا الأمر صائرٌ إليك في هذا الشهر فاغْزُ وحُجّ ووسِّع على أهل الحرمين، ففعل هذا كله،[٣] وفي ذلك يقول داود بن رَزِين الواسطي:

بهارونَ لَاحَ النُّورُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وقَامَ بِهِ فِي عَدْلِ سِيــرَتِهِ النَّهْجُ
إمــامٌ بذاتِ الله أصبحَ شُغْلُهُ ... وأكثرُ ما يُعْنَى بِهِ الغَزْوُ والحَجُّ[٤]

(١) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، ص١٢٤.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٣٤؛ **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٣٤٥.

(٤) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٣٤؛ **البداية والنهاية**: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٧م، ج٧، ص١٤٨.

وذكرت المصادر أن سليمان بن عبد الله البكائي غزا الصائفة عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م،[١] وهذا لا يمنعُ خروج الرشيد أيضًا، فكثيرًا ما كانت تخرجُ أكثر من غزوة لبلاد الروم في العام الواحد ومن أكثر من محور.

وفي سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م نزل الرشيد بالجيش في مرج القلعة[٢]، وبعث على الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي العبّاسي[٣]، كما غزا فيها – سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م – زفر بن عاصم الهلالي[٤]، حيث أرسل ابنه عبد العزيز على قيادة الجيش ، فمضى حتى أتى نهر جيحان، وقُتِل بسبب البرد الشديد.[٥] أما في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م فقد سيّر الرشيد ثلاث صوائف وشاتية؛[٦] كانت الصائفة الأولى أواخر المحرم وقادها عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي،[٧] والصائفة

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر ولم يرد عنه خبرٌ غير قيادة هذه الصائفة. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٢٣٤/٨؛ **الكامل** لابن الأثير،٢٧٩/٥؛ **البداية والنهاية**، ١٤٨/٧.

(٢) **مَرْجُ القَلْعَة**: مرجٌ دون حُلوان بالعراق–وحلوان في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد–، وإياه عَنَت عُليّة بَنت المهدي بقولها، وكانت قد خرجت إلى خراسان صحبة أخيها الرشيد فاشتاقت إلى بغداد فكتبتْ على مِضرَب أخيها:

وَمُغْتَـرِبٍ بِالمرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ المُسْعِدُونَ عَلَى الحُبِّ
إِذَا مَا تَرَاءَى الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ تَنَشَّـقَ يَسْتَشْفِي بِـرَائِحَـةِ الرَّكْبِ

فلما وقف عليه الرشيد قال: حنّت عُليّة إلى الوطن، وأمرها بالرجوع إلى بغداد. ينظر: **معجم البلدان**، ٢٩٠/٢ و١٠١/٥.

(٣) **أبو يعقوب إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي**، من أمراء الدولة العباسية. ولي إمرة المدينة سنة ١٧٠هـ للرشيد، ثم ولي السند ومكران سنة ١٧٤هـ وولي الإمارة بمصر سنة ١٧٧هـ فاستمر سنة وأيامًا وصُرف عنها. ينظر: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين، تحقيق: مُحَّد البرهامي منصور وآخرون، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ج٢، ص٨٧؛ **الأعلام** للزركلي، ج١، ص٢٩٥.

(٤) **زفر بن عاصم بن عبد الله بن بريد الهلالي**: كان من قادة الدولة العباسية، إذ وليَ حلب لأبي العباس السفاح وللمنصور عام ١٣٧هـ وغزا الصائفة عامي ١٥٤هـ و١٥٦هـ، ووليَ للمهديّ المدينة عام ١٦٠هـ والجزيرة عام ١٦٣هـ، كان راويًا للحديث يروي عن أهل المدينة وعمر بن عبد العزيز وروى عنه مالك بن أنس. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٤٧٥/٧و ٤٤/٨و ٥٠و١٣٢و١٤٧و٢٦٠؛ **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ٨/ ٣٨٠٣–٣٨٠٥؛ **الثقات**: مُحَّد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج٦، ص٣٣٨.

ج٦، ص٣٣٨.

(٥) **تاريخ خليفة بن خياط**، ص١٣٣،

(٦) **تاريخ الطبري**، ٢٥٥/٨؛ **الكامل** لابن الأثير،٣٠١/٥؛ **تاريخ خليفة بن خياط**، ص٤٥٠؛ **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ . ١٩٣هـ)**: مُحَّد بن ناصر الملحم، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى، المجلد الثاني عشر، العدد العشرون، صفر سنة ١٤٢١هـ، ص٦٢٤.

(٧) لم أجد له ترجمة.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

الثانية في ربيع الأول بقيادة عبد الله بن صالح[1] أما الثالثة فكانت في جماد الأول على يد يسار بن سقلاب،[2] كما أمر الرشيد سليمان بن راشد الثقفي[3] أن يقود الشاتية في ذات العام.

أما في عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م فكانت الصائفة بقيادة معاوية بن زُفَر بن عاصم[4] بينما يلفت النظر خبر الشاتية التي كانت بقيادة سليمان بن راشد الثقفي وكان يرافقه بطريق صقلية، مما يوحي أن ثورة الصقليين على بيزنطة قد أدّت إلى وصول بطريقهم إلى بغداد واشتراكه في بعض الحملات ضد الروم.[5]

وفي عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م اتخذ الرشيد خطوة من أهم الخطوات الجديدة بالانتباه في هذه الفترة -والتي كان لها دورٌ في تكثيف نشاطه على الجبهة الروميّة- وهي انتقاله إلى مدينة الرّقّة من إقليم الجزيرة على الضفة اليسرى لنهر الفرات "فنزلها واتخذها موطنًا له"[6] طوال الثلاثة عشر عامًا الأخيرة من خلافته (١٨٠-١٩٣هـ/ ٧٩٦-٨٠٨م)، وقد حجّ منها ثلاثة أعوام وغزا ثلاثةً أخرى، وعدّها الخليفة العاصمة الثانية بعد بغداد وأسماها (مدينة الرشيد) وجعلها مقرًا لإقامته وعمله، وكان وروده على مدينة السلام بعد ذلك قليلا.[7]

ولعل هذا الانتقال من (بغداد) عاصمة آبائه وأجداده يعود إلى أسباب عدّة؛ منها رغبة الرشيد في القضاء على جيوب الحركات الأموية المعارضة وحركات الخوارج التي كانت تتركز

---

(1) **عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي القرشي**، من أمراء الدولة العباسية، تولى إمرة الثغور وقيادة بعض الصوائف للرشيد. ينظر: **سير أعلام النبلاء**، ٢٢٢/٩.

(2) لم أجد له ترجمة في المصادر ولم يرد عنه خبرٌ غير قيادة هذه الصائفة وأنه غزا بأهل المصيصة فأدرب في الصفصاف ثم إلى طوانة، ثم قفل فنزل مرج الشحم فغنم وسلم. ينظر: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص٤٥٠.

(3) لم أجد له ترجمة أو خبرا سوى ما أوردته المصادر من قيادته للشواتي عامي ١٧٧هـ و١٧٨هـ. ينظر: **تاريخ خليفة بن خياط**،ص٤٥٠؛ **تاريخ الطبري**، ٢٦٠/٨؛ **الكامل**، ٣٠٤/٥.

(4) **معاوية بن زفر بن عاصم ابن عبد الله بن بريد الهلالي**، لم أقف على ترجمة له، إلا أن المصادر ذكرت **أخبار أبيه زُفر** ويبدو أن ثقة الخلفاء العباسيين بزفر وأبناءه جعلتهم يستعملونهم على مختلف الولايات. ينظر الصفحة السابقة من هذه الدراسة، هامش٤.

(5) **تاريخ الطبري**، ٢٦٠/٨؛ **دولة بني العباس**، ٣١٣/٢.

(6) **تاريخ الطبري**، ٢٦٦/٨.

(7) **معالم بغداد الإدارية والعمرانية-دراسة تخطيطية-**: صالح أحمد العلي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م، ص٤٠-٤١؛ **هارون الرشيد وعصره**: أندري كلو، تعريب وتعليق: محمّد الرّزقي، سراس للنشر، تونس ١٩٩٧م، ص١٠٣.

في إقليمي الشام والجزيرة،(١) إضافة إلى اتخاذه مدينة الرّقّة قاعدة إدارية وعسكرية متقدمة لترتيب أمر الثغور وانطلاق الحملات العسكرية إلى بلاد الروم. ومن جهة أخرى فإن الرشيد أَنِسَ بالرقّة لطيب هوائها ولطافة مناخها في الصيف واعتداله في الربيع، وتوفّر له بذلك مُناخٌ طيّب زاد من اهتمامه بإقامة مجالسه العلمية والأدبية فيها.(٢) وشهدت الفترة التالية لاستقرار الرشيد في الرّقة نشاطًا ملحوظًا في المعارك بين المسلمين والروم نوعًا وكمًا.

وفي ذات العام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م قاد الرشيد الصائفة بنفسه وشاركه فيها معاوية بن زفر بن عاصم، وأقام الجيش في الرقّة شهرًا يُعدّ نفسه للغزو، ثم اتّجه إلى الثغور الشامية ووصل إلى أرض الروم وفتح مدينة مَعْصُوف(٣) وأسر وغنم ثم عاد إلى الرقّة مرة أخرى وأقام بها بقيّة عامه ذلك.(٤)

وغزا الرشيد الروم عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م وافتتح حصن الصفصاف(٥) عنوة فقال مروان بن أبي حفصة:

إن أمير المؤمنين المصطفى قد تركَ الصفصاف قاعًا صفصفا (٦)

كما غزا عبد الملك بن صالح في ذات العام ووصل إلى أنقرة وافتتح مطمورة،(٧) فيما بلغ ابنه عبد الرحمن مدينة أفسوس أو دفسوس على ساحل بحر إيجة عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وهي مدينة أصحاب الكهف كما ذكر المؤرخون.(٨)

---

(١) **الطبري**، ٣١٧/٨.

(٢) **الرقة العاصمة الثانية للخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م**: طه خضر عبيد، مجلة التربية والعلم، مج١٧، ع٣، الموصل ٢٠١٠م، ص١٠٤-١٠٧.

(٣) لم أجد لها ذكرًا في كتب البلدان.

(٤) **تاريخ الطبري**، ٢٦٦/٨؛ **المنتظم لابن الجوزي**، ٤٨/٩؛ **الأخبار الطوال**: أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة ١٩٦٠م، ص٣٩٠؛ **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية**: محمد بن ناصر الملحم، ص٦٢٥.

(٥) **الصفصاف**: من ثغور الروم المقابلة للمصيصة. ينظر: **معجم البلدان**، ٤١٣/٣.

(٦) **تاريخ الطبري**، ٢٦٨/٨؛ **الكامل**، ٣١٥/٥؛ **الأعلاق الخطيرة** لابن شداد، الجزء الأول، القسم الثاني، ص٢٤٢.

(٧) **تاريخ الطبري**، ٢٦٨/٨؛ **الكامل**، ٣١٥/٥؛ **الأعلاق الخطيرة**، ٢٤٢/١.

(٨) **تاريخ الطبري**، ٢٦٩/٨؛ **الكامل**، ٣١٧/٥؛ **الأعلاق الخطيرة**، ٢٤٢/١.

ويظهر أن هذه الصائفة قد أفزعت الامبراطورة إيرين Irene وجعلتها تعقد مع هارون الرشيد هدنة جديدة تعهدت فيها بدفع جزية سنوية مقدارها تسعون ألف دينار مثلما كان الحال في عهد الخليفة المهدي، وتوقفت الحروب بين المسلمين والروم بموجب هذه الهدنة في بين عامي ١٨٣-١٨٦هـ/ ٧٩٩-٨٠٢م.[١] وبموجب هذا الصلح أضحى هارون الرشيد (سيد الامبراطورية الرومانية) -كما يقول بكلر-.[٢]

٢. فترة الصدام الحربي الذي استمرّ منذ عام (١٨٧هـ/ ٨٠٣م) وحتى ما بعد عهد الرشيد.

لم يحترم البيزنطيون الهدنة التي عقدوها مع العباسيين، وأخذت التقلبات التي عصفت بالقسطنطينية العلاقة بين الدولتين إلى مرحلة عنيفة من المواجهات؛ فما التمسته إيرينIrene من الوسائل لتوطيد سلطانها لم يحظ إلا بنجاح ضئيل، واشتدت الاضطرابات والفتن والمؤامرات داخل البلاد، وخيّم التآمر في البلاط البيزنطي وخاصةً بين المستشارين الكبيرين لإيرين وهما الطواشي بستوراكيوس والطواشي أيتيوس، حتى نشبت ثورة في القصر دبّرها كبار الموظفين والقادة العسكريون أطاحت بها وأدّت إلى اختيار متولّي الخزانة نقفور Nicephorus I (١٨٦-١٩٦هـ/ ٨٠٢-٨١١م) امبراطورا، وتقرر نفي إيرين إلى جزيرة لسبوس حيث قضت نحبها بعد فترة قصيرة.[٣]

وقد اتفق أن رافق هذا التطور على الجانب البيزنطي تطوّر آخر يقابله على الجانب الإسلامي، وهو تطوّر كان يمسّ الرشيد نفسه وسمعته ونظامه ذلك أنه نكب البرامكة[٤] في

(١) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**، حسنين ربيع، ص١٢٧.

(٢) **دولة بني العباس**، ٣٣٨/٢، نقلا عن [Buckler: Harun Al-Rashid and Charles the Great. p.p. 170-8]

(٣) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص ٢٢٨و٢٣٤؛ **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران، ص١١٧.

(٤) **في ظروف النكبة وأسبابها ومناقشاتها** ينظر: **تاريخ الطبري**، ٢٨٧/٨وما بعدها؛ **تاريخ ابن خلدون**، ٢٧٩/٣ وما بعدها، **دولة بني العباس**: شاكر مصطفى، ٤٦٢/١ وما بعدها؛ **العصر العباسي الأول -دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**: عبد العزيز الدوري، ط٣، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٧م، ص١٢١ وما بعدها؛ **محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية**: يوسف العش، طبعة جامعة دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٥٢ وما بعدها.

تلك السنة سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م ، وقد نجم عن تلك النكبة نوعٌ من الهزّة في الجهاز الإداري للدولة وفي صدور الناس أيضًا. وكان الجهاد ضد الروم أحد السبل التي أثبت من خلاله الرشيد اختلافه في السياسة والإدارة وفي القيام بواجب الدين والمسلمين عن البرامكة. وهكذا كان التصعيد الحربي على الجبهة الإسلامية الروميّة انعكاسًا للحوادث الداخلية التي جرت في كلّ من العاصمتين في وقت واحد تقريبًا.[1]

احتدم الصراع حين جاء نقفور Nicephorus I بعقليته الاقتصادية إلى سدّة الحكم ونجح في تدعيم اقتصاد البلاد ومعالجة ما تعانيه الخزانة من الإفلاس كما نجح في إصلاح نظام الدفاع البيزنطي،[2] وأساء في تقدير انجازاته حين نقض الهدنة مع المسلمين وامتنع عن دفع الجزية التي تعهدت بها إيرين Irene ، فبعث الرشيد ابنه القاسم[3] على رأس الصائفة عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م، فدخل أرض الروم وحاصر مدينة قرة (مقرّ إقامة والي المقاطعة) ، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان (المشيّد بالقرب من عرقوب ببند كبادوكيا) حتى جهد الروم، فبعثوا إليه بإخراج ثلاثمائة وعشرين رجلًا من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم إلى ذلك ورحل عن قرة وحصن سنان صلحًا.[4]

ومرّة أخرى يسيء نقفور Nicephorus I تقدير الأمور ونقض الصلح الذي هرع إليه من قبل، وبعث إلى الرشيد كتابًا يقول فيه: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرَّخ وأقامت نفسها مقام البَيْدَق، فحملت إليك من أموالها ما كنتَ حقيقًا بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأتَ

(١) **دولة بني العباس**، ٢/٣١٤.

(٢) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٣٦و٢٣٨.

(٣) **القاسم بن هارون الرشيد بن محمّد المهديّ**، كان أبوه بايع له بالخلافة بعد أخيه المأمون وسماه المؤتمن، فخلعه المأمون لما استخلف، وتوفي المؤتمن ببغداد سنة ٢٠٨هـ وله خمس وثلاثون سنة. ينظر: **تاريخ بغداد**، ١٤/٣٩٠.

(٤) **تاريخ الطبري**، ٨/٣٠٧؛ **الكامل**، ٥/٣٣٣.

كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".[١]

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يستطع أحدٌ أن ينظر إليه فضلًا عن أن يخاطبه وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة وكتب بيده على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام".[٢]

واختلفت المصادر الإسلامية في طبيعة ردّ الرشيد على تجاوز نقفور Nicephorus I ، فذهب البعض إلى أنّ هذا التهديد تُرجمَ مباشرة من قبل الرشيد بقيامه بمهاجمة البيزنطيين وفتح مدينة هرقلة[٣] في نفس السنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م،[٤] وذهب البعض الآخر إلى أنّ الرشيد غزاه وأخذ الجزية منه لكنّه لم يذكر تفاصيل الغزوة ولم يصرّح بفتح هرقلة إلا في عام١٩٠هـ/ ٨٠٦م.[٥] فيما لم يورد آخرون خبر الرسالة وجوابها وشخوص الرشيد على إثرها واقتصروا على ذكر فتح هرقلة عام١٩٠هـ.[٦] وفريق رابعٌ جعل الرسالة وكل ما تلاها برمّته من حوادث عام ١٩٠هـ.[٧]

لا يشكُّ أحدٌ في ورود رسالة نقفور Nicephorus I إلى الرشيد لثبوتها في جملة من مصادرنا الإسلامية، ولا يعنينا في هذا الثبوت عدم ورودها في المصادر البيزنطية والتي لا

(١) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٠٨، والمقصود **بالرخّ** الوزير، **والبيدق** الجنديّ في لعبة الشطرنج.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٠٨؛ **الأعلاق الخطيرة**، الجزء الأول-القسم الثاني، ص٢٤٦.

(٣) **هرقلة**: مدينة ببلاد الروم تقع شمال غربي طرسوس. ينظر: **معجم البلدان**، ٥/ ٣٩٨.

(٤) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٠٨؛ **المنتظم** لابن الجوزي،٩/ ١٣٧؛ **البداية والنهاية**،٧/ ١٨٦-١٨٧.

(٥) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٦٤هـ)، راجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٤٨.

(٦) **الأخبار الطوال** للدينوري، ص٣٩١؛ **تاريخ اليعقوبي**، ٢/ ٣٧٨.

(٧) **الكامل** لابن الأثير، ٧/ ٣٤١-٣٤٢.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

أستبعد أن تُحجِمُ عن تسجيل مقدار الإهانة التي أوصلهم نقفور إليها. ولابدّ أن الرسالة كانت في سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م لوجود عدّة إشارات ترجّحُ ذلك[١]:

١. رسالة نقفور تطالب الرشيد بردّ أموال الجزية التي كان يأخذها من إيرينIrene ، ومن غير المعقول أن يتذكر نقفور هذه الأموال بعد ثلاث سنوات من حكمه إذا افترضنا أن الرسالة كانت عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، والأرجح أنه أرسلها للرشيد بعد توليه الحكم بعدة أشهر.

٢. لا تشير المصادر إلى أن نقفور حافظ على الاتفاق الذي كان مبرمًا مع إيرينIrene ثم نقضه بعد فترة من الزمن، ولو كان شيئًا من ذلك حدث لدفع الجزية للرشيد خلال الفترة من ١٨٧هـ-١٩٠هـ/ ٨٠٣-٨٠٦م، ثم قام بقطعها بعد ذلك وهو مالم توردْه المصادر.

٣. ذكر الطبري صراحةً أن نقفور Nicephorus I نقض الصلح المبرم مع إيرين Irene في حوادث عام ١٨٧هـ.[٢]

وبما أن ورود الرسالة ثابتٌ عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م ؛ فلا يُعقلُ أن يكون ردُّ الرشيد عليها عاديًا كأن يكتفي بغزو عامٍّ لا يكون بحجم التعدّي السافر على هيبة الخلافة العباسية حتى وإن دفع الروم الجزية، ولهذا أرجّحُ أن الرشيد قصد إلى هرقلة بعد هذا التهديد بالذات لأهميتها الاستراتيجية، باعتبارها مدخل بند الناطليق (الأناضول) من أرض الروم المقابل لشمال شرق الثغور الشامية، ونهاية حدود الدولة الإسلامية من أرض الشام.[٣]

---

(١) **السفارات والوفود بين الدولتين العباسية والبيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م**: محمد قائد حسن الوجيه، بحث منشور ضمن ندوة (تاريخ الوطن العربي عبر العصور-الوفود والسفارات)، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢١٩.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٠٧.

(٣) **التنبيه والإشراف للمسعودي**، ص١٥١؛ **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية**: محمد بن ناصر الملحم، ص٦٣٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ومهما يكن من أمر، فإن نقفور لم يتوقّع عاقبة كتابه مع أنه يعلم أنه ليس في مستوى تحدي الرشيد على الحقيقة لما يعرفه من التجارب السابقة للبيزنطيين معه، وفور رده على الكتاب زحف هارون على رأس حشود كثيفة من جيشه "في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يُجارون نجدةً ورأيًا"،(١) واجتاز منطقة الثغور الشامية مجتاحًا ما تلاها من ثغور الروم باتجاه الأبواب القيليقية، وحين بلغ نقفور خبر تقدّم الرشيد أمر قادته بسرعة اقتلاع الأشجار وإلقاءها أمام طريق هارون وإشعال النيران فيها؛ ليمنعه من الوصول إلى هرقلة، ولما وصل الجيش العبّاسي إلى النار لبس القائد محمد بن يزيد الشيباني(٢) لباس النفّاطين وخاضها ثم خاضها الرشيد وسائر الجيش حتى نزل على مدينة هرقلة شمال شرقي الأبواب(٣)، ويتضح عمق ما أحدثته هذه المعركة من خسائر في ممتلكات الروم من وصف الطبريّ إذ يقول: "ففتح وغنم واصطفى وأفاد وخرّب وحرّق واصطلم".(٤) على أنّ ما حدث من ثورة (باردانس توركس) الذي دانت لزعامته جميع ثغور آسيا الصغرى في تلك الفترة شغل جانبًا كبيرًا من الجيش البيزنطي ولم يجد نقفور Nicephorus I بدا من طلب موادعة الرشيد على جزية يؤديها كل عام.(٥)

وفي هذا النصر يقول أبو العتاهية:

قضى الله أن يصفو لهارون ملكُهُ ... وكان قضاءُ الله في الخلق مقضيًا
تجلَّلَتِ الدنيـــا لهارون بالرِّضا ... فأصبــحَ نقفــورٌ لهارونَ ذمّيًا(٦)

(١) **الأغاني**: علي بن الحسين بن محمّد الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني(ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، ط، دار صادر، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، ج١٨، ص١٧٥؛ بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٧٧٤/٤.

(٢) **محمّد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني**، أحد أمراء الدولة العباسية وقادتها، وكان إلى ذلك موصوفًا بالشجاعة والكرم والبذل بلا حدّ. وهو من عائلة عريقة المحلّ في الدولة العباسية إذ كان أبوه يزيد–وهو ابن عمّ معن بن زائدة– أحد قادتها الأبطال الأجواد، وليَ للرشيد اليمن وأذربيجان وأرمينية وهو الذي قتل رأس الخوارج الوليد بن طريف. وكذا كان أخوه خالد الذي وليَ الولايات للمأمون ثمّ للواثق. ينظر: **الأعلام للزركلي**، ٣٠١/٢ و ١٤٤/٥؛ **سير أعلام النبلاء**، ٧١/٩-٧٢.

(٣) **الأغاني**، ١٧٧/١٨و١٧٩؛ **بغية الطلب**، ١٧٧٤/٤-١٧٧٥.

(٤) **تاريخ الطبري**، ٣٠٨/٨.

(٥) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٤٢.

(٦) **تاريخ الطبري**، ٣٠٩/٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ولم يكد الرشيد يصل إلى الرّقة منصرفًا من غزوه حتى نقض نقفور العهد إذ أمِنَ عودة المسلمين إليه في البرد الشديد، واختلفت المصادر حول طبيعة ردّ الرشيد على نقفور، فمن قائلٍ أنه غزاهُ رغم البرد الشديد،(١) ومن قائلٍ أن الأمر كُتم عنه لعارض علّة وجدها الخليفة حتى عوفي ثم أُبلغ بالنقض فكان سببًا في فتح هرقلة عام١٩٠هـ/ ٨٠٦م،(٢) وهناك من لم يذكر أي ردّ من الرشيد على هذا النقض.(٣)

ولا يمكننا أن نقتنع بسكوت الرشيد عن نقفور إن علم بنقضه للعهد، كما لا يُعقل أن يُخفي رجال دولته وقادته العسكريّون هذا الأمر عنه لمدة أربعة أعوام كاملة، يظهر فيه الرشيد أمام نقفور Nicephorus I بمظهر العاجز عن تأديبه أو الخامل عن الشخوص إليه وهو ما لم يَكُنْهُ الرشيد أبدا. كما تعطي فترة السكوت هذه –إن افترضناها–وقتًا كافيًا للبيزنطيّين يمكنهم من الاستعداد العسكري، وهو ما لم يحدث، إذ أصيب الروم بخسارة فادحة إثر صائفة العام التالي مباشرة عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م التي جُرح فيها نقفور وقُتل عدد كبير من جنوده.(٤)

والراجحُ أن أخبار نقض الصلح وصلت إلى بغداد، وتردد الوزراء ورجال البلاط في إبلاغ الرشيد بذلك إشفاقًا عليه وعلى أنفسهم من الكرة في مثل تلك الأيام، فاحتالوا له بشاعر من أهل جُـدّة اسمه أبو محمد عبد الله بن يوسف فأنشده:

نَــقَضَ الذي أعطيتَـهُ نِـقْـفُورُ ... فَعَلَيْـهِ دَائِـرةُ البَـوَارِ تَــــدُورُ
أَبْشِرْ أميـــرَ المؤمنيـــنَ فإنَّـــهُ ... غُنْـــمٌ أَتَـــاكَ بِـهِ الإلهُ كبيـــرُ
فَلَقَدْ تَبَـــاشَرَتِ الرَّعِيَّـةُ أنْ أَتَى ... بِالنَّقْضِ عَنْـــهُ وَافِدٌ وَبَشِيـــرُ
وَرَجَتْ يَمِينَكَ أنْ تُعَجِّلَ غَزْوَةً ... تَشْفِي النفوسَ مَكَانُهَا مَذْكُورُ

(١) تاريخ الطبري، ٣١٠/٨؛ الكامل، ٣٣٤/٥؛ تاريخ الإسلام للذهبي، ٧٩١/٤.
(٢) مروج الذهب، ٢٤٨/١.
(٣) البداية والنهاية، ١٨٧/٧.
(٤) تاريخ الطبري، ٣١٣/٨؛ الكامل، ٣٣٧/٥؛ البداية والنهاية، ١٩٣/٧.

فلما علم الرشيد بذلك كَرَّ راجعا إلى أرض الروم في أشد محنة وأغلظ كلفة.(١) وإن كُنا لا نملك روايات مفصّلة حول هذه الحملة إلا أن هارون ربما نزل على هرقلة –عين المشكلة- إذ يقول الطبريّ: "أناخ بفنائه فلم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد"(٢)، وربما يكون بلوغ الرشيد مراده متمثلًا في نزوله على هرقلة ودفع نقفور الجزية.

عاد نقفور إلى هوايته فنقض الصلح عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م فغزاه بالصائفة إبراهيم بن جبريل(٣) ودخل أرض الروم من درب الصفصاف، فخرج نقفور للقائه لكنه هزم في ميدان المعركة بعد أن جرح ثلاث جراحات، وقُتل من الروم أربعون ألفا وسبعمائة وأخذ أربعة آلاف دابة.(٤) ويشير عدد القتلى إلى فداحة خسائر الروم الذين لا يكاد امبراطورهم ينقض العهد مع الرشيد حتى يجرّهم إلى حروب لا طاقة لهم بها، مما أحدث استياءً عامًا لديهم ودفعهم إلى المطالبة باستعادة أسراهم، فتمّ ذلك في فداء عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م أثناء حكم الامبراطور نقفور، وتولاه القاسم بن الرشيد ولم يبق بأرض الروم مسلمٌ إلا فودي به.(٥)

_ فتح هرقلة.

يدلنا سير الحوادث على أهمية مدينة هرقلة لدى العباسيين والبيزنطيين على حدّ سواء، وبالرغم من أن الرشيد فتح هرقلة في الأعوام الماضية إلا أنه كان يتركها دون حامية عباسيّة –على ما يبدو- بموجب الصلح الذي كان يُعقد وينقضه نقفور Nicephorus I في كل مرّة، وتحوّلت هذه المدينة الواقعةُ غرب طرسوس (مركز الثغور الشامية) إلى مصدر إزعاج دائم

(١) **تاريخ الطبري**، ٣٠٨/٨-٣١٠؛ **الكامل** لابن الأثير، ٣٣٤/٥.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٣٠٨/٨

(٣) **إبراهيم بن جبريل**: من قادة الدولة العباسية، استعمله الرشيد على سجستان من قبل واليه الفضل بن يحيى البرمكي عام ١٧٨هـ، وفتح إبراهيم بن جبريل كابل وغنم غنائم كثيرة في ذات العام، كما ولاه الرشيد الصائفة عام ١٨٨هـ. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٢٥٨/٨و٣١٣؛ **المنتظم لابن الجوزي**، ١٥٤/٩

(٤) **تاريخ الطبري**، ٣١٣/٨؛ **الكامل**، ٣٣٧/٥؛ **البداية والنهاية**، ١٩٣/٧.

(٥) **تاريخ الطبري**، ٣١٨/٨؛ **العلاقات السياسية**: محمد الملحم، ٦٣٥.

للمسلمين ومركزًا لهجمات الروم على طول خط الثغور الشمالية الغربية وكان على الرشيد أن يضع حدًا نهائيًا لهذا الأمر.

ففي عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م رفع نقفور المواجهات إلى مستوى خطير جدًا طاله ودولته منه أشد المهانة والإيذاء والخسارة؛ إذ خرج الروم إلى الثغور الشامية وأغاروا على عين زربة والكنيسة السوداء وأسروا عددًا من أهلها وأخذوا مواشيهم، فأنجدهم أهل مدينة المصيصة ومطّوعتها وقتلوا من الروم خلقًا واستنقذوا جميع ما وقع في أيديهم وانهزم بقيّتهم.[١]

غضب الرشيد من اجتراء نقفور Nicephorus I وثارت حفيظته وعزم على تأديب الروم، فخرج في جيش ضخم قوامه ١٣٥٠٠٠ جنديّ نظاميّ سوى الأتباع والمطّوّعة ومن لا ديوان لهم، وقد اشتركت في الجيش فرق من مختلف أنحاء الخلافة العباسية، ويمكن أن نعتبر هذه الحملة أوسع حملات الرشيد ضد الدولة البيزنطية.[٢]

واعتمد الرشيد سياسة إضعاف الخصم وتشتيت قوّته إذ لم يشخص إلى هرقلة مباشرة؛ بل بثّ فرقًا من الجيش العبّاسي بأرض الروم ووجّه قادته إلى مراكز الثغور البيزنطية ببند كبادوكيا المقابل لأذنة والمصيصة وعين زربة لتطويق هرقلة؛ فبعث عبد الله بن مالك إلى ذي الكلاع[٣] (بين طوانة[٤] وقيصرية[٥])، ووجّه شراحيل بن معن بن زائدة إلى حصن الصقالبة ودَبْسة فافتتحها، وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف[٦] وملقوبية[٧]".[٨] كما خصص الرشيد فرقة من الجيش لتفتيت أي قوّة بيزنطيّة قد تقدم لنجدة هرقلة وجعل على قيادتها أحد كبار أهل بيته

(١) **فتوح البلدان**، ص١٧١و١٧٢؛ **بغية الطلب**، ١/١٧٤.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/٣٢١؛ **دولة بني العباس**، ٢/٣١٧.

(٣) **ذو الكلاع**: حصن من نواحي الثغور الرومية قرب المصيصة. وهو جبل عليه قلاع فسمّته العرب ذا القلاع ثم انحرف الاسم إلى ذي الكلاع واسمه بالرومي: جُسْطَرون. ينظر: **المسالك والممالك** لابن خرداذبة، ص١٠٨؛ **معجم البلدان**، ٢/٢٦٥.

(٤) **طُوانة**: مدينة ببلاد الروم على فم الدرب مما يلي طرسوس في الطريق المؤدي إلى قيصرية. **معجم البلدان**، ٤/٤٥.

(٥) **قيصرية** (وترد بلفظ قيسارية): مدينة تقع في وسط بلاد الروم بين ملطية وأنقرة. ينظر: **معجم البلدان**، ٤/٤٢١.

(٦) **الصفصاف**: من ثغور الروم المقابلة للمصيصة. ينظر: **معجم البلدان**، ٣/٤١٣.

(٧) **ملقوبية**: مدينة ببند كبادوكيا بالقرب من قونية. ينظر: **المسالك الممالك** لابن خرداذبة، ص١٠٨.

(٨) **تاريخ الطبري**، ٨/٣٢٠.

وهو داوود بن عيسى بن موسى العبّاسيّ "سائحًا في أرض الروم في سبعين ألفا".(١) واتّضح جليًا أن نية الرشيد كانت تمشيط كل الجهة الفاصلة بين الثغور وكبادوكيا.(٢)

توجّه الرشيد إلى هرقلة في شوال وحاصرها شهرًا كاملًا، وكان أهلها قد تحصنوا في قلعتها المحاطة بخندق كبير لا يمكن الوصول إليه إلا بمشقّة، واستخدم المسلمون في قتالهم السهام والعرادات، كما استعملوا المجانيق وكتل النار المشتعلة ورموا بها أسوار القلعة، فكانت النار تلصق بها وتتهافت حجارتها، فلما أحاطت بها النيران فتح أهل هرقلة أبوابها ودخلها المسلمون وغنموا ما فيها من مستودعات الحبوب، ثم أخربها الرشيد وسبى أهلها وكان من ضمن السبي ابنة بطريق هرقلة. ثم فتح طوانة الواقعة إلى الشمال من لؤلؤة على الطريق المؤدي إلى قيصرية، واتخذ منها قاعدة مؤقتة لعملياته، ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منزل هنالك.(٣)

وفي فتح هرقلة قال أبو محمد عبد الله بن يوسف(٤):

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لـمَّا أنْ رَأَتْ عَجَبًا حوائِمًا تَرْتَمِي بالنَّفْطِ والنَّـارِ
كأنَّ نِيـرَانَنَـا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِم مُصَبَّغَاتٌ على أَرْسَان قَصَّارِ(٥)

وقال أبو العتاهية:

ألا نـادت هرقـلـة بالخراب من الملك الموفّق للصّـواب
غدا هـارون يرعد بالمنـايـا ويـبـرق بالمذكّرة القضاب(٦)

---

(١) **تاريخ الطبري**، ٣٢٠/٨.

(٢) **هارون الرشيد وعصره**: كلو، ص١٩١.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٣٢١/٨؛ **مروج الذهب**، ٢٥٢/١؛ **الكامل**، ٣٤٢/٥؛ المنتظم، ١٨١/٩؛ **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٤٢.

(٤) **مروج الذهب**، ٢٥٢/١.

(٥) **الرسن**: الحبل. **القَصَّارُ** : المبيِّضُ للثِّياب ، وهو الذي يُهَيِّئُ النسيجَ بعد نَسجه بِبَلِّه ودقِّه بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب. وأراد أن لون النيران التي ترميها المجانيق على سور هرقلة يختلف باختلاف أصناف حطبها كأنها نسيجٌ في يد قصّار يحرّك حباله كيف شاء، كناية عن مهارة الرماة وحذقهم. ينظر: **لسان العرب** (ر س ن)١٨٠/١٣ و (ق ص ر) ١٠٤/٥؛ **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**: عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٨٢٤-٨٢٥.

(٦) **المذكرة القضاب**: السيوف الداهية الشديدة القاطعة. ينظر: **لسان العرب** (ذ ك ر) ٣١١/٤ و(ق ض ب) ٦٧٨/١.

ورايـــات يحلّ النّصر فيــها　　　　تمرّ كأنّها قطع السّــحــاب

أمير المؤمنيــن ظفرت فاسلم　　　　وأبشر بالغنيــمة والإياب[1]

ولم يستطع نقفور Nicephorus I أن يصنع شيئًا لصد هجمات المسلمين المتلاحقة لأن البلغار كانوا يهددون العاصمة البيزنطية من الطرف الآخر،[2] فأرسل يطلب الصلح، وقبل الرشيد ذلك، واشتملت بنود الصلح على ما يلي:

١. أن يبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية سنويًا عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار منها. منها عن رأسه أربع دنانير وعن ابنه استبرق (ستوراكيوس) ديناران[3] كما يدفع أهل الذمة في الدولة الإسلامية. وأراد الرشيد بذلك أن يأخذ عليه الاعتراف بأنه داخلٌ في ذمة الخليفة.[4]
٢. أن يحمل نقفور إلى الرشيد ثلاثمائة ألف دينار. ويبدو أنها ضريبة تأديبية غير الجزية السنوية المنصوص عليها.
٣. ألا يُعمّرَ الروم مدينة هرقلة بعد أن خرّبها الرشيد وسوّاها بالأرض.
٤. ألا يُخرّب الرشيد ذا الكلاع ولا صملة ولا حصن سنان.
٥. تستمر الهدنة لمدة ثلاثة أعوام.[5]

وعلى هذا يكون الرشيد قد فتح مدينة هرقلة ثلاث مرات خلال أربع سنوات من خلافته:

- **الأولى**: عام ١٨٧هـ فور ورود رسالة نقفور.
- **الثانية**: عام ١٨٧هـ أيضًا بعد أن نقض نقفور الصلح الذي عقده بعد الفتح الأول.

---

(١) **مروج الذهب**، ١/٢٥٢.

(٢) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٤٣.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٨/٣٢١؛ **الكامل**، ٥/٣٤٢.

(٤) **دولة بني العباس**، ٢/٣١٨.

(٥) **تاريخ الطبري، ٨/ ٣٢١-٣٢٢؛ الكامل، ٥/ ٣٤٢.**

- **الثالثة:** عام ١٩٠هـ خرّب الرشيد فيها هرقلة بعد أن أصبحت مصدر إزعاج دائم واشترط على نقفور ألا يبنيها.

والحقيقة أن انتصارات المسلمين على الروم عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م أكّدت لنقفور عدم مقدرته على التصدي عسكريًا للمسلمين في خلافة هارون الرشيد، مما جعله يلجأ إلى انتهاج سياسة الموادعة واللين،[١] يدل على ذلك كتابه إلى الرشيد أواخر عام ١٩٠هـ والذي بعثه مع بطريقين من عظماء بطارقته في ابنة بطريق هرقلة التي كانت ضمن السبي، جاء فيه: "لعبدالله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم، سلام عليكم، أما بعد أيها الملك، فإن لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك، هيّنةٌ يسيرة، أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقلة كنتُ قد خطبتها على ابني، فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".[٢]

ويظهر من هذا الكتاب مدى تذلل نقفور Nicephorus I وتوسّله إلى هارون الرشيد في طلب الجارية، كما يتضح تغيّر لهجته في الاعتراف بهارون أميرًا للمؤمنين، كما صدّر كتابه وختمه بالسلام، وأرسل مع الكتاب هدايا معلومة. ولهذا أجاب الرشيد طلبه وأمر بتزيين الجارية وحملها على سرير ومعها هدايا من عطور وتمور ومتاع، وبادله نقفور بجملة من الهدايا.[٣]

لم يكن هذا الوُدُّ الشكليّ إلا حاجة في نفس نقفور بأمر الجارية، سرعان ما عاد إلى طبيعته المتقلبّة بعد أن قضاها، إذ استغل انشغال الرشيد بترتيب أمر خراسان فامتنع عن دفع

---

(١) **العلاقات السياسية**: محمد الملحم، ص٦٣٩.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٢١.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٨/٣٢١-٣٢٢؛ **العلاقات السياسية**: محمد الملحم، ص٦٣٩.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

الجزية، فغزاه يزيد بن مخلد الهبيري[١] في عشرة آلاف عام ١٩١هـ/ ٨٠٧م فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه على مرحلتين من طرسوس في خمسين رجلا وسلم الباقون.[٢] فبعث الرشيد على الصائفة في ذات العام هرثمة بن أعين وضم إليه ثلاثين ألفا من جند خراسان ومعه مسرور الخادم، وتقدّمهم الرشيد إلى درب الحدث فعيّن على قيادة الدرب عبد الله بن مالك، وبعث سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي إلى مرعش، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني إلى طرسوس، وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ثم انصرف إلى الرقة.[٣]

استمرت المناوشات عام ١٩٢هـ/ ٨٠٨م وكان لكثرة غزوات المسلمين في الفترة الأخيرة من خلافة هارون الرشيد أثرها في إلقاء الرعب في قلوب الروم مما دفعهم إلى التفكير في مصالحة المسلمين. حيث يذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفان أن هناك سفارة تكونت من ثلاثة من رجال الدين النصارى لهذا الغرض، إلا أنه لا يذكر ما حدث في هذه السفارة.[٤] في حين أشارت المصادر الإسلامية إلى أن الصلح والفداء الذي تمّ عام ١٩٢هـ/ ٨٠٨م جرى على يد ثابت بن نصر الخزاعي أمير الثغور الشامية في قرية البذندون قرب طرسوس، حيث فودي بنحو ٢٥٠٠ رجل وامرأة من المسلمين.[٥]

وفي جماد الآخرة عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م توفي الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله،[٦] وتوقفت الحروب فترة من الزمن لانشغال المسلمين بفتنة الأمين والمأمون من جهة، وانشغال البيزنطيين عنهم بحرب البلغار ومصرع نقفور Nicephorus I في عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م وما

(١) **يزيد بن مخلد بن الحسين المهلبي**، قائد من شجعان آل المهلب بن أبي صفرة. آخر ما قام به افتتاحه " الصفصاف " من ثغور المصيصة، و"ملقونية " قرب قونية (سنة ١٩٠هـ) حتى قتل بالقرب من طرسوس عام ١٩١هـ. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٢٠و٣٢٣؛ **الأعلام** للزركلي، ٨/ ١٨٨.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٢٠و٣٢٣.

(٣) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٢٣-٣٢٤؛ **الكامل**، ٥/ ٣٤٨.

(٤) **العلاقات السياسية**: مُحَمَّد الملحم، ص٦٣٩.

(٥) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٣٨؛ **التنبيه والإشراف**، ص١٦١.

(٦) **البداية والنهاية**، ٧/ ٢٠٩.

تلى ذلك من صراعات سياسية، واستطاع المأمون بعد أن استتبت له الأوضاع في بغداد أن يتفرّغ لمواجهة البيزنطيين.[1]

وبهذا نجد أن علاقة العباسيين بالروم خلال خلافة هارون الرشيد كانت علاقة عدائية في مجملها إلا ما تخللها من فترات الهدنة وتبادل الأسرى، ولابد من القول أن البيزنطيين لم يذعنوا لسيطرة المسلمين طواعية وكان اشتعال الحرب بين الطرفين نتيجةً طبيعية لهذا التوجّه. ويعتبر عصر الرشيد تجسيدًا لحالة القوة التي كانت عليها الخلافة العباسية حتى أضحت مرهوبة الجانب، وإن لم تهدف إلى إزالة الدولة البيزنطية من الوجود إلا أنها أرغمتها على دفع الجزية طوال عهده. كما تجسّدت شخصية الرشيد القيادية من خلال مباشرته للغزو وقيادته للصوائف، وترتيبه لأمور الجهاد من مراكز عسكرية متقدّمة إن لم يغزُ، كما أدّت التحصينات الدفاعية التي ثبّتها الرشيد في منطقة الثغور الشامية إلى تراجع البيزنطيين إلى عمق أراضيهم، "وأدّى النشاط العسكري العباسي على الجبهة البيزنطية في خلافة الرشيد إلى جعل معظم شرق بند كبادوكيا والضفاف الجنوبية الشرقية لنهر هاليس مناطق نفوذ عباسية مقتربين بذلك من بوابات قيصرية".[2]

([1]) **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، ٣/٢٢٧.

([2]) **الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ**: محمّد عبد الحفيظ المناصير، ط١، دار مجدلاوي للنشر، عمّان-الأردن ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤١٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

ـ المبحث الثالث: مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية.

اعتنى الرشيد فور انتهاء الأمر إليه بتحصين الحدود الإسلامية مع البيزنطيين، واستحدث تنظيمًا إداريًا جديدًا لمنطقة الحدود يزيد من قدراتها الدفاعية والهجومية في آن واحد، ويوفّر للقواعد الإسلامية المتقدمة ظهيرًا عسكريًا بالغ الإحكام. يقول البلاذري: "لما استخلف أمير المؤمنين هارون بن المهديّ أفرد قنّسرين بكورها فصيّر ذلك جندًا واحدًا، وأفرد منبج ودُلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وتيزين وسماها العواصم؛ لأن المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفواْ من غزوهم وخرجواْ من الثغور".[1] كما يذكر الطبري في حوادث عام ١٧٠هـ/ ٧٨٥م أن الرشيد "عزل الثغور كلها عن الجزيرة وقنّسرين وجعلها حيزًا واحدًا وسميت العواصم".[2]

ويبدو جليًا من النصّين أن الرشيد اتخذ قراره بشأن التنظيم الإداري الجديد فور اعتلاءه منصب الخلافة، وهذا يعني أن الصورة كانت واضحةً لديه حول طبيعة المنطقة الجغرافية من ناحية، وخطة تطوير أنظمتها الدفاعية تبعًا لذلك من ناحية أخرى، ولاشكّ أن المعارك التي قادها ضد الروم في عهد أبيه كانت سببًا مباشرًا في ذلك.

واشتملت الحدود الإسلامية البيزنطية في عهده على نطاقين اثنين:

الأول: النطاق الأمامي، ويضمّ الثغور الشاميّة والجزرية التي خصصت لمواجهة الممرات الجبلية ، فأنشأ فيها مدنًا جديدة ورمّ القديمة ودعّمها بالحصون وزوّدها بالحاميات.

الثاني: النطاق الخلفي، ويضمّ الأقاليم الخلفية والحصون الجنوبية وهي التي جعلها حيزًا إداريًا مستقلًا وسماها (العواصم) وجعل قاعدتها مدينة منْبِج.[3]

---

(١) فتوح البلدان، ص١٣٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ٨/ ٢٣٤.

(٣) تاريخ الدولة العباسية: محمد سهيل طقّوش، ص١٠١-١٠٢.

وإلى جانب استحداث هذا التنظيم أخذ اهتمام الرشيد بمنطقة الثغور أشكالًا عدة ومن مظاهر هذا الاهتمام ما يلي:

١ . بناء المدن الثغرية وتجديدها:

إن الطبيعة الاستراتيجية لمنطقة الثغور جعلتها منطقة صراع دائم منذ تاريخ الإنسان المبكر إلى يومنا هذا؛ إذ عبرها تمرّ طرق التجارة العالمية، وأبواب جبالها مفاتيح الولوج إلى عالم الشرق والغرب، وهي إلى ذلك مدخل مهد الأنبياء في بلاد الشام والعراق وكل أصحاب الديانات مائلةٌ قلوبهم إلى أراضيها. ولم يكن صراع العباسيين والبيزنطيين على تخوم جبال طوروس إلا حلقةً في سلسلة طويلة أدّت إلى تقلُّب مدن الثغور بين العمران والخراب، ولهذا نجدُ في الحوليات الإسلامية خبرَ بناء مدينةٍ ما في فترة معينة ثم نقرأ خبرَ بنائها أيضًا فيما يلي تلك الفترة مما يدلُّ على تصدّعها أو خرابها، وهو أمرٌ طبيعيّ في المناطق الفاصلة بين الأمم والدّول.

كانت أولى المدن التي أعاد الرشيد بناءها في الثغور الشامية مدينة (طَرَسُوس)[١]، وهي مدينة قديمة من بناء الروم، تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر جبال طوروس المعروف بأبواب قيليقية،[٢] وكان المسلمون قد غزوْها أيام الفتوح الأولى فخرِبت وأخلاها أهلها بعد أن هُزمواْ وانتقلواْ مع هرقل عام ١٦هـ عند خروجه من أنطاكية إلى بلاد الروم.[٣]

---

(١) قيل أنها سُميت بطرسوس بن الروم بن اليفن بن سام بن نوح عليه السلام. واسمها بالعربية (طرسوس)، وفي التوراة (إبسوس) وفي الإنجيل (أرسوس)، وكانت تسمى قديمًا (أيارسين)، وكانت أعظم مدينة في إقليم قيليقية وأشهرها وقاعدة ملكها في التاريخ القديم. ذكرها المؤرخ اليوناني اكزينيفون أنها كانت مبنية في القرن الخامس قبل المسيح عليه السلام. ولها منزلة عظيمة عند المسلمين إذ بها قبور عشرة من الأنبياء، ولدى المسيحيين لأنها مسقط رأس القديس بولس الذي يسمونه (بولس الرسول). ينظر: **بغية الطلب**، ١/ ١٧٥و١٧٧و٢٠٢؛ **الأعلاق الخطيرة**، ١/ ١٥٢؛ **الدُّرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب**: محمد بن الشحنة (ت ٨٩٠هـ)، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، سوريا ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٨٣-١٨٤؛ **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص٣٠.

(٢) **بلدان الخلافة الشرقية**: كي لسترنج، ص١٦٤.

(٣) **فتوح البلدان**، ص ١٦٤. **بغية الطلب في تاريخ حلب**: ابن العديم ١/ ١٧٧.

وتظهر الإشارات التاريخية إلى مدينة طرطوس بشكل عام في أيام الدولة الأموية، لا باعتبارها قاعدة متقدمة؛ بل باعتبارها جزءً من الخطوط الأمامية لتحركات المسلمين وخصوصًا بعد تمصير مدينة المصيصة في خلافة عبد الملك بن مروان عام ٧٤هـ ، ويبدو أنها كانت إلى فترات متأخرة من خلافة بني أمية تتعرض لهجماتٍ روميّة منتظمة؛ إذ يذكر ابن الأثير في حوادث عام ٩٣هـ أن العباس بن الوليد بن عبد الملك غزا الروم "ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس".[١] وربما أرادت السياسة الأموية تحصين القواعد الأمامية ما بين أنطاكية والمصيصة وتمصير ما بعدهما تدريجيًا. على أنّ هناك إشارة واضحة إلى دور المدينة في حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية عام ٩٩هـ/ ٧١٧م إبّان خلافة أخيه سليمان، إذ خرج جيش من طرسوس ضمن الإمدادات التي وصلت إلى مسلمة بعد أن استعصت عليه عاصمة الروم.[٢]

وتذكر الدكتورة عليّة الجنزوري في تتبعها لتاريخ المدينة خلال عصر بني أمية نقلًا عن ابن خلدون أن "صائفةً إسلامية لبلاد الروم دخلت من طرسوس حوالي عام ٩٩هـ/ ٧١٧م، غزا بها رستم أمير الثغور وحاصر حصن مليح الأرمني وفتحه"،[٣] إلا أنّ هذا النص يعود إلى حوادث الصوائف أيام المقتدر بالله العباسي (٢٥٩-٣٢٠هـ)،[٤] ولعل الذي أوهمها بذلك أن ابن خلدون يذكر السنين بعد المائة والمئتين دون الإضافة إليها.[٥]

---

(١) **الكامل في التاريخ**، ٤/ ٢٧٨.

(٢) **الروم في سياستهم وحضارتهم**: أسد رستم، [نقلًا عن: Canard, M., Expedilions Arabes, Journal Asialique, 1929,102-80; Theophanes, Chron., 395-399.]

(٣) **الثغور البرية الإسلامية**، ص٣١.

(٤) **تاريخ ابن خلدون**، ٣/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٥) مثال ذلك قوله في ذكر الصوائف أيام المقتدر في حوادث عام ٢٩٩هـ : (وفي سنة تسعٍ وتسعين غزا بالصائفة...) ولا يقول: وفي سنة تسعٍ وتسعين ومائتين. وهكذا في كل ما ينضاف إلى المائة والمائتين من السنين. ينظر: **المصدر السابق**، ج٣/ ص٤٧٨-٤٧٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن مدينة طرسوس لم تمصّر بشكل فعليّ في العصر الأموي بل كانت -على ما يبدو- نقطة عسكرية، إضافة إلى افتقاد حركة الصوائف والشواتي إلى زخمها فيما بعد خلافة عمر بن عبد العزيز، واضطراب الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية بين سقوط الأمويين وقيام العباسيين؛ لعل سببًا من هذه الأسباب أو تظافرها جميعًا غيّب طرسوس عن واجهة الحوادث في التاريخ الإسلامي إمّا بتضاؤلها أو خرابها.

ويبدو أن أهمية موقع المدينة في خط الدفاع الشمالي قد عاد إلى الظهور بعد تحسّن الثغور واستتباب الأمور في خلافة المهديّ؛ فحين غزا الحسن بن قحطبة الروم عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨م ركب في طريق عودته إلى موقعها وكان خرابًا فدرسه ودرس ما يتطلبه إنشاؤها واقترح على المهديّ بناء طرسوس وأخبره "بما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام، والكبت للعدو والوقم له فيما يحاول ويكيد".[١]

والظاهر أن بناء طرسوس قد تأخّر إلى عهد الرشيد؛ إذ أمر المهديّ بتقديم بناء مدينة الحدث من الثغور الجزرية عليها. على أنّ هناك رواية انفرد بنقلها ابن العديم عن أبي عمرو الطرسوسي من كتابه المفقود (سير الثغور) ذكر فيها "أن خيل خراسان وردت لعمارة طرسوس في أيام المهديّ مع رسله وعساكره، وأنهم حطوا بمكان وصفه لنا بباب الجهاد غربي حائط المصلى، أربعة آلاف راحلة دقيقًا، مكتوب عليها بَلْخ، خُوارزم، هَرَاة، سمرقند، فَرْغانه، أسبيجاب، حمل ذلك كله على البَخَاتِيِّ[٢] من خراسان مع أبي سُليم، وبشار، وأبي معروف الخدم أبناء الملوك". [٣]

وإن كانت هذه الرواية قد ذكرت ورود خيل خراسان لعمارة المدينة والقائمين عليها إلا أنها لا تقدّم لنا تأكيدًا واضحًا هل تمّ البناء أم لا؟ كما أنها لا تقدّم تفصيلات حول طريقة البناء

(١) فتوح البلدان، ص١٦٩.

(٢) البَخَاتِيّ: جمعُ بُخْت وبُخْتِيّ، وهي إبل خراسانية طويلةُ الأعناق، تنتجُ من بين العربية والفالج ذي السنامين . ينظر: مادة (ب خ ت): لسان العرب ، ٢/ ٩؛ القاموس المحيط ، ١/ ١٤٧.

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/ ١٨٦.

وخطط المدينة، في حين أن روايات البلدانيين المستفيضة حول بناء طرسوس في خلافة الرشيد قدّمت لنا كثيرًا من هذه المعلومات. وربما كانت هذه الخيل التي أشار إليها الطرسوسي استطلاعيةً لموقع المدينة أو إحصائية لاحتياجات عمارتها ضمن الندبات التي أنفذها المهديّ لتحصين الثغور. إضافةً إلى أن البناء لو تمّ فعلًا في خلافة المهديّ لاستلزم أن تكون طرسوس قد تهدّمت أو خربت أو غزاها الروم بعد عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨م -وهو العام الذي أشار فيه الحسن بن قحطبة ببناء المدينة- ليعيد الرشيد عمارتها؛ وهو الأمر الذي لم تتحدّث عنه المصادر التاريخية رغم اهتمامها بأخبار الثغور في الدولة العباسية.

والراجح مما سبق أن مدينة طرسوس لم تمصّر بشكل فعليّ في التاريخ الإسلاميّ إلا في خلافة هارون الرشيد، وأنها كانت قبل ذلك نقطة عسكرية تنطلق منها وعبرها جيوش الصوائف والشواتي. ومما يقوّي هذا الترجيح ما أورده الحميري في معرض حديثه عن المدينة وتكليف أبي سُليْم فرج الخادم من قِبَل الرشيد ببنائها؛ يقول: "وأمره أن يبني مدينة طرسوس في المرج الذي في سفح الجبل، ولم يكن هناك بناء قط".[1]

وعلى أية حال، فإن الرشيد قد تحفّز لبنائها عام ١٧١هـ/ ٧٨٧م لما علم "أن الروم ائتمروا بينهم بالخروج إِلَى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها"،[2] هذا إلى معرفته السابقة بالثغور والمناطق المهمّة فيها، فأنفذ هرثمة بن أعين على رأس الصائفة، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها، وأن يجعل أمر بنائها إلى أبي سُليْم فرج الخادم. فبعث أَبُو سليم الموكَّلين ببناء المدينة وهم ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان وألف من أهل المصيصة وألف من أهل أنطاكية فوردوا طرسوس، وابتدأت عمارتها سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م إِلَى أن استتم تحصينها وبناء مسجدها، وكمل بناؤها سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[3] وسكنها المجاهدون والمرابطون، واختطّت بها

---

(١) **الروض المعطار في خبر الأقطار**: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت ١٩٨٠م، ص٣٨٨.

(٢) **فتوح البلدان**، ١٧٠.

(٣) **فتوح البلدان**، ١٧٠.

الخطط والمنازل، فلم تُبْنَ مدينةٌ أعظم غناءً عن الإسلام ولا أشد نكاية على الكفرة، ولا أجمع للمجاهدين ولا أبعد صوتًا ولا أجل مرأى ولا أتقن بناء منها.[1] "وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدّة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلّات والأموال والسعة في جميع الأحوال على حال لم يتّصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلم".[2]

وإلى جانب ذلك، فإن الرشيد اهتمَ ببناء وتجديد مدن الثغور الشامية كلها، فجدد عمارة مدينة أَذَنَة، وهي مدينة خصبة عامرة تقع على الضفة الغربية لنهر سيحان إلى الشرق من طرسوس ويفصل بينهما١٢ ميلًا، وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها،[3] "وكانت جليلة الأهل حسنة المحل".[4] بنيت أذنة أيام الخليفة المنصور عام ١٤٢هـ على يد صالح بن علي بن عبد الله بن العباس[5] ويبدو أنها كانت عرضة لهجمات الروم المتكررة بحكم موقعها المتقدم إذ بدأ تجديدها في أواخر خلافة الرشيد عام ١٩٠هـ على يد والي الثغور أبي سليم فرج التركي[6] الذي أكمل عملية تجديدها في خلافة الأمين عام ١٩٤هـ "وندب إليها رجالًا من أهل خراسان وغيرهم".[7]

وهناك روايات تقول أن أول بنائها كان في خلافة الرشيد أو في خلافة ولده الأمين وليس في أيام المنصور،[8] ولا يمكن التسليم بذلك؛ إذ تذكر المصادر أن الرشيد لما غزا بلاد الروم في خلافة والده المهديّ عام ١٦٥هـ/ ٧٨١م "بنى القصر الَّذِي عند جسر أذنة عَلَى سيحان.. ولم

---

(١) **الروض المعطار**، ص٣٨٨.

(٢) **صورة الأرض** لابن حوقل، ص١٦٨.

(٣) **المسالك والممالك** للإصطخري، ص٤٧؛ **بغية الطلب** لابن العديم، ١/ ١٧١؛ **الأعلاق الخطيرة** لابن شداد، ج١، القسم الثاني، ص١٥١؛ **الروض المعطار** للحميري، ص٢٠.

(٤) **صورة الأرض** لابن حوقل، ص١٦٨.

(٥) **فتوح البلدان**، ص١٦٨.

(٦) **معجم البلدان**، ١/ ١٣٣؛ **بغية الطلب**، ١٦٩.

(٧) **فتوح البلدان**، ص١٦٩؛ **بغية الطلب**، ١/ ١٧٠.

(٨) **فتوح البلدان**، ص١٦٩؛ **معجم البلدان**، ١/ ١٣٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

يكن بناؤه محكما فهدمه الرشيد وبناه"،(١) وهذا يعني أن المدينة كانت قائمة آنذاك إذ لا يمكن أن يُبنى القصر في فضاء منعزل على نهر سيحان وليس للمسلمين فيه مدينة سوى أذنة. وربما كان تعبير البلدانيين بالبناء لا يقصد أوليّة العمران بل يشير إلى عملية التجديد، "ولعل ذلك يُعزى إلى أن معظم المدن كان يتمّ بناؤها أو تجديد بنائها دفعةً واحدة برمّتها، وليس عمران جانب منها أو ترميمها أو تطويرها".(٢) ويرجع اهتمام الخلفاء العباسيين المتواصل بمدينة أذنة إلى كونها النقطة الوحيدة التي يمكن عندها عبور نهر سيحان، وقد حصنوها لحماية الجسر الذي يجتازه الطريق إلى طرسوس والأبواب القيليقية.(٣)

ومن المدن التي بناها الرشيد مدينة (كَفَرْ بَيَّا) الواقعة على الجانب الشرقي لنهر جيحان والمقابلة لمدينة الـمِصِّيصَة وبينهما على النهر جسرٌ عظيم معقود بالحجارة؛(٤) ولذا تسمى المصيصة (بغداد الصغيرة) لأنها تقع على جانبي النهر،(٥) "وكانت جليلة الأهل، نفيسة القدر كثيرة الأسواق حسنة الحال".(٦) وقد تمّ بناء المصيصة في خلافة أبي جعفر المنصور على يد جبريل بن يحيى البجلي عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م،(٧) فلمّا كثُر الناس بها بعد ذلك احتيج إلى بناء كفر بيا على الجهة الموازية فبناها الرشيد،(٨) وذلك حوالي عام ١٧١-١٧٢هـ/ ٧٨٧-٧٨٨م.(٩) وهناك رأي يذهب إلى أن المهديّ هو الذي ابتدأ بناءها ثم غيّره الرشيد وحصّنها بخندق،(١٠) في

(١) فتوح البلدان، ١٦٩؛ بغية الطلب، ١/ ١٧٠؛ الأعلاق الخطيرة، ج١، القسم الثاني، ص١٥١.

(٢) جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها خلال العصر العباسي الأول: محمد بن سليمان الراجحي، مجلة الدرعية، السنة الرابعة، ع١٣، محرم ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م، ص٤١.

(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ١/ ٢٥٣.

(٤) بغية الطلب، ١/ ١٥٣و١٥٦؛ الأعلاق الخطيرة، ج١، القسم الثاني، ص١٤٤.

(٥) بغية الطلب، ١/ ١٥٥؛ الأعلاق الخطيرة، ١/ ١٤٤.

(٦) صورة الأرض لابن حوقل، ص١٦٨.

(٧) فتوح البلدان، ص١٦٧.

(٨) بغية الطلب، ١/ ١٦١.

(٩) الثغور البرية الإسلامية: عليّة الجنزوري، ص٦٢.

(١٠) فتوح البلدان، ص١٦٧؛ معجم البلدان، ٤/ ٤٦٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

حين يذكر ابن واضح أن المأمون هو الذي بناها،[1] ويجمع ابن العديم بين ذلك فيقول أن الرشيد بناها "ولم يكن لها سورٌ، فبنى المأمون لكفربيا سورًا فلهذا نسب بناؤها إليه".[2] ويمكننا أن نستدل بهذه النصوص التاريخية على أن المدينة بنيت بشكلها النهائيّ في خلافة الرشيد، وجدد عمارتها المأمون.

وإلى الشمال الشرقي من مدينتي المصيصة وكفر بيا أنشأ الرشيد مدينة (عين زَرْبَة) عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م[3] على يد أبي سُليم فرج التركي، واجتهد في بنائها "وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل".[4] وكانت عين زربة "حسنة الجملة وافرة الخيرات"،[5] "بها النخيل والخصب والسعة في الثمار والزرع".[6]

لم يقتصر اهتمام الرشيد على المدن الثغرية الكبيرة بل تعداه إلى الصغيرة التي أطلق عليها بعض البلدانيين تجاوزًا (الحصن)، فغير بعيد عن المصيصة إلى الشرق منها بنى هارون الرشيد مدينة (الكنيسة السوداء)، وهي مدينة قديمة بناها الروم بالحجارة السُّود ثمّ أُحرقت فسمّيت المحترقة، ولها حصن قديم أُخرب أيضًا.[7] فلمّا كان زمن الرشيد أمر ببناء المدينة عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وإعادتها إلى ما كانت عليه.[8] والكنيسة كما يقول ابن حوقل: "حصنٌ فيه منبر، ثغرٌ في معزل من ساحل البحر".[9]

---

(١) بغية الطلب، ١/ ١٥٦.

(٢) بغية الطلب، ١/ ١٦١.

(٣) فتوح البلدان، ص١٧١؛ الخراج وصنعة الكتابة، ص٣١١؛ بغية الطلب، ١/ ١٦٧؛ الأعلاق الخطيرة، ج١، القسم الثاني، ص١٥٧.

(٤) فتوح البلدان، ص١٧١.

(٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج ٢، ص٦٤٧.

(٦) صورة الأرض، ص١٦٧.

(٧) فتوح البلدان، ص١٧١؛ معجم البلدان، ٤/ ٤٥٨؛ بغية الطلب، ١/ ١٧٣؛ الأعلاق الخطيرة، ، ج١، القسم الثاني، ص١٥٩.

(٨) فتوح البلدان، ص١٧١؛ معجم البلدان، ٤/ ٤٥٨.

(٩) صورة الأرض، ص١٦٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

وفي الشعاب الغربية على طرف جبل اللُّكام (طوروس الداخلية) أنشأ الرشيد مدينة (الهارونية) عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م فنُسبت إليه وشحنها بالجنود والمتطوعين،(١) ويصفها الإصطخري بأنها "حصنٌ صغير".(٢) والهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالثغور الجزرية وبينها وبين الكنيسة السوداء اثنا عشر ميلًا.(٣)

ويبدو أن ابن حوقل المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي قد زار حصن الهارونية وعاين أحواله إذ يقول: "وأدركتُه في غاية العمارة، وأهله في جهادهم في نهاية الجلد والشطارة، يَغْزُون فيغنمون ويتلصّصون على بلد الروم فيَسْلَمون".(٤)

ولم يكن غريبًا اهتمام الرشيد بالمدن الواقعة حول المصيصة (عين زربة، الكنيسة السوداء والهارونية) وتحصينها وشحنها بالمرابطين، رغم أنها ليست من المدن الكبيرة وإن تلتها في الأهمية؛ وذلك لأنها تشكِّلُ مع المصيصة جبهة واحدة أمام الروم سيّما وأن هذه المدن كانت معرضة لهجماتهم حينذاك، شأنها في ذلك شأن المدن الكبيرة المشهورة.(٥)

ولا شك أن مدن الثغور الشامية كانت عبّاسيّةً بامتياز، إذ اعتنى خلفاءُ بني العباس ببنائها وتحصينها وتسيير حملات الجهاد منها أكثر من اهتمام الأمويين بها –وإن لم يهملوها– يؤيد ذلك ما ذهب إليه المسعوديّ في وصفه الثغور الشامية بأنها عباسية والجزْرية بأنها أموية.(٦) ويمكننا القول بأن أغلب هذه المدن كانت من بناء الرشيد في خلافته باستثناء المصيصة وأذنة، ومما يقوي هذا الرأي ما أورده ابن العديم نقلا عن أبي عمرو القاضي الطرسوسيّ عن عبد الله بن كَلُرْت _أحد أشياخ الثغور_ قوله: "وقد غزا محمد بن عبد الله أمير المؤمنين المهدي _رحمه

(١) فتوح البلدان، ص١٧١؛ معجم البلدان، ٥/ ٣٨٨؛ بغية الطلب، ١/ ٢١٩، الأعلاق الخطيرة، ، ج١، القسم الثاني، ص١٥٨.

(٢) المسالك والممالك، ص٤٧.

(٣) تقويم البلدان: أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود، طبعة درسدن ١٨٤٦م، ص١٣٣.

(٤) صورة الأرض، ص١٦٧.

(٥) جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها خلال العصر العباسي الأول، ص٤٨.

(٦) التنبيه والإشراف، ص١٦٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

الله_ فلم تك هناك طرسوس ولا أذنة ولا عين زربة، وإنما كان هذا الحصن لا غير".[1] يعني حصن ثابت بن نصر بالمصيصة. ونُبقي هنا على استثناء أذنة من كلام ابن كَلُرْت؛ لقوّة الرواية التي ساقها البلاذري والتي فصّلتْ بناءها في خلافة المنصور كما حررتُ في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما يمكن الاستنتاج أن الرشيد تقدّم بخط الثغور الممتد من منبج –حلب–أنطاكية–والتي أسماها العواصم– إلى الحدث–المصيصة–طرسوس، وهذا الخط الثاني أقوى من الناحية الدفاعية لحماية الشام والجزيرة.

ومن مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية _إلى جانب بناء المدن وتجديدها:

٢. عنايته بالتحصينات الدفاعية لهذه المدن:

فمن أهم الشروط التي روعِيَتْ في بناء مدن الثغور الشامية والتي حققت الميزة الدفاعية الأكبر لها: الموقع المحصّن تحصينًا طبيعيًا، إذ نلحظ أن هذه المدن أقيمت إما على الأنهار (كطرسوس وأذنة والمصيصة وكفربيا) وإما على أطراف الجبال وعلى الشعاب (كعين زربة والهارونية والكنيسة السوداء) وهو الأمر الذي وفّر لها تحصينًا أوليًا وصعّب حركة العبور إليها نسبيًا. ولم يكتفِ الرشيد بذلك بل قوّاه بنظام دفاعيّ مستقلّ لكل مدينة زاد من مناعتها، واشتمل هذا النظام على عدد من التحصينات كالأسوار والأبراج والشرافات والأبواب الحديدية والفياصل والخنادق.

ويظهر التحصين الطبيعي بوضوح في مدينة طرسوس، حيث يشقها نهر البردان،[2] و"كان بينها وبين حدّ الروم جبال منيعة متشعّبة من اللكام كالحاجز بين العملين"،[3] وهو الأمر الذي شكّل عنصرًا دفاعيًا مهمًا للمدينة.

---

(1) **بغية الطلب**، ٢٠٧/١.

(2) **معجم البلدان**، ٢٨/٤.

(3) **صورة الأرض** لابن حوقل، ص ١٦٨.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

أما التحصينات التي دعّمت الموقع فتظهر في الإنشاءات الدفاعية التي تضمنها البناء؛ وكان أولها "خندق عريض عميق مبني بالصخر من أعلاه وأسفله، مفروش كله بالصخر"(١) وحُفر حول أسوار طرسوس ليكون أول عائق أساسي لمن يهاجم المدينة.(٢) ويلي الخندق سورٌ خارجيّ إذ "مُدّت طرسوس على سورين"،(٣) وهذان السوران: داخليّ يحيط بالمدينة وخارجيٌّ يلي السور الأول، ووظيفة السور الخارجي أنه يمنع العدو من الهجوم المباشر على الأسوار الداخلية الرئيسية ويعوقه ويعطّل تقدّمه لفتح الثغرات التي يمكنه أن ينفذ منها إلى داخل المدينة.(٤)

وكان بين السورين "فصيلٌ واسعٌ متقن"(٥) والفصيل مساحةٌ خالية تتمركز فيها قوة الدفاع الرئيسية عن المدينة، ويمكن اصطياد العدو فيها في حال استطاع اجتياح السور الخارجيّ، ويشكّل السور الأمامي على هذا النحو بفصيله وخندقه خطًا دفاعيًا أماميًا عن طرسوس.(٦)

أما الأبواب فقد كان لكلّ من السور الخارجي والسور الداخليّ خمسة أبواب حديدية،(٧) وصُفّحت أبواب الأسوار لمقاومة ضربات العدو إذا ما استطاع الوصول إليها، وهو أسلوب شاع استخدامه في جُلّ أبواب المدن الإسلامية.(٨)

ويقف السور الداخلي الذي يلي المدينة كأكبر الخطوط الدفاعية قوة، يؤكدُ ذلك ما اشتمل عليه من عناصر؛ إذ كان في السور "مائة بُرج"(٩) موزّعة ومقسّمة بحسب الوظائف التي

(١) **الروض المعطار** للحميري، ص٣٨٨.

(٢) **المدينة الإسلامية**: مُحمّد عبد الستار عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، أغسطس١٩٨٨، ص١٢٧.

(٣) **بغية الطلب**، ١/١٨٠.

(٤) **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، ٣/٣٥٥.

(٥) **الروض المعطار**، ص ٣٨٨.

(٦) **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، ٣/٣٥٥؛ **المدينة الإسلامية**: ص١٢٨.

(٧) **بغية الطلب**، ١/١٨٠.

(٨) **المدينة الإسلامية**، ص١٢٨.

(٩) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ١/١٨١.

تؤديها، فثلاثة وعشرون برجًا مخصصة للمجانيق، وعشرون برجًا للعرّادات،(١) والبقية لقِسِيِّ الرِّجْل.(٢) وإلى جانب المهمة الدفاعية لهذه الأبراج فقد كانت كذلك "مساكن للمتأهلين والعزّاب"(٣) من أهل الثغر والجنود المرابطين، كما كانت تؤدي وظائف صناعيّة إذ خُصص بعضها لصناعة الورق والكاغَد،(٤) وخُصص البعض الآخر لمهام اقتصادية كبرج باب قلمية الذي تُجمع فيه الأعشار المفروضة على غلات ضياع طرسوس قبل إطلاقها لمستحقيها.(٥)

وكانت تعلو السور الداخلي لطرسوس "ثمانية آلاف شَرَافَة"،(٦) "عَرْضُ الشَّرَفَة ذراعان ونصف في ارتفاع مثل ذلك"،(٧) وقد رُتّب في هذه الشرافات لأوقات الحروب رجالٌ يرمون عن ستة عشر ألف قوس رمية رجلٍ واحد.(٨)

ولاشكّ أن الاستحكامات الدفاعية لبقيّة مدن الثغور لم تخرج عن هذا السّمت وإن لم يُطْنِب المؤرخون في تفصيلها، فعندما جدّد أبو سُليم فرج الخادم مدينة أَذَنة بأمر الرشيد عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م أحكم "بناءها وحصّنها"،(٩) وكان لها "ثمانية أبواب وسور وخندق".(١٠)

---

(١) **العرادة**: نوعٌ مصغّرٌ من المجانيق، ويُفهَمُ من المصادر المختلفة أنها كانت تستخدم في الغالب لا لرمي الحجارة كالمجانيق؛ ولكن لرمي السّهام الكبار دفعةً واحدةً إلى المسافات البعيدة التي لا تصلها رميات الأقواس. ينظر: **بقايا كتاب سير الثغور من خلال مخطوطة بغية الطلب لابن العديم**: عثمان بن عبد الله الطرسوسي الكرجي، تقديم ودراسة: شاكر مصطفى، ط١، دار طلاس للدراسات، دمشق ١٩٩٨م، ص٧٦.

(٢) **قوسُ الرِّجْل (بكسر الراء)**: قوس تُطلق بالرِّجْل مع اليد يمطي فيها الرامي فيصعد برجلين وينزع بيديه. **ينظر**: **بقايا كتاب سير الثغور**، ص ٧٦.

(٣) **بغية الطلب**، ١/ ١٨١.

(٤) **بغية الطلب**، ١/ ١٨١. **والكاغَد**: القرطاس، وهو فارسيٌّ مُعرّب. ينظر: **تاج العروس للزبيدي**، ٩/ ٤٦٢.

(٥) **بغية الطلب**، ١/ ١٨١.

(٦) **بغية الطلب**، ١٨١/١، **والشَّرَافَة**: تعتبر أصلًا من عناصر العمارة الدفاعية في الأسوار والقلاع والأبراج، وهي عبارة عن حجارة تُبنى متقاربة في أعلى السور وحوله ليحتمي وراءها المدافعون ويُشرِفون على المهاجمين ويُطلقون عليهم السهام. ينظر: **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**: يحيى وزيري، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٩م، ١٢٧/٢.

(٧) **الروض المعطار** للحميري، ص٣٨٨.

(٨) **بغية الطلب**، ١٨١/١.

(٩) **فتوح البلدان**، ص١٦٩؛ **بغية الطلب**، ١٧٠/١.

(١٠) **معجم البلدان**، ١٣٣/١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وأما مدينة كفر بيا المقابلة للمصيصة فقد حصّنها الرشيد بخندق لما غيّر بناءها حوالي عام ١٧١-١٧٢هـ/ ٧٨٧-٧٨٨م،[١] ثم بنى المأمون سورها فلم يستتمَ حتى مات فأمر المعتصم بإتمامه وتشريفه، وكان سورها محكمًا ولها أربعة أبواب.[٢]

وتوفر التحصين الطبيعي لمدينة عين زَربة بوقوعها "في سفح جبل"،[٣] وكانت ضمن مدن الثغور التي خربت وجلا أهلها إبان الفتوح الأولى، وكان حولها سوران[٤] يرجع بناؤهما إلى العهد الرومانيّ فلمّا بناها الرشيد عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م حصّن سوريْها.[٥]

ويبدو أن مدينة الكنيسة السوداء قد حُصّنت في عهد الرشيد مرّتين؛ الأولى حين أعاد الرشيد بناءها عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وأمر "بتحصينها ووجّه إليها فِرَقًا من المقاتلة وزاد في عطائهم".[٦]

أما التحصين الثاني فكان على يد ابنه القاسم بن الرشيد إذ تذكر الروايات أن الروم أغاروا على الكنيسة السوداء فأسروا عددًا من أهلها وأخذوا مواشيهم. وكان والي الرشيد على الثغور والجزيرة ابنه القاسم مقيمًا إذ ذاك بدابق، فوجّه إلى الكنيسة السوداء من قام بتحصينها وترميمها وزاد في عدد الجنود المرابطين بها.[٧]

ومن الملاحظ أن التحصينات الدفاعية التي اتخذها هارون الرشيد لمدن الثغور الشامية لم تكن على نمط واحد بل تنوّعت بحسب طبيعة كل مدينة واحتياجاتها، فتوفرت في طرسوس -باعتبارها أكبر مدن الثغور- أشكالٌ متعددة من الاستحكامات كالسور المزدوج والأبراج

(١) **بغية الطلب**، ١/١٥٨؛ **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص٦٢.

(٢) **معجم البلدان**، ٤/٤٨٦.

(٣) **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**: أبي علي أحمد بن محمّد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقيق: سيدكسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٥،ص٣٣٢.

(٤) **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، **٥/٣٣٣**.

(٥) **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص٦٩. نقلًا عن [J. Morgan: Histoire du people Armenien, Paris, op. cit] p. 170.

(٦) **فتوح البلدان**، ص١٧١.

(٧) **فتوح البلدان**، ص١٧١و١٧٢؛ **بغية الطلب**، ١/ ١٧٤.

والشرافات والأبواب الحديدية والفيصل والخندق. في حين اعتمد تحصين مدن (أذنة وكفربيا وعين زربة) على السور والخندق، أما الكنيسة والهارونية فلم تذكر المصادر عناصر التحصين التي توفّرت لها، واكتفت في الحديث عنها بالإشارة إلى شحنها بالمقاتلين.

وقد اشتمل النظام الدفاعيّ لمنطقة الثغور على استحكامات عديدة-إلى جانب تحصين المدن- كالمسالح والمراقب والمناظر والضواحي والتي غالبًا ما تكون في الخطوط الأمامية وعلى مبعدة من الأماكن الكبيرة المأهولة حتى يكون في وسعها صد المغيرين، أو وقفهم حتى تأتي نجدات كبيرة من الجيوش لمحاربة الغزاة، ويكون في وسع أهل القرى والمدن الهرب بأنفسهم وأموالهم إلى مواضع آمنة،[1] ومن هذه الاستحكامات:

- **الـمَسَالِح:**

مفردُها مَسْلَحَة، وهي مواضع يكون فيها قوم في عُدَّة بموضع رَصَدٍ قد وُكِّلوا به بإزاء ثَغْر يَرْقُبون العدوَّ لئلا يَطْرُقَهم على غَفْلة فإذا رأَوه أَعلموا أَصحابهم ليتأَهبوا له. ومَسْلَحةُ الجُنْد: خطاطيف لهم بين أَيديهم ينفضون لهم الطريق ويَتَجَسَّسُون خبر العدوّ لئلا يَهْجُم عليهم ولا يَدَعَون واحداً من العدوّ يدخل بلاد المسلمين وإن جاء جيش أَنذروهم.[2]

وقد أورد أبو يوسف قاضي قضاة بغداد في كتاب (الخراج) -الذي صنّفه بطلب من الخليفة هارون الرشيد- ما يجب أن يتخذه الخليفة من تحصينات متقدّمة وما تشتمل عليه من إجراءات، فذكر أنه "ينبغي للإمام أن تكون لَهُ مسالح عَلَى المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق فيفتشون من مرَّ بهم من التجار؛ فمن كان معه سلاح أخذ منه ورُدّ ، ومن

(١) **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: جواد علي، ط٢، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٥/ ٣٢٢.

(٢) **لسان العرب** لابن منظور، مادة (س ل ح)، ٢/ ٤٨٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

كان معه رقيق رُدّ، ومن كانت معه كتب قرئت كتبه، فما كان من خبر من أخبار المسلمين قد كتبت به أخذ الذي أصيب معه الكتاب وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه".[1]

وبهذا تمثّل المسالح الخطوط الأمامية من خطوط الدفاع ونقاط الأمان فيها، ومحل جمع المعلومات عن تحركات ونيات العدو. بها حاميات مقيمة وظيفتها الأولى الاستطلاع وإخبار الجيش بقدوم عدو ما، ومشاغلته إلى حين وصول القوات المدافعة الكبيرة.[2]

- **الـمَرَاقِب أو الـمَنَاظِر:**

وتكون في مواضع مشرفة مثل رأس تَلٍّ أو جبل يبنى عليه بناء يجعل فيه رقباء ينظرون العدو ويحرسونه ليتوقوا غدره وشره. فإذا أراد الغارة، أرسلت "النظّيرة" أو "النظّورة" رسالة تحذير للتهيؤ لصد العدو.[3]

- **الضّواحي:**

وهي المناطق منزوعة السلاح التي يتركها الطرفان المتحاربان خالية وينقلون السكان منها،[4] ولعل الهدف من ذلك أن تبقى المنطقة مكشوفة للمراقبين وحرّاس الثغور يردّون فيها على تحركات العدو دون خسائر في أرواح السكان.

ولاشكّ أن تحصين الثغور لا يقتصر بطبيعة الحال على بناء الاستحكامات؛ بل يتجاوزه إلى أهمّ من ذلك وهو ترتيب الجنود النظاميين الذين يمثلون مع من ينضاف إليهم من المطّوعة العنصر الأساسي في الدفاع عن الثغور، وهم الجند الذين حرص الرشيد على ندبهم إلى الثغور من جميع مناطق الدولة الإسلامية، ولذا كان أغلب أهلها "أخلاط من الناس".[5]

---

(1) **الخراج**: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، ص٢٠٧.

(2) **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٣٢٣/٥.

(3) **لسان العرب** لابن منظور، مادة (ر ق ب)، ٤٢٥/١و مادة (ن ظ ر)، ٢١٧/٥؛ **المفصل في تاريخ العرب**، ٣٢٣/٥.

(4) **دولة بني العباس**: شاكر مصطفى، ٢٩٩/٢.

(5) **بغية الطلب**، ١٥٦/١و١٧١و١٧٨.

ويمكننا أن نعتبر أوقاف مدن الثغور من جملة التحصينات الدفاعية-وإن لم تنشئها السلطة الحاكمة-، إذ يستحيل تجاوز دورها في ترسيخ القوة الأمنية للثغور؛ فقد كانت الأوقاف بمثابة مؤسسات مكتملة تتولى مهمة تدريب المقاتلين المنقطعين للجهاد وتوفير العدّة لهم ليكونوا على أهبة الاستعداد حال النفير. وأورد ابن العديم تفصيلات لعمل هذه الأوقاف في مدينة طرسوس "إذ كانت أجلها مدينة وأكثرها أهلاً، وأغصها أسواقاً، وليس على وجه الأرض مدينة جليلة إلا ولبعض أهلها دار حبس عليها حبس نفيس وغلمان برسم تيك الدار بأحسن العدة وأكمل الآلة، يقوم بهم الحبس الذي عليهم، وكان أكثر ذلك لأهل بغداد، فإنه كان لهم بها ولغيرهم من وجوه أهل البلدان وذوي اليسار منهم جلة الغلمان، مقيمين عليهم الوقوف السنية، والأرزاق الدارة، ليس لهم عمل إلا ارتباط فرهة الخيل وتخريجها في الطراد والعمل عليها بسائر السلاح، يعملون ذلك في صدور أيامهم، ويتصرفون في أعجازها إلى منازل فياحة فيها البساتين والمياه الجارية والعيش الرغد".[1]

وكان سكان الثغور بتنوع اختصاصاتهم من الجنود النظاميين والمتطوّعين وأهل الأوقاف وعامة أهل البلد بارعين في ركوب الخيل والعمل بالسلاح "ليس فيهم من يعجز عن ذلك، ولا يتخلف عنه حتى أن ذوي المتاجر الدنية والصنائع الوضيعة كانوا يلحقون بالطبقة العليا في الفروسية والشجاعة وارتباط الخيل، واعداد السلاح".[2]

وبهذا كانت مدن الثغور الشامية المحصّنة وأوقافها والمسالح والمراقب والمناظر والضواحي ومن يقوم عليها من الجنود النظاميين بمختلف وظائفهم والمطّوعة من المرابطين والمجاهدين تمثّل معالم النظام الدفاعيّ العباسيّ وأدواته على طول الحدود المشتركة مع الروم، وتشكّلُ فيما بينها نظامًا دفاعيًا وهجوميًا متكاملًا تجري في إطاره عمليات الغزو والجهاد والدفاع.[3]

---

(1) بغية الطلب، ١/١٧٩.
(2) بغية الطلب، ١/١٧٩.
(3) دولة بني العباس، ٢/٣٠٠.

ومن مظاهر عناية الرشيد بالثغور الشامية ـإلى جانب بناء المدن وتجديدها واهتمامه بتحصيناتها الدفاعية:

٣. حرصه على اختيار الولاة:

مع أن الرشيد أقرّ في بداية خلافته التنظيم الإداري الجديد لمنطقة الثغور حيث فصلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزًا واحدًا وسماها العواصم؛ إلا أننا "نجد الإشارات أحيانا إلى الثغور باعتبارها ولايةً مستقلّة وأحيانًا باعتبارها جزءًا من جند العواصم وأحيانًا أخرى جزءً من الجزيرة وقنّسرين".(١)

ويبدو أن فصل الثغور والعواصم كان فصلًا إداريًا لا مركزيًا يتيحُ لولاتها تسيير أمورها مع تبعيّتهم لولاية الجزيرة وقنّسرين، إذ نلحظ في النصوص التاريخية الدمج بين هذه الولايات عند ذكر أخبارها. والحقّ أنّ الدمج التام بين ولاية الثغور والعواصم وقنّسرين من جهة وولاية الجزيرة من جهة أخرى يستحيل عقلًا؛ وذلك أن "الجزيرة وما حولها كانت من أكثر الأقاليم اضطرابًا وفتنًا على الدولة العباسية وأكبر مركز يحتشد إليه الثوار على اختلاف أصنافهم؛ لوجود بعض القبائل العربية المسلحة قوية الشكيمة أمثال بكر وتغلب وغيرها، ولموقع هذه المنطقة الجغرافي بين شعوب وعناصر مختلفة من العرب والكرد والأرمن والروم والفرس، فكان طبيعيًا أن يتكوّن فيها جوٌّ مضطرب النزعات والعقائد والآراء يتقبّل كل فكرة تدعوه إلى التمرد والانتقاض ضد نظام الحكم القائم".(٢)

ومن زاوية أخرى كانت منطقة الثغور والعواصم منطقة احتكاك مباشر مع الروم ألدّ أعداء الدولة العباسية ومنتهزي فرص الانقضاض عليها، ولهذه الأسباب كان من المستحيل على والٍ واحدٍ الاضطلاع بكل تلك المهام الجسيمة المؤثرة على أمن الدولة وبقائها، كما كان

(١) الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ١/ ٣٨٨.

(٢) الحدود الإسلامية البيزنطية، ٢/ ١٤٣-١٤٤.

من الضرورة الإدارية الفصل الفعليّ بين الإقليمين وإن دُمجِا اسميًا، وهو الأمر الذي يبدو جليًا في المصادر التاريخية أثناء تتبع الحوادث في خلافة الرشيد.

وبالنظر إلى الثغور والعواصم نجد أن القوائم التي سجّلها المؤرخون لم تذكر أسماء ولاتها إلا ما ندر،[1] ويبدو أن عبد الملك بن صالح هو أوّل من تولى العواصم والثغور و"غزو الصوائف"[2] في خلافة الرشيد ضمن ولاية الجزيرة وقنّسرين؛ ذلك أن الرشيد لّما أفرد قنّسرين بكورها وصيّرها جندًا؛ أفرد الثغور والعواصم وجعل قاعدة العواصم منْبِج "فسكنها عبد الملك بن صالح بن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائه، وبنى بها أبنيته".[3]

وذكر اليعقوبي في حوادث عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م أن عبد الملك بن صالح كان "يتولّى الجزيرة وبعض الشام"[4] وربّما قصد بالجزيرة ثغورها، وهذا يعني أنه كان على ذات ولايته وعلى غزو الصوائف تبعًا لذلك؛ إذ يتكرر اسمه واسم ابنه عبد الرحمن في قيادة المغازي في المصادر التاريخية، فقد غزا عبد الملك الصائفة عامي ١٧٣هـ و١٧٤هـ/ ٧٨٩-٧٩٠م[5] وبلغ ابنه عبد الرحمن مدينة إقريطية[6] عام١٧٥هـ/ ٧٩١م،[7] وافتتح حصنًا عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م،[8]

---

(١) قدّم **خليفة بن خياط** قائمة بأسماء عمّال الرشيد على الجزيرة وسكت عن الشام وقنّسرين والعواصم والثغور. ينظر: **تاريخ خليفة بن خياط**، ص٤٦٠؛ فيما أورد **ابن الأثير** قوائم ولاة الأمصار في خلافة الرشيد فذكر عمّال مكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان وسكت عن الجزيرة وقنّسرين والعواصم والثغور. ينظر: **الكامل**، ٥/ ٣٤٥-٣٥٥؛ فيما لم **يذكر الطبري** أسماء العمال أواخر كل سنة هجرية من سنيّ خلافة الرشيد على ما جرت عليه عادته في تدوين أخبار سابقيه.

(٢) **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص٢٣٠.

(٣) **فتوح البلدان**، ص١٣٤.

(٤) **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص٣٥٦.

(٥) **تاريخ خليفة بن خياط**، ص٤٤٩؛ **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٣٩؛ **الكامل** لابن الأثير، ٥/ ٢٨٧؛ **الأعلاق الخطيرة** لابن شداد، ج١، القسم الثاني، ص٢٤٠.

(٦) لم أجد لها ذكرًا في المصادر.

(٧) **تاريخ خليفة بن خياط**، ص ٤٤٩؛ تاريخ الطبري، ٨/ ٢٤١؛ **الكامل**، ٥/ ٢٨٨؛ **الأعلاق الخطيرة**، ١/ ٢٤١.

(٨) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٥٤؛ **الأعلاق الخطيرة**، ١/ ٢٤١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وفي عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م شارك عبد الملك بن صالح في الصائفة التي قادها الرشيد،(١) فيما بلغ ابنه عبد الرحمن مدينة أفسوس عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م.(٢)

وفي عام ١٨٦هـ عزل الرشيد عبد الملك بن صالح وولّى ابنه القاسم المؤتمن "الجزيرة والثغور والعواصم"(٣) "ووهبه لله وجعله قربانا له ووسيلة"(٤) وذلك بعد أن قسّم ولاية العهد بين أبناءه الثلاثة. وفي العام التالي ١٨٧هـ غضِب الرشيد على عبد الملك بن صالح إثر وشايةٍ سعى فيها ابنه عبد الرحمن وكاتبه اتّهماه فيها بطلب الخلافة فحبسه الرشيد بعد كلام طويل جرى بينهما، فلم يزل محبوسًا حتى مات الرشيد وأطلقه محمد الأمين وردّ عليه أمواله وضياعه وولاه جميعَ ما كان إليه من الجزيرة وقنّسرين والعواصم والثغور.(٥)

استمر القاسم بن الرشيد على ولاية الثغور والعواصم، إذ نجد في الحوليات الإسلامية أخبار صائفته عام ١٨٧هـ،(٦) كما رابط القاسم بدابق عام ١٨٨هـ،(٧) وتولّى الفداء المشهور بين المسلمين والروم عام ١٨٩هـ فلم يبق بأرض الروم مسلمٌ إلا فودِيَ به.(٨)

ويبدو أن القاسم ظلّ على ولايته مع أن المصادر لا تورد له خبرًا أو صائفة بعد عام ١٨٩هـ كما لا تورد خبر عزله إلا عام ١٩٤هـ حين عزله أخوه محمد الأمين عن جميع ما كان أبوهما هارون ولّاه من عمل الشام وقنّسرين والعواصم والثغور،(٩) ويُفهم من ذلك أن القاسم كان على ذات ولايته حتى وفاة الرشيد.

(١) تاريخ الطبري، ٨/ ٢٦٨؛ الكامل، ٥/ ٣١٥؛ الأعلاق الخطيرة، ١/ ٢٤٢.

(٢) تاريخ الطبري، ٨/ ٢٦٩؛ الكامل، ٥/ ٣١٧؛ الأعلاق الخطيرة، ١/ ٢٤٢.

(٣) تاريخ الطبري، ٨/ ٢٧٦؛ الكامل، ٥/ ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٠٢.

(٥) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٠٢-٣٠٧؛ تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٨٤؛ الكامل لابن الأثير، ٥/ ٣٣٠-٣٣٣.

(٦) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٠٧؛ الكامل، ٥/ ٣٣٣.

(٧) تاريخ الطبري، ٨/ ٣١٣؛ الكامل، ٥/ ٣٣٧.

(٨) تاريخ الطبري، ٨/ ٣١٨؛ الكامل، ٣٣٩؛ التنبيه والإشراف للمسعودي، ص١٦٠.

(٩) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٧٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

بينما يُطالعُنا خبرُ تولية الرشيد لثابت بن مالك بن نصر الخزاعي الثغور عام ١٩٢هـ[1] ولعلّ النص على (الثغور) يعطينا ملمحًا واضحًا حول اقتصار ولاية ثابت على الثغور باعتباره عاملًا عليها لا واليًا على المنطقة الإدارية بكاملها؛ إذ لا نكاد نجد خبرًا حول عزله أو استبداله بخلاف عزل القاسم بن الرشيد. وإذا كانت المصادر الإسلامية لم تُعطِنا معلومات كافية عن ولاة العواصم والثغور فمن باب أولى إهمالُها لذكر عُمّال المدن والكور.

وعلى الرغم من قلّة الأخبار الواردة عن ولاة العواصم والثغور إلا أنها تقدّم لنا _مع الأخبار المستفيضة حول الصوائف والشواتي وقادتها_ صورة لا بأس بها حول سياسة الخليفة هارون الرشيد في اختيار ولاته وقادته وهي سياسة انتهجها الخلفاء العبّاسيّون من قبله، حيث دأبوا على تولية الثغور والعواصم والصوائف من يثقون بهم من خاصة أهلهم أو قادتهم المتمرسين في الحروب؛ لاهتمامهم بفريضة الجهاد ضد الروم ذبًا عن الأمة وحفظًا للتخوم، إذ أن الروم وهم العدو اللدود للمسلمين قد يتحرّكون ضد الشام في أية لحظة يشعرون فيها بشيء من الضعف، ، فكانت حاجتها إلى الضبط وإحكام الأمور أشدّ من بقية أقاليم الدولة الإسلامية.

(١) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٤٠؛ الكامل، ٥/ ٣٥١.



الفصل الثاني: الخصائص المؤثرة في الفِكر الجهادي لدى العلماء.

_المبحث الأول: الخصائص الاجتماعية.

_المبحث الثاني: الخصائص الدينية.

_المبحث الثالث: الخصائص الفكرية.



قبل أن نناقش هذه الخصائص علينا أن نحدد من هم العلماء الذين سيتعرض لهم هذا البحث بالدراسة والتحليل ؟

يتصدّى البحث بالتحليل الموضوعي لأغلب العلماء الذين جاهدواْ في الثغور الشامية ورابطوا فيها خلال حكم الخليفة العباسيّ الخامس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، وسنلحظ في مباحث هذا الفصل تعدُّد مشارب هؤلاء العلماء فمنهم المحدّثون والفقهاء والعبّاد والزهّاد كأبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ومخلد بن الحسين وعلي بن بكار البصري ويوسف بن أسباط وعتبة بن أبان وسواهم، لذا كان توجّهُ الدراسة توجهًا موضوعيًا في محاولة لقراءة المنظومة العامّة التي خرج منها العلماء المجاهدون والذين يمثلون قادة الفكر الإسلامي في القرن الثاني الهجري -وهي فترة مبكّرة نسبيًا- من خلال الخصائص الدينية والفكرية والاجتماعية التي أثّرت عليهم ووجّهتهم نحو المسار الذي انتهجوه من جهاد ومرابطة، وهذا المؤثرات سابقةٌ بلا شك عصر الرشيد كما أن تأثير العلماء المجاهدين يمتد إلى فترة ليست بالقصيرة بعد وفاتهم.

فهو إذًا ليس بالعمل الاستقصائيّ المجرّد وهو ما يعطينا تصورًا لابأس به لفهم عقيدة الأمة بقياداتها السياسية والفكرية وتوجههم نحو فريضة الجهاد التي رفع رايتها سيد المجاهدين صلى الله عليه وسلم وتلقّتها الأمة من بعده.

ـ المبحث الأول: الخصائص الاجتماعية.

ونقصد بها دراسة أثر الأسرة ووضعها الاجتماعي ومكان المولد والنشأة ، ولا يخفى أن دراسة هذه المؤثرات تعطينا دلالاتٍ واضحة حول طبيعة المجتمع الذي أخرج هؤلاء العلماء وأثره في توجيه سلوكهم.

ولعل أغلب العلماء المجاهدين في الثغور الشامية خلال خلافة الرشيد ولدوا ونشأوا في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري، وهذا يعني معاصرتهم لأحد التحولات السياسية

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

الكبرى في تاريخ الأمة وهو سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية. على أن بقية النواحي الدينية والفكرية والاجتماعية لم تشهد تحولًا جذريًا خاصًا بهذه الفترة التاريخية بل استمرّت في تطوّرها؛ ذلك أن المجتمع المسلم استمر في طور التغيّر منذ بدأ الإسلام في الجزيرة العربية وظلّ دفّاقًا متطورًا في كلّ لحظة من لحظات تاريخه. ولا يمكن أن تُربط التحولات الفكرية والاجتماعية والثقافية في عصرٍ ما بسلطته السياسية؛ لأن التحوّل السياسي آخر مظهرٍ من مظاهر هذه التحولات التي توجهها السلطة الجديدة بطبيعة الحال وتطبعها بطابعها الخاص.

ومع تتابع الفتوحات في الدولة الأموية تواصل استقرار القبائل العربية في البلاد المفتوحة، كما تواصل دخول أمم متعددة الأعراق والديانات والحضارات تحت سلطان المسلمين، وأُطلق على المسلمين من أهل البلاد المفتوحة في العصر الأموي اسم (الموالي)[1] وأصبح المجتمع المسلم مع مرور الوقت واتساع المساحة الجغرافية يضمّ خليطًا من العناصر السكّانية المتنوّعة التي أسهمت في إنتاج الحضارة الإسلامية الفريدة.

ومن أبرز العلماء الذين خرجوا من هذا المجتمع المتنوّع الإمام المجاهد **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري الكوفي**، نَزَل

---

(1) كان الولاء بين العرب قبل الإسلام يحصل بالعتق أو الحلف أو الحماية، وتطور المعنى في صدر الإسلام ليدلّ-إلى جانب ذلك-على فئتين من الموالي: ١.**موالي العتاقة**: وهم أسارى الفتوح الإسلامية الذين اعتنقوا الإسلام وأُعتقوا مع مرور الوقت، ونشأت بتزاوجهم أجيال حُرّةٌ من أبناءهم وأحفادهم نشأة عربية شبه خالصة، وكانوا يُعدّون امتدادًا لأنساب مالكيهم ومُعْتِقِيهم من العرب.٢.**موالي الإسلام**: وهم الأحرار من غير العرب الذين لم يتعرّضوا للاسترقاق وجاءوا إلى الأمصار بمحض إرادتهم واستقروا فيها، ولأن القبيلة تمثل اللبنة الأساسية في المجتمع العربي دخل هؤلاء في حلف مع أحد المتنفذين وانتسبوا له وحملوا اسم قبيلة سيدهم مرفقة بكلمة مولى؛ للدلالة على أن ارتباطه بالقبيلة هو ارتباطٌ اجتماعي وليس ارتباطًا قائما على أساس النسب والدم. واتّسع مفهوم الموالي في العصر الأموي وما بعده ليشمل المسلمين من غير العرب أرقاء كانوا أم عتقاء، وأحرارًا عقدوا ولاء معاقدة مع العرب أم لم يعقدوا. ينظر: **لسان العرب لابن منظور، مادة (و ل ي)، ١٥/ ٤٠٦-٤١٥؛ التكوين التاريخي للأمة العربية- دراسة في الهوية والوعي-**: عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٥٢؛ **النشاط الأدبي للموالي في العصر الأموي**: محمود المقداد، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة دمشق)، دمشق ١٩٨٢م، مج١،ص٤-٥؛ **نظرة القبائل العربية للموالي في العصر الأموي**: أمجد ممدوح الفاعوري، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ع٥٥، ٢٠١١م، (١٩٢-٢١٧)، ص١٩٣.

الشام ثم سكن المصِّيصة.[1] ولجَدِّ أبي إسحاق -خارجة بن حصن- صُحبة، فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني فزارة عام التاسع للهجرة.[2] وفزارة من بني ذبيان بن غطفان، ومنازلهم بنجد مما يلي وادي القرى، جنوب طيِّء وشمال هوازن وخيبر.[3]

ومع انتشار الفتوح وتفرّق الصحابة والقبائل في البلدان المفتوحة، نزل أسماء بن خارجة جدُّ الإمام أبي إسحاق الفزاري الكوفة وكانت له فيها مكانةٌ ووجاهةٌ وسيادة،[4] قال ابن حزم: "وأسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة من سادات أهل الكوفة، ومن ولده الفقيه الفاضل أبو إسحاق الفزاري، فقيه أهل الثغر".[5]

وكان أسماء بن خارجة من السادة التابعين وقد روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،[6] وكان جوادًا ممدّحًا مقدّمًا عند الخلفاء، ذكره ابن حبيب في أجواد الإسلام المشهورين.[7]

---

(1) **الطبقات الكبرى** لمحمد بن سعد، ج٧، ص٤٨٨؛ **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، ج١، ص٣٢١؛ **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٧، ص١١٩-١٣٣؛ **تهذيب الكمال**: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص١٦٧؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م، ج٤، ص٧٩٨-٨٠٢؛ **سير أعلام النبلاء للذهبي**، ج٨، ص٥٣٩-٥٤٣؛ **تهذيب التهذيب**: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص٢٥٥.

(2) **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ٢٩٧/١؛ **تاريخ الطبري**، ١٢٢/٣.

(3) **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٣، ص٩٧و١٥٣؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٢، ص٣٦٤.

(4) **السِّيَر**: إبراهيم بن محمد بن الحارث أبي إسحاق الفزاري، تحقيق: فاروق حمادة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٥-١٦.

(5) **جمهرة أنساب العرب**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص٢٥٧.

(6) **الجرح والتعديل**: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ج٢، ص٣٢٥.

(7) **المُحَبَّر**: محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص١٥٤؛ **أنساب الأشراف** للبلاذري، ٤٥٠/٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ويظهرُ من نسبةِ أبي إسحاق إلى الكوفة في المصادر الإسلامية واستقرار أسرته بها أنه ولد فيها، إلا أن ابن حبّان قال أنه ولد بواسط،(١) ويبدو أن من نَسَبَهُ إلى الكوفة فقد نسبه إلى مقرّ أسرته وأهله، وليس في المصادر ما يشير إلى ما ذهب إليه ابن حبان ولا يمكن مع ذلك القطع بنفيه وإن كان مولده بالكوفة أرجح لتظافر الروايات.(٢)

ولم تنقل لنا المصادر تاريخ ولادته، وقد ذكر الذهبي أنه توفي وهو ابن ثمانين سنة أو جاوزها بقليل، إذ اختلفوا في تاريخ وفاته بين أعوام ١٨٥هـ و ١٨٦هـ و١٨٨هـ(٣) وعلى هذا تكون ولادته في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، أو في غرة القرن الثاني الهجري وهو ما رجّحه الدكتور فاروق حمادة أثناء تحقيقه لكتاب السير الذي صنّفه أبو إسحاق.(٤)

ولاشك أن هذا المحتدّ العربيّ الأصيل، والانتماء لأسرةٍ عريقةٍ من قبيلة عريقة، أثّرا في تكوين شخصية أبي إسحاق الفزاري وتشرّبه لخصال الخير منذ مولده. إضافةً إلى نشأته بالكوفة التي كانت مع البصرة من أهم مراكز الحضارة الإسلامية أوائل القرن الثاني، وامتزجت فيها كل طبقات المجتمع من العرب والموالي وأهل الذمة، ونشطت فيها الحركة التجارية والعمرانية والعلمية، وخرجت الحياة الاجتماعية من بساطتها الأولى إلى أشكالٍ من الدعة والترف.

كما نشطت بالكوفة حركة علمية كبيرة خرّجت مجموعةً من أعلام التابعين كسعيد بن جبير وإبراهيم بن يزيد النخعي وعامر بن شرحبيل الشعبي الذين تتلمذوا على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وفي الكوفة نشأت مدرسة النحويين واللغويين التي نافست في ذيوع صيتها مدرسة البصرة، وبدأ التقعيد لعلوم الفقه وتدوين المغازي والسير،

(١) **الثقات لابن حبّان**، ٢٣/٦. **واسط**: تُطلق على مواضع كثيرة، وهذه مدينة بالعراق متوسطةٌ في موقعها بين الكوفة والمدائن والأهواز والبصرة، بينهما وبين كل واحدةٍ منهنّ أربعون فرسخًا. ينظر: **معجم البلدان**، ٣٤٨/٥.

(٢) **السِّيَر** لأبي إسحاق الفزاري، ص١٧.

(٣) **سير أعلام النبلاء**، ٥٤١/٨.

(٤) ص١٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

وتحوّلت مساجد الكوفة إلى معاهد مفتوحة لكل راغب في الاستزادة من العلوم والمعارف والآداب، وأوقف العلماء والفقهاء والزهّاد أنفسهم لبث العلم بين الناس، كما نشطت المناظرات بين العلماء والشعراء وأصحاب المذاهب المختلفة.(١)

وفي هذه البيئة النشطة نشأ أبو إسحاق الفزاري وأثّر ذلك بشكل واضحٍ في شخصيته، إذ كان بإمكانه وهو من أسرة عريقة وعائلة ثريّة أن ينخرط فيما تهيّأ له من مكانة اجتماعية ويركن إلى الدعة والسلامة، لكنه آثر العلم والجهاد ومكابدة الحياة، وحين كانت كل الخيارات مفتوحة أمامه جاء هذا التوجّه قناعةً واضحةً منه بشكل الحياة التي يريدها.

ومن أبرز العلماء المجاهدين في الثغور الشامية الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ التميميّ مولاهم، **أبو عبد الرحمن المروزيّ أحد الأئمة الأعلام وحُفّاظ الإسلام.**(٢) **كانت أمه خوارزمية وأبوه تركيٌّ مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همذان، وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم.**(٣)

ولد ابن المبارك بمدينة مرو العظمى(٤) عام ١١٨هـ وبها نشأ،(٥) وقد وردت إشارات متفرقّة حول أسرة ابن المبارك إذ ورد عن أبيه أنه كان يعمل في بستان لمولاه وأقام فيه زماناً، ثم

(١) **السِّيَر** لأبي إسحاق الفزاري، ص١٧؛ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**: حسن إبراهيم حسن، ط١٥، دار الجيل-بيروت ومكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٤١١؛ **مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في العراق إبان الدولة الأموية٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م**: سمية عبد الماجد بشير، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية)، السودان٢٠١٠م، ص٩٨و٢٧٠-٢٧٥.

(٢) **التاريخ الكبير** للبخاري، ١١٢/٥؛ **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ٢٦٢/١-٢٨١؛ **تاريخ بغداد**، ج١١، ص٣٨٨؛ **صفة الصفوة**: عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري ومُحَمَّد رواس قلعه جي، ط٣، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٤، ص١٣٤؛ **تهذيب الكمال**، ٥/١٦-٦؛ **تاريخ الإسلام** للذهبي، ٨٨٢/٤؛ **سير أعلام النبلاء** للذهبي، ٨/ ٣٧٩-٤٢١.

(٣) **بنو حنظلة** قيل هم جماعةٌ من غطفان، وقيل بل هم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. ينظر: **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحَمَّد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٢٧٩.

(٤) **مرو العظمى**: تقع على نهر المرغاب، وهي قصبةُ خراسان وأحد أرباعها بعد نيسابور وبلخ وهراة، وسميت بذلك تمييزًا لها عن مرو الرَّوذ. وهي اليوم العاصمة الإدارية لإقليم مرو في جمهورية تركمانستان بآسيا الوسطى. ينظر: **معجم البلدان**، ١١٢/٥-١١٣؛ **بلدان الخلافة الشرقية**، ٤٩٣/٢؛ **يوميات آسيا الوسطى**: مُحَمَّد بن ناصر العبودي، ط١، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٠٧.

(٥) **سير أعلام النبلاء**، ٣٧٩/٨.

إن مولاه قال له يومًا: أريد رماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً فكسره فوجده حامضاً، فغضب عليه وقال: أطلب حلوًا فتأتيني بحامض! هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره وجده حامضًا أيضاً، فاشتد غضبه عليه، وفعل كذلك مرة ثالثة، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض فقال: لا، فقال: كيف ذلك؟ فقال المبارك: لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل؟ قال: لأنك ما أذنت لي، فكشف عن ذلك فوجد قوله حقاً، فعظم في عينه وزوّجه ابنته، ويقال: إن عبد الله رزقه من تلك الابنة، فنمت عليه بركة أبيه.[1]

ولا يمكن التسليم بهذه الرواية حيث عقّب ابن خلّكان (ت٦٨١هـ) بعد أن ذكرها بقوله: "ورأيت في بعض التواريخ هذه القضية منسوبة إلى إبراهيم بن أدهم العبد الصالح".[2] هذا إلى أن مولى المبارك كان عربيًا من بني حنظلة، فيما أجمعت المصادر على أن أم عبد الله بن المبارك خوارزمية. كما أن هذا الخبر لم يرد في مصادر التاريخ وكتب الرجال المتقدّمة وهو -إن صحّ- لم يفُتْ على أصحابها.

ومهما يكن من أمر، فالثابت أن المبارك أبو عبد الله كان تاجرًا وأنه كان يشجع ابنه عبد الله على طلب العلم، فقد ذكر أَبُو تُميلة وهو من أهل مرو[3] أن أباه والمبارك -أبا عبد الله- كانا تاجرين، وأنهما جعلا لنا من حفظ منا قصيدة فله درهم، قَالَ: فكنتُ أتحفظ أَنَا وابن المبارك القصائد.[4]

ويبدو من النصوص أن ابن المبارك نشأ في بحبوحة من العيش في كنف والده التاجر، الذي أعطاه بستانًا كان له بمرو وخصّه به دونًا عن أخواته، "فلما كبُر عبد الله وترعرع وجالس

(1) **وفيات الأعيان**: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٧١م، ج٣، ص٣٢

(2) **وفيات الأعيان**، ٣٢/٣؛ وانظر ذكر ما يشبهها عند ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ١٥٦/٤.

(3) **يحيى بن واضح الأنصاري** المحدّث الحافظ وكان عالما بأيام الناس، حدّث بمرو ثم قدم بغداد فروى عنه خلقٌ من أهلها وبها توفي بعد المائة والتسعين. ينظر: **تاريخ بغداد**، ١٩١/١٦-١٩٤؛ **سير أعلام النبلاء**، ٢١١/٩.

(4) **تاريخ بغداد**، ١٩٣/١٦.

أهل العلم وطلب العلم جاء إلى اخواته فقال لهن: إن أبانا كان صنع أمرا لم ينبغ له أن يصنعه، نحلني هذا البستان دونكم، وليس أحد أحق أن يخرج أباه مما جعل فيه منى، فقد رددت هذا البستان وجعلته ميراثًا بيننا على كتاب الله عز وجل فحلّلُوا أبانا مما كان دخل فيه، فقلن له: أنت في حِلّ وأبونا في حِلّ، وهو لك كما كان والدنا نحلك، قال: لا، ولكنه ميراث بيننا فحلّلُوه، فحلّلُوه. فتزوج عبد الله فوُلِد له ابن فنحلن الأخوات ابن عبد الله حصصهن من البستان، فمات الغلام فورثه عبد الله ورجع إليه البستان كما كان أبوه نحله".[1]

وإذا نظرنا إلى مدينة مرو التي ولد ونشأ فيها عبد الله بن المبارك نجد أنها من أهم مدن إقليم خراسان، وقيل أنها من بناء ذي القرنين، وكان يقطنها قبل الإسلام أحد الشاهات السبعة المؤلفة منهم الإمبراطورية الساسانية، ولذا سُمّيت بمرو الشاهجان أي (نفس السلطان)، وذلك لجلالتها عندهم.[2]

وهي أول موضع سكنه العرب في خراسان بعد فتحها عام ٤٥هـ، وسكنها عددٌ من الصحابة والتابعين منهم الحكم بن عمرو الغفاري (ت٥١هـ) و بريدة بن الحصيب الأسلمي (ت٦٣هـ) وبها قبرهما.[3] وكانت مرو إحدى قواعد خراسان الإدارية في العصر الأموي، ومنها انطلقت شرارة الثورة العباسية، وكان ابن المبارك صغيرًا آنذاك إذ يقول: ذاكرني عبد الله بن إدريس (ت١٩٢هـ) السِّنّ فقَالَ: ابن كم أنت؟ فقلت: إن العجم لا يكادون يَحفظون ذلك، لكني أذكر أني لبست السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم، وكان أخذ الناس كلهم بلبس السواد، الصغار والكبار.[4]

(1) **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ٢٦٨/١.

(2) **معجم البلدان**، ١١٣/٥؛ **مدينة مرو في المصادر الجغرافية العربية**: طارق فتحي سلطان والست وفاء أحمد مصطفى، مجلة التربية والعلم، مج١٦، ع٣، العراق ٢٠٠٩م، ص٢٣.

(3) **فتوح البلدان**، ص٣٩٦؛ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٢٦٤.

(4) **تاريخ بغداد**، ٣٩٠/١١؛ **سير أعلام النبلاء**، ٣٨٢/٨.

وشكّلت مرو عقدة المواصلات في خراسان وعُدّت منطلق كل الحملات العسكرية والرحلات العلمية ومركزًا تجاريًا مهمًا، وأضحت في وقت قصير مدينة العلم والعلماء وخرّجت ثُلّة من الأئمة والأعلام كسفيان بن سعيد الثوريّ (ت١٦١هـ) وإسحاق بن راهويه (ت٢٣٨هـ) وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) إمام أهل السنة وسواهم كثير.(١)

أما التركيب السكاني لمدينة مرو فقد كان متألفًا من ثلاثة عناصر رئيسية: القبائل العربية المسلمة التي استقرّت بها بعد الفتح، والموالي وهم إما من السُّكّان الأصليّين من الفرس والترك الذين دخلواْ في الدين الإسلامي ودخل بعضهم في ولاء القبائل العربية وبقي البعض الآخر خارج إطارها، وإما أن يكونوا من أسرى الحروب الذين كانواْ عبيدًا للعرب ثم أُعتقوا وأصبحوا امتدادًا لقبائل مالكيهم. أما العنصر الثالث فهم أهل الذمة من سكان البلد الأصليين الذين بقوا على أديانهم من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس وعاشوا في ذمة المسلمين.(٢)

وقضية الموالي من القضايا الشائكة في العصر الأموي، أفاض الكُتّاب فيها وأخذت حيزًا لابأس به من الدراسات، اتّهم بعضها الدولة الأموية بإقصاء الموالي اجتماعيًا واعتبارهم في مرتبة أقلّ من مرتبة العربيّ مما ولّد لدى بعضهم شعورًا مضادًا نمى وتدرّج حتى ظهر في الحركة الشعوبية، كما ولّد لدى البعض الآخر شعورًا بالنقص جعلهم يتوجّهون صوب التحصيل العلميّ كوسيلة لإثبات الذات! كما اتُّهم الأمويون كذلك بإقصاء الموالي سياسيًا وعدم تمكينهم من المناصب العليا في الدولة واحتكار العنصر العربيّ لها.(٣)

---

(١) **المسالك والممالك** للإصطخري، ص١٤٩؛ **معجم البلدان**، ١١٤/٥؛ **مدينة مرو في المصادر الجغرافية العربية**، ص٣٣.

(٢) **الأهمية الموضعية لمدينه مرو منذ الفتح الإسلامي حتى مجيء تيمورلنك–دراسة في الجغرافية التاريخية الاقتصادية**: عبد الرحمن علي عبد الرحمن، مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية، ع٢، العراق ٢٠٠٩، ص٨٧٠-٨٧١.

(٣) شاعت هذه الاتهامات في كتابات المستشرقين ومن تأثر بهم من الكتاب العرب منها على سبيل المثال لا الحصر: **تاريخ الشعوب الإسلامية**: كارل بروكلمان، تعريب: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٢-١٣و١٥٨؛ **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٧م، ج١، ص٤٠ وما بعدها؛ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**: حسن إبراهيم حسن،٤٣١/١-٤٣٢.

ولا يمكن للبحث العلميّ أن يُسلّم بشيء من ذلك ولا أن ينكر وجوده أيضًا، إلا أن المتتبع المنصف للتاريخ الاجتماعي والسياسي يرى بشكل واضحٍ أن اضطهاد الموالي لم يكن سياسةً متّبعة لدى سلطات الدولة وأجهزتها في العصر الأموي بحال من الأحوال، إنما كان هذا التماوج بين العصبية والتسامح ضربًا من ضروب الحركة الاجتماعية تحكمها قوانين المجتمع وخصائصه، هذه الحركة التي أفرزت فريقًا متعصبًا من العرب والموالي قلّ تمثّله لقيم الإسلام وتعاليمه فانساق وراء دعاوى الجاهلية، وبعيدًا عن هذا الفريق كان جُلُّ العرب والموالي ملتزمين بقيم الإسلام الصحيح في المساواة بين البشر وتفضيل أصحاب التقوى، فحقق العلماءُ من الموالي تحت هذه القيم مكانةً عالية في المجتمع الأموي وأصبحواْ منارات للعلم والفكر في سائر الأقاليم. كما وصل الموالي إلى مختلف المناصب الإدارية في الدولة حاشا الخلافة.[1]

وقد ذكرنا أن الإمام عبد الله بن المبارك ولد عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٦هـ/ ١٢٥هـ)، أي أنه عاش فتوته وشبابه وكهولته في العصر العباسي الذي شهد انفتاحًا أكبر على الموالي، مما يعني أن تأثّرهُ لم يكن في هذه القضية بالذات تأثرًا شخصيًا، لكنه بالتأكيد تأثّر بمحيط أسرته إذ كان أبوه المبارك عبدًا لرجل من بني حنظلة، ولم يحمل ابن المبارك نقيصةً من ذلك إذ كان يحسن إلى ولد مواليه كلما قدم همذان.

ونستطيع القول باطمئنان أن عبد الله بن المبارك يعتبر نموذجًا من نماذج الحضارة الإسلامية؛ إذ خرج من أسرة متوسطة اقتصاديًا ليصبح من أثرياء العلماء الذين وهبوا مالهم لله، ومن والدين مولَيَيْن ليصبح إمام الناس في زمانه، ومن مدينة ضاربة في التاريخ متعددة

(١) **الدولة الأموية المفترى عليها-دراسة الشبهات ورد المفتريات-**: حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٥٦-٣٥٧؛ **نظرة القبائل العربية للموالي في العصر الأموي**: أمجد ممدوح الفاعوري، ص١٩٥ وما بعدها، **عطاء الموالي في عصر الراشدين وبني أمية-محاولة تقويم جديد**: نجمان ياسين، مجلة التراث العربي، مج ٢١، ع٨١-٨٢، سوريا ٢٠٠١م، ص٢٠٢-٢٠٥؛ **الموالي و المناصب الإدارية في الدولة الأموية**: زريف مرزوق المعايطة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ع٤٩، العراق ٢٠٠٠م، ص ٢٢٦-٢٣٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

الثقافات سطع عليها نور الإسلام فتدفقت بالعلم والعلماء، وقد انعكست كل هذه الخصائص في شخصية ابن المبارك فامتلأت حياته علمًا وتصنيفًا وجهادًا وشِعرًا.

ومن العلماء المجاهدين في الثغور الشامية خلال خلافة الرشيد **الإمام المجاهد أبو محمد مَخْلَد بن الحسين الأزديّ**. قيل أنه من موالي بني المهلّب الأزديين، وقيل بل هو من الأزد، وهو من علماء البصرة ثمّ نزل المصيصة من الثغور الشامية ومات بها عام ١٩١هـ.[١]

ولا تقدّم لنا المصادر معلومات كافية عن تاريخ ولادته وأسرته ونشأته، إلا أن نسبته إلى البصرة ترجّح ولادته فيها. وأسلفنا ما كانت عليه البصرة أوائل القرن الثاني الهجري من نشاط وتطوّر في جميع مناحي الحياة.

والواضح أنه كان يتيمًا، وكان زوج أمّه المحدّث الثقة هشام بن حسّان[٢] وأكثر مخلد من الرواية عنه،[٣] فربّما تربّى في كنفه وأثّر ذلك عليه إذ أصبح أحد أوعية العلم في زمانه، وذكره ابن سعد فيمن كان بالعواصم والثغور من الفقهاء والمحدّثين.[٤]

ومن العلماء المجاهدين في الثغور **الإمام الزاهد يوسف بن أسباط بن واصل الشيبانيّ الكوفيّ**، أصله من العراق ثمّ سكن في قرية يقال لها الشيح بين حلب وأنطاكية ولازال مرابطًا بالثغور حتى توفي عام ١٩٥هـ. كان من خيار أهل زمانه من عباد أهل الشام وقرائهم ممن لا يأكل إلا الحلال المحض فإن لم يجده استف التراب.[٥]

كان أبوه أسباط بن واصل الشيباني شاعرًا وصديقًا للخليفة الأمويّ يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ/ ١٢٧هـ)، فلما صارت إليه الخلافة دخل عليه ومدحه ومدح أبا جعفر

---

(١) **الطبقات الكبرى** لابن سعد، ٤٨٩/٧؛ **التاريخ الكبير** للبخاري، ٤٣٧/٧؛ **الثقات** لابن حبان، ١٨٥/٩؛ **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ١٦٨/١٧؛ **تهذيب الكمال** ليوسف المزّي، ١٨١/٣٠؛ **سير أعلام النبلاء للذهبي**، ٢٣٦/٩.

(٢) **أبو عبد الله هشام بن حسان القردوسي** من أهل البصرة كنيته أبو عبد الله مولى لعتيك من الأزد، من المحدّثين الثقات، وكان من العباد الخشن والبكّائين، توفي عام ١٤٨هـ. ينظر: **التاريخ الكبير** للبخاري، ١٩٧/٨؛ **الثقات** لابن حبان، ٥٦٦/٧.

(٣) **الطبقات الكبرى**، ٤٨٩/٧.

(٤) **الطبقات الكبرى**، ٤٨٩/٧.

(٥) **الثقات**، ٦٣٨/٧؛ **صفة الصفوة**،٤٦١/٤؛ **تهذيب التهذيب**، ٧٥/٦؛ **سير أعلام النبلاء**، ١٧٠/٩.

المنصور العبّاسي (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م) أيضًا لما استُخلف. ويبدو أن أسباط كان ميسور الحال إذ سُئل الإمام يوسف: هل تركَ أبوكَ مالًا؟ فقال: تركَ أبي مائة ألف بالعراق ما أخذت منها شيئًا إلا هذا المصحف وفي نفسي منه شيء.[١] فلم يكن تزهّده رحمه الله عن قِلّة اضطرارية بل ترك العراق ومال أبيه واختار الرباط بالثغور على كلّ ذلك.

وقد كان العراق الذي نشأ فيه يوسف بن أسباط مائجًا بالفرق والمذاهب أوائل القرن الثاني، وكان علماء الأمة المعتبرون أمام هذا اللجب الشديد يقومون بواجبهم تجاه الدين خير قيام بفعلٍ رصين لا بردّ فعلٍ مضطرب؛ إذ في هذا القرن استقرّت المذاهب الأربعة وسبقها الإمام الأوزاعي في مذهبه، ونشطت حركة التصنيف والتدوين ووضعت علوم الحديث والعقيدة والفقه على أسس علميّة ثابتة.

وذُكر أن أسباط كان قدريًا،[٢] وتذهب الروايات إلى أبعد من ذلك في طبيعة الأسرة التي خرج منها الإمام يوسف؛ حيث يقول سعيد بن شبيب[٣]: سمعت يوسف بن أسباط يقول: كان أبي قدريًّا وأخوالي روافض، فأنقذني الله تعالى بسفيان-يعني الثوري-.[٤]

ونلحظ مما سبق أن البيئة التي عاش فيها الإمام المجاهد يوسف بن أسباط لم تكن بيئة مشجّعةً على منهجه في السُّنّة والورع، ونعتبر أسرته نموذجًا لما اكتنف هذه الفترة من صراعات وتقلّبات دينية وفكرية؛ فأبٌ قدريّ خالط السلطان وأخوالٌ روافض وهو من بينهم إمام من أئمة أهل السنّة، وربما كان اتّجاه بن أسباط نحو الزهد والجهاد-بعد توفيق الله- تعبيرًا عن

---

(١) **تاريخ دمشق**، ٩٦/٨.

(٢) **القدرية**: هم الذين ينكرونَ القدرَ، ويقولون أنَّ ما يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاءٍ من الله سبحانه وتعالى، وإنما هو أمرٌ يحدثُ بفعل العبد، وبدون سابقِ تقدير من الله عز وجل، ولهم جملةٌ من الاعتقادات الباطلة وبدعتهم هذه حدثت في آخر عصر الصحابة وكان أكثرهم في الشام والبصرة والمدينة، وقد أنكر المتأخرون من الصحابة عليهم وتبرأوا منهم كعبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك. ينظر: **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي (٤٢٩هـ)، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م، ص٩٣-٩٤.

(٣) **سعيد بن شبيب الحضرمي أبو عثمان المصري**، من المحدثين الصلحاء روى عن الإمام مالك بن أنس وجماعة وروى له النسائي في السنن. ينظر: **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ٣٢/٤؛ **تهذيب الكمال** ليوسف المزي، ٤٩٨/١٠-٤٩٩.

(٤) **تلبيس إبليس**: عبد الرحمن بن علي بن محمّد أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: السيد الجميلي، ١ط، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٨؛ **تاريخ دمشق**، ٩٦/٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــ رحمه الله ــ

رفضه لنمط الحياة التي نشأ فيها ولم يرضَها، إذ كان بإمكانه أن يستفيد من علاقة أبيه الشاعر بالسلاطين وما تورثه هذه العلاقة بطبيعة الحال من ثراء ومكانة اجتماعية لكنه آثر الباقية على الفانية، فقد روت زوجته بُسّة بنت سليمان أنه كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال، أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون علي دين، ولا على عظمي لحم. قالت: فأعطي ذلك كله.(١)

ومن العلماء المثاغرين **الإمام الحافظ الزاهد خلف بن تميم بن مالك التميميّ الكوفيّ أبو عبد الرحمن**، مولى آل جعدة بن هبيرة، من المحدثين الثقات طاف الشام ونزل المصيصة لِلْجِهَادِ وصحِب إبراهيم بن أدهم، وتوفي بالمصيصة في خلافة المأمون عام ٢٠٦هـ، وقال ابن سعد عام ٢١٣هـ.(٢) وكان والده تميم بن مالك من المحدّثين الثقات، ولاشك أن خلف تأثّر بوالده–وإن كنا لا نملك تفصيلات عن حياته– فقد ذكر ابن حبان أن له رواية عن أبيه.(٣)

ومن العلماء المجاهدين في الثغور **أبو الحسن عليّ بن بكّار البصريّ**، وكان عابدًا فقيهًا محدّثًا، رَوَى عَن: إبراهيم بن أدهم وصحبه وتأدب به.(٤)

ولم أقف في المصادر على معلومات حول نشأته وأسرته، لكنّ الثابت أنّه انتقل من البصرة فنزل طرسوس والمصيصة وأقام مرابطاً صحبة إبراهيم بن أدهم، وأبي إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين،(٥) وأكيدٌ أن تأدّبه بإبراهيم وصحبته لهؤلاء النفر المجاهدين الذين انقطعوا لله أثّر بلا شكّ في ترسيخ ما انتهجه من زهد وجهاد، حتى أضحى من العلماء المجاهدين العاملين إلى أن توفي رحمه الله عام ٢٠٧هـ في خلافة المأمون.(٦)

(١) صفة الصفوة، ٤/٢٦٥.

(٢) الطبقات، ٧/٤٩١؛ تاريخ دمشق، ١٧/٣؛ بغية الطلب، ٧/٣٣٣٤؛ سير أعلام النبلاء، ١٠/٢١٢.

(٣) الثقات، ٨/١٥٦.

(٤) الطبقات الكبرى، ٧/٤٩٠؛ التاريخ الكبير، ٦/٢٦٢؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار السعادة، مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م،ج٩، ص٣١٨؛ الثقات، ٨/٤٦٣؛ تاريخ الإسلام، ٥/١٢٣-١٢٤؛ سير أعلام النبلاء، ٩/٥٨٥.

(٥) حلية الأولياء، ٩/٣١٧.

(٦) تاريخ الإسلام، ٥/١٢٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ومن العلماء المجاهدين **عَبْدَة بن سليمان المَرْوَزِيّ** أبو عمرو، نزل المصيصة وصحب عبد الله بن المبارك، وكان محدّثًا ثقةً مستقيم الحديث روى عن أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ومخلد بن الحسين وسواهم، توفي عام ٢٣٩هـ.(١)

ولاشك أن استقرار أبي عمرو بالمصيصة وصحبته لابن المبارك وهو ابن مدينته سبقه مجموعة من المؤثرات على شخصيته وإن كانت المصادر لا تشير إلى شيء من ذلك، وقد أسلفنا ما كانت عليه مرو من أحوال اجتماعية وعلميّة أثّرت بطبيعة الحال على عبدة بن سليمان وأخرجته محدّثًا ومجاهدًا.

ومن العلماء المجاهدين **إسحاق بن عيسى بن نجيح البغداديّ الفقيه، أبو يعقوب المعروف بابن الطباع،** انتقل إلى أذنة ورابط بها إلى أن مات عام ٢١٥هـ. وهو من المحدّثين الثقات روى عن الإمام مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وسواهم، وروى عنه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وخلق كثير، قال عنه البخاريّ: "مشهور الحديث".(٢)

كان إسحاق وأخوه محمد من أئمة أهل الحديث، وقال أبو يعلى الخليلي: "إسحاق ومحمد ولدا عيسى ثقتان متفق عليهما".(٣) واشتغالُ الأخوين بالعلم دليل على البيئة التي أخرجتهم ووجهتهم نحو طلبه. ومعلومٌ ما كانت عليه بغداد في القرن الثاني الهجري حيث أضحت قبلة العلم والعلماء ومركز التجارة والآداب والرفاه.

ومن العلماء المجاهدين **أبو يوسف الغسولي،** من أقران إبراهيم بن أدهم، وكان ورعًا ديّنًا مقيماً بالثغر الشامي ملازماً للغزو والجهاد، طال عُمُره حتى توفي بطرسوس عام ٢٤٠هـ رحمه الله.(٤)

(١) **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، **تهذيب التهذيب**، ٦/٤٤٠؛ **تاريخ الإسلام**، ٥/٨٨٢.

(٢) **التاريخ الكبير**، ١/٣٩٩؛ **تاريخ بغداد**، ٧/٣٤٥؛ **بغية الطلب**، ٣/١٤٩٢-١٤٩٥.

(٣) **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليليّ القزويني (ت ٤٤٦هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ج١، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٤) **بغية الطلب**، ١٠/٤٦٥٩-٤٦٦٠؛ **تاريخ الإسلام للذهبي**، ٥/٩٨٠؛ **صفة الصفوة**، ٤/٢٧٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

ومن العلماء الذين نزلوا طرسوس الحافظ الحجّة **الربيع بن نافع أبو توبة الحلبي**، سكن طرسوس وأصبح شيخها ومحدّثها، وُلِدَ في حدود سنة ١٥٠هـ وعُمِّرَ طويلًا حيث توفي وهو من أبناء التسعين عام ٢٤١هـ في خلافة المتوكّل على الله، روى عن أبي إسحاق الفزاري وسفيان بن عيينة وابن المبارك.(١) وإن لم أجد له في المصادر مشاركة فعلية في الجهاد إلا أنه نزل طرسوس وهي يومئذ مركز الثّغور الشاميّة، ولم يكن انقطاعه إليها إلا نوعًا من الرباط في سبيل الله.

وهناك ثلّة من العلماء المجاهدين الذين لم تجمع المصادر على تواريخ وفياتهم أو لم تذكرها أصلًا، وقد سقت هنا مجموعةً منهم اعتمادًا على رأيٍ قائل بوفاتهم في خلافة الرشيد، أو باعتبار شيوخهم أو أقرانهم من أهل الثغر المعروفين.

فمن هؤلاء العلماء **الإمام المجاهد عتبة بن أبان بن صمعة البصريّ الأنصاري**، الزاهد العابد، المعروف بعتبة الغلام.(٢) وإنّما سُمّي الغلام لجده واجتهاده لا لصغر سنه، قال إسحاق بن إبراهيم الثقفي: سأل رجل رباحاً القيسي(٣) – وأنا شاهد – فقال له: يا أبا المهاجر لأي شيء سُمِّيَ عتبة الغلام؟ قال: كان نصفاً من الرجال، ولكنا كنا نسميه الغلام لأنه كان في العبادة غلام رهان.(٤) أي كأنه في الجدّ غلامٌ مُرْتَهَنٌ يريد فكّ رهنه.

ووالده هو المحدِّث أبان بن صمعة البصريّ الأنصاريّ، وثّقه ابن حبّان وغيره وإن كان اختلط في آخر عمره وتوفي عام ١٥٣هـ.(٥)

وقد اختلفت الروايات حول سنة وفاة عتبة الغلام، فروى أبو نعيم الأصفهاني أنه مات قبل أبيه،(٦) أي قبل عام ١٥٣، في حين ذكر ابن كثير وابن الجوزي خبر وفاته في حوادث

(١) **تاريخ دمشق**، ١٨/٨٠-٨٤؛ **بغية الطلب**، ٨/٣٦٠٣-٣٦٠٥؛ **سير أعلام النبلاء**، ١٠/٦٥٤.

(٢) **الثقات** لابن حبان، ٧/٢٧٠؛ **سير أعلام النبلاء**، ٧/٦٤.

(٣) **رياح بن عمرو القيسي**، من عبّاد البصرة وزهّادها، كان قليل الحديث كثير الخشية والمراقبة. ينظر: **حلية الأولياء**، ٦/١٩٢-١٩٣؛ **سير أعلام النبلاء**، ٨/١٧٤.

(٤) **حلية الأولياء**، ٦/٢٢٦.

(٥) **التاريخ الكبير للبخاري**، ١/٤٥٢؛ **الثقات**، ٦/٦٧.

(٦) **حلية الأولياء**، ٦/٢٢٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

عام ١٦٧هـ في خلافة المهديّ،[١] فيما ذكر الصّفَدي أنه توفي في حدود ١٧٠هـ[٢] أي في أوائل خلافة الرشيد، وعلى ذلك سُقت خبره هاهنا.

وكان عتبة من عبّاد أهل البصرة وقرّاءهم ممن جالس الحسن البصريّ، ولاشك أنه تأثّر بوالده المحدّث وإن كنا لا نملك معلومات كافية حول ذلك، كما تأثر بالحسن وانعكس ذلك على شخصيته إذ كانَ يُشَبَّهُ في حُزنه بالحسن البصريّ، وأخذ هديه في العبادة والتقشّف، فكان يأكل من عمل يده ويصوم الدهر، ويفطر على الخبز والملح، ويقول: العرس في الدار الآخرة.[٣] وذكر مخلد بن الحسين -وهو من شيوخ الثغر- عُتبةَ الغلام وصاحبه يحيى الواسطيّ فقال: كأنّما ربّتهم الملائكة.[٤] فكيف بمن اختاره الله من أولياءه وربّاهُ بما ربّى به أصفياءه. وشهادة مخلد هذه تدلّنا على ما اجتمع في عتبة من خصال الخير والصلاح.

وقد ختم حياته بالجهاد في سبيل الله إذ يقول مخلد بن الحسين: جاءنا عتبة الغلام غازيًا، وقال: رأيت أني آتي المصيصة في النوم، وأغزو فأستشهد. قال: فأعطاه رجل فرسه وسلاحه، وقال: إني عليل، فاغز عني. فلقوا الروم، فكان أول من استشهد.[٥]

ومن العلماء المجاهدين **أبو معاوية الأسود الزاهد** واسمه (اليمان) مولى بني أمية، صحب سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وغيرهم، وكان من كبار أولياء الله المقيمين بطرسوس، ولما مات عليّ بن الفضيل بن عياض حجّ أبو معاوية من طرسوس ليعزّي الفضيل.[٦]

---

(١) **البداية والنهاية**، ٧/ ١٣٥؛ **المنتظم**، ٨/ ٢٩٢.

(٢) **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٩، ص٢٩٠.

(٣) **حلية الأولياء**، ٦/ ٢٢٦؛ **الثقات**، ٧/ ٢٧٠؛ **البداية والنهاية**، ٧/ ١٣٥ .

(٤) **حلية الأولياء**، ٦/ ٢٣٥.

(٥) **سير أعلام النبلاء**، ٧/ ٦٤.

(٦) **تاريخ دمشق**، ٦٧/ ٢٤٠؛ **سير أعلام النبلاء**، ٩/ ٧٩؛ **حلية الأولياء**، ١٠/ ٨٢.

ومنهم **الحارث بن عطية الحارثي**، سكن المصيصة وهو من أصدقاء مخلد بن الحسين، وقد وروى عن الأوزاعي رحمه الله.[1]

وهناك مجموعة من العلماء المبثوثة أسماؤهم في كتب التاريخ والسير ضمن أخبار الجهاد والرباط في خلافة الرشيد وليس لهم تراجم منفصلة، وسيرد ذكرهم في مواضع أخبارهم إن شاء الله.

نلحظ مما سبق تنوّع الخصائص الاجتماعية التي أثّرت في الفكر الجهادي لدى العلماء؛ فمنهم العرب والموالي، ومنهم الغنيّ والفقير. كما امتدّ نطاق المدن التي قدموا منها إلى الثغور الشامية من شرق العالم الإسلاميّ حيث مرو وهمدان مرورًا بالبصرة والكوفة وبغداد وحلب وصولًا إلى مراكز الثغر التي استقروا بها. كما نلحظ بوضوح أثر الصُّحبة في تثبيت التوجّه الفكري لدى العلماء، ويطالعنا في كثير من تراجمهم قول أصحاب السير: (صحب فلانًا)، ونجد أثرًا واضحًا للإمام إبراهيم بن أدهم على ثلّة من أصحابه، الأمر الذي يشير إلى أن فكرة الجهاد وتطبيقاتها كانت راسخة في قلوب شريحةٍ عريضة من المحدثين والفقهاء والعباد والزهاد والعامّة أيضًا، وهو ما نستطيع اعتباره خطًا موازيًا لحالة الترف والرفاه التي أحدثها الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي في العصر العبّاسيّ الأول، وما تبعها من انغماس بعض فئات المجتمع في ملذات الدنيا. وكانت السلطة السياسية في عصر الرشيد تجمع بين الطرفين؛ فحين يمتلئُ بلاط الخلافة بالعلماء والشعراء والندماء، وتجتمعُ في خزائن بغداد كنوز الشرق والغرب، تخرجُ من بغداد ذاتها جيوش الصوائف والشواتي ويكون على رأس قيادتها الخليفة أو أحد أبنائه وأقاربه، ويصل الرشيد إلى عمق أراضي الروم ويضطرّهم إلى طلب الصلح ويعود سالمًا. هذا المزيج بين الدين والقوة والعلم والرفاه هو ما يعني العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

---

[1] الثقات لابن حبان، ٨/ ١٨٢-١٨٣.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثاني: الخصائص الدينية.

كان الدين-وسيبقى- العنصر الأساسيّ الذي أثّر على حياة المسلمين باختلاف أعراقهم وبلدانهم وصوّب رؤيتهم للنفس والكون والوجود، والدين هو الذي نظّم علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم من الأمم، ولن أبالغ إذا قلت أن الدين أيضًا هو الذي وجّه علاقة الأمم المختلفة بالمسلمين.

ومن أبرز الخصائص الدينية التي أثّرت في الفكر الجهادي لدى العلماء المجاهدين والمرابطين في الثغور الشامية خلال خلافة الرشيد ما يلي:

أولًا: سلامة العقيدة:

منذ استشهاد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن طالب رضي الله عنهما بدأ ظهور الدعوات الغريبة والمنحرفة في المجتمع المسلم، وكان القرن الثاني الهجري بداية استفحال هذه الدعوات ونشأة الفرق والمذاهب وتصارعها، فظهرت رؤوس البدع كالخوارج[1] والروافض والمعتزلة[2] والقدرية والمرجئة[3]، كما استفحل أمر الملل المناقضة للإسلام وأصحاب النزعات القومية فظهرت الزندقة والشعوبية في العراق وسواها، واتجه العلماء العاملون بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قولًا وعملًا واعتقادًا إلى تمييز الحق من الباطل وبيانه للناس،

([1])كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. وكان أول ظهور الخوارج حين خرجوا على عليّ بن أبي طالب ﷺ ورفضوا التحكيم بعد معركة صفين. ينظر: **الملل والنحل**: محمّد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط٣، دار المعرفة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١/١١٣.

([2]) **المعتزلة**: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري فسمي أصحابه بالمعتزلة. ينظر: **المعتزلة وأصولهم الخمس وموقف أهل السنة منها**: عواد عبد الله المعتق، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٣-١٤.

([3]) **الإرجاء**: بدعة ظهرت أواخر القرن الأول الهجري خالف أصحابها أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان فأخروا العمل عنه إذ أن الإرجاء معناه التأخير. وظهر مرجئةُ الفقهاء ومرجئة المتكلمين كالجهمية والأشاعرة والمعتزلة ينظر: **التعريفات**: علي بن محّد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، ص٢٦٨.

ومجاهدة هؤلاء من أعظم أنواع الجهاد والدفاع عن الإسلام إذ هو دفاعٌ عن العقائد والأصول والتحذير منهم واجب على كل من آتاه علمًا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين.(1)

وقد عاش العلماء المجاهدون في هذا الموج الموّار، وكانواْ فيه معالم لأهل السنة والجماعة ذابين عن حمى الدين أباطيل المنحرفين، وقد تلقّواْ هذه العقيدة السليمة من أئمة أهل السنة والجماعة كالأوزاعي وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم، وقد رووا عنهم كليات في الأصول والاعتقاد والتزموا ذلك قولًا وعملًا؛ فقد روى أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي قال: كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله.(2)

وقال عمّار بن عبد الجبار(ت٢١١هـ): سمعت ابن المبارك يقول: سمعتُ سفيان الثوري يقول: الجهمية كفار، والقدرية كفار، فقلت لابن المبارك: فما رأيُك؟ قال: رأيي رأي سفيان.(3)

وقال مخلد بن الحسين: قال لي الأوزاعي: يا أبا محمد، إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثٌ فلا تظنّنّ غيره، ولا تقولنّ غيره، فإن محمدًا إنما كان مبلغًا عن ربه.(4)

وروي أن رجلًا قال لعبد اللهّ بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، إني أكره الصفة ـ عَنَى صِفَةَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَزَّ ـ فقال له عبد اللهّ بن المبارك : وأنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق

---

(1) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٢٣١؛ الإمام عبد الله بن المبارك وجهوده في الدعوة إلى الله: محمد محمد أحمد، (رسالة ماجستير، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان)، السودان ٢٠٠٧م، ص٦٠.

(2) حلية الأولياء، ٦/ ١٤٢.

(3) حلية الأولياء، ٧/ ٢٨.

(4) الفقيه والمتفقه: أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، دار ابن الجوزي، السعودية ١٤٢١هـ، ج١، ص٣٨٧.

الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه.[1] قال ابن تيمية: أراد ابن المبارك: أنا نكره أن نبتدئ بوصف اللهّ من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.[2]

وقيل لابن المبارك: إن شيبان يزعم أنك مرجئ. فقال: كذب شيبان، أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء؛ فإنهم يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وأنا أقول هو قول وعمل. ويزعمون أن تارك الصلاة لا يكفر، وأنا أقول إنه يكفر. ويزعمون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنا أقول إنه يزيد وينقص.[3]

وكان إعلان العلماء عن عقيدتهم السُّنّية ومعاداتهم لمن خالف أهل السنة والجماعة في كل مكان وبحضرة جماهير الناس والعلماء والحكام، لا يداهنون ولا يخافون في الله لومة لائم، من ذلك أن أبا إسحاق الفزاري لما قدم دمشق واجتمع إليه الناس ليسمعوا منه؛ قال لأبي مسهر عبد الأعلى الدمشقي (ت٢١٨هـ): اخرج إلى الناس فقل لهم: من كان يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا ومن كان يرى رأي فلان فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا، قال: فخرجت فأخبرت الناس.[4] وقال عليّ بن شقيق (ت٢٢٥هـ): سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت[5] فإنه كان يسُبّ السلف.[6]

وقال عبيد الله بن موسى: كنّا عند أبي حمزة الثمالي[7] فحضره ابن المبارك، فذكر أبو حمزة حديثًا في ذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه فنال من عثمان، فقام ابن المبارك ومزّق ما كتب ومضى.[8]

---

(١) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:** هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ج٣، ص٤٧٨.

(٢) **مجموع الفتاوى،** ٥١/٥.

(٣) **الطبقات الكبرى:** عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص١١١-١١٢.

(٤) **تاريخ دمشق،** ٢٣٣/١٨.

(٥) **عمرو بن ثابت بن هرمز البكري،** كان شديد التشيّع، ضعيف الحديث، مات عام ١٧٢هـ. ينظر: **تهذيب التهذيب،** ١٤/١٧.

(٦) **صحيح مسلم،** ١٢/١.

(٧) **أبو حمزة الثمالي:** ضعّفه أهل الحديث، وعدَّه بعضهم في قوم من الرافضة. ينظر: **ميزان الاعتدال ففي نقد الرجال:** محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار المعرفة للباعة والنشر، بيروت، ج١، ص٣٦٣.

(٨) **ميزان الاعتدال،** ٣٦٣/١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

وحذّر العلماء من مجالسة أهل البدع ومخالطتهم لما في ذلك من ورود الشبهة ومحق البركة عن صاحب العقيدة السليمة فقد روى أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير(ت١٢٩هـ) قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخُذ في غيره.[١] وقد طبّق أبو إسحاق هذا الأصل وتمثله إذ اشتهر عنه أنه كان إذا دخل ثغر المصيصة مبتدعٌ أخرجه بالقوة[٢] حفاظًا على سلامة العقيدة بين المجاهدين، ومعرفته بأن مدار النصر على سلامة العقيدة.

وكره ابن المبارك مجالسة أهل البدع فقال: يكون مجلسُكَ مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة.[٣]

وكان موقف العلماء المجاهدين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمًا واضحًا لم يعتريه غلو الرافضة وأشباههم، وأنزلوا الصحابة حيث أنزلهم رب العالمين بلا إفراطٍ ولا تفريط، فعن عثمان بن سعيد قال: سمعت الربيع بن نافع يقول: معاوية بن أبي سفيان سِتْرُ أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم ، فإذا كشف الرجل السّتر اجترئ على ما وراءه.[٤] وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: السيف الذي وقع بين الصحابة فتنة، ولا أقول لأحد منهم هو مفتون.[٥]

وعن يوسف بن أسباط قال: قال رجل لسفيان الثوري: بلغنا أنك تبغض عثمان، ففزع. وقال: لا والله، ولا معاوية.[٦]

وسئل عبد الله بن المبارك: أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من

---

(١) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، ١/١٥٥.

(٢) **تاريخ دمشق**، ١١٨/٢٤٣.

(٣) **حلية الأولياء**، ٨/١٦٨.

(٤) **تاريخ بغداد**، ١/٥٧٧.

(٥) **سير أعلام النبلاء**، ٨/٤٠٥.

(٦) **العلل ومعرفة الرجال:** أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمّد عباس، ط٢، دار الخاني، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٢، ص٦٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا![1]

وكان الإمام عبد الله بن المبارك من أشد العلماء المنكرين لقول المعتزلة بخلق القرآن، وكان يقول: من قال : القرآن مخلوق ؛ فهو كافر أكفر من هرمز.[2] وقرأ رحمه الله ثلاثين آية من سورة طه فقال: من زعم أن هذا مخلوق، فهو كافر.[3]

وقال رحمه الله: سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاما يقولون: من قال : القرآن مخلوق، فامرأته طالق ثلاثا البتة. قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأن امرأته مسلمة ، ومسلمة لا تكون تحت كافر. قال اللالكائيّ معلقًا: فقد لقي عبد الله بن المبارك جماعة من التابعين مثل سليمان التيمي، وحميد الطويل، وغيرهما، وليس في الإسلام في وقته أكثر رحلة منه، وأكثر طلبا للعلم، وأجمعهم له ، وأجودهم معرفة به، وأحسنهم سيرة، وأرضاهم طريقة مثله ، ولعله يروي عن ألف شيخ من التابعين. فأي إجماع أقوى من هذا ؟[4]

وقد أوجز ابن المبارك هذه العقيدة الصافية النقيّة في أبيات ضافية يقول فيها:

إِنِّيْ امْرُؤٌ لَيْسَ فِي دِيْنِي لِغَـامِزِه ... لِيـنٌ، وَلَسْتُ عَلَى الإِسْلاَمِ طَعَّانَا
فَلاَ أَسُبُّ أَبَـا بَـكْرٍ وَلاَ عُمَـراً ... وَلَنْ أَسُبَّ – مَعَـاذَ اللهِ – عُثْمَانَا
وَلاَ ابْنَ عَمِّ رَسُـوْلِ اللهِ أَشْتِـمُـهُ ... حَتَّى أُلَبَّسَ تَحْتَ التُّرْبِ أَكْفَانَـا
وَلاَ الزُّبَيْرَ حَوَارِيَّ الرَّسُوْلِ، وَلاَ ... أُهْدِي لِطَلْحَةَ شَتْماً عَزَّ أَوْ هَـانَـا
وَلاَ أَقُوْلُ: عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ، إِذاً ... قَدْ قُلْتُ –وَاللهِ– ظُلْماً ثُمَّ عُدْوَانَا
وَلاَ أَقُـوْلُ بِقَوْلِ الجَهْمِ، إِنَّ لَهُ ... قَوْلاً يُضَارِعُ أَهْلَ الشِّرْكِ أَحْيَانَـا
وَلاَ أَقُوْلُ: تَخَلَّى عنْ خَلِيـقَتِهِ ... رَبُّ العِبَـادِ وَوَلَّى الأَمْرَ شَيْطَانَا

(1) وفيات الأعيان، ٣/٣٣.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٢/٢٨٢

(3) السابق، ٢/٢٨١.

(4) السابق، ٢/٢٨٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

مَا قَــالَ فِرْعَوْنُ هَذَا فِي تَمَرُّدِهِ — فِرْعَوْنُ مُوْسَى وَلاَ هَامَانُ طُغْيَانَا

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَــانِ مُعْضِلَةً — عَنْ دِيْنِنَــا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَــا

لَوْلاَ الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَــا سُبُلٌ — وَكَانَ أَضْعَفُنَــا نَهْباً لأَقْوَانَــــا [1]

وبذا كانت سلامة العقيدة من أهم الخصائص الدينية التي وجّهت علماء الثغور وميّزتهم كأعلام لأهل السنة والجماعة، وقد وضع أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) قائمة بأسماء علماء أهل السنة القائلين بأن الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، وذكر فيمن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة: أبو إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وعليّ بن بكار ويوسف بن أسباط.[2]

كما ساق ابن الجوزي أسماء الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار قرنًا بعد قرن والذين أجمعواْ على أن القرن كلام الله غير مخلوق، ومن قال غير ذلك كفر. فتتبع علماء البلدان مصرًا مصرًا، ثم أورد أسماء جملة من علماء أهل الثغر وذكر منهم: أبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط.[3]

ومن الخصائص الدينية المؤثرة في فكر العلماء المجاهدين:

ثانيًا: وضوح مفهوم الجهاد:

كان جهاد العلماء في الثغور عملًا محكومًا بالكتاب والسنّة طبّقه العلماء على هدى وبصيرة، ونلحظ وضوح مفهوم الجهاد والرباط لديهم في جوانب عديدة.

فأعظم الجهاد عندهم جهاد النفس والهوى، قال ابن المبارك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [سورة الحج: ٧٨]: هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد.[4]

(¹) **سير أعلام النبلاء**، ٤١٣/٨.

(²) **مجموع الفتاوى** لابن تيمية، ٣١٠/٧.

(³) **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**: عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، دار البشائر، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٦٢.

(⁴) **تفسير البغوي**، ٤٠٢/٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

وسأل رجلٌ عبد الله بن المبارك عن الرباط فقال: رابط بنفسك على الحقّ حتى تقيمها على الحقّ، فذلك أفضل الرباط.[1]

والجهاد عند العلماء يبتدئ بجهاد النفس فإذا صفت وعرفت مقامها ومرادها صحّ لها أن تجاهد أعداء الدين، وأن تتخلّق بأخلاق المجاهدين تخلُّقًا سلوكيًا عميقًا، يترجم ذلك ما قاله ابن المبارك ببغداد حين نظر إلى رجلٍ عليه ثياب صوف لا تخالطها غيرها وهي من سيماء الزهّاد، فقال: من هذا؟ قيل له: هذا أبو العتاهية الشاعر، فكتب إليه ابن المبارك:

أيُّها القارئ الذي لبس الصُّـ ـوف وأضحى يُعَدُّ في العُبّادِ
الْزَمِ الثَّـغْرَ والتـعبُّدَ فيـهِ ليس بغـدادُ موضعَ الزُّهَّـادِ
إن بغـدادَ للملـوكِ محلٌّ ومنـاخ للقارئ الصَّيَّـادِ[2]

وفريضة الجهاد على المسلمين بشكل عام وأنها فرض كفاية لابد من النهوض إليه، فقد حدّث أبو إسحاق الفزاري قال: سألتُ الأوزاعي عن قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُم﴾ [البقرة:٢١٦]، أواجبٌ الغزو على الناس كلهم؟ قال: لا أعلمه، ولكن لا ينبغي للأئمة والعامة تركه، فأما الرجل في خاصة نفسه فلا.[3]

وحول مفهوم الجهاد وأنه يدور حول العقيدة ودفع من يقف ضد نشرها، ترصد المصادر الإسلامية حوارًا بين علمين من أعلام جهاد الثغور الشامية؛ أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك، إذ يروي عبد الله بن محمد بن ربيعة المصيصي يقول: حضرت أبا إسحاق الفزاري وابن المبارك، فقال أبو إسحاق لابن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، تركت ثغور خراسان الواشَجِرْد[4] وقزوين[5] وقد قال الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]!

(١) **حلية الأولياء**، ١٧١/٨.

(٢) **تاريخ بغداد**، ٣١٦/١؛ **بهجة المَجالِس وأنس المُجالِس**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٦٤-٦٥.

(٣) **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م،ج٤، ص٢٩٦.

(٤) **واشَجِرْد**: من قرى ما وراء النهر بالقرب من ترمذ. ينظر: **معجم البلدان**، ٣٥٣/٥.

(٥) **قزوين**: مدينة مشهورة من مدن بلاد فارس، بينها وبين الريّ سبعة وعشرون فرسخًا. ينظر: **معجم البلدان**، ٣٤٢/٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

فقال: يا أبا إسحق، وجدت آية أوكد من هذه، قال الله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٢٩]، قال: ثم قال: هؤلاء يقاتلون على دنيانا -يعني الترك والديلم-، وهؤلاء يحاربونا على ديننا -يعني الروم-، فأيّما أولى، الذبُّ عن ديننا أو عن دنيانا؟ فقال أبو إسحاق: لا بل عن ديننا، لا بل عن ديننا.[1]

ويوضّح لنا هذا الحوار إدراك العلماء لطبيعة الجهاد ضد الروم، وأنه فرضٌ دينيٌّ مأمورٌ به ومقدّمٌ على غيره. فإذا نظرنا إلى ثغور خراسان التي جاء منها ابن المبارك نجدها متاخمة للترك والديْلم، وهم إذ ذاك أمم وثنيّة لا تدفعهم لحرب المسلمين عقيدة ولا يهدفون إلا إلى السلب والنهب وتحصيل الغنائم، كما أنّ البيئة الدينية والفكرية عندهم خصبةٌ لاعتناق الإسلام إذا ما فرض المسلمون عليهم هيبتهم العسكرية وانتهجوا معهم وسائل الحُسنى والسِّلم، وهو الأمر الذي حصل بالفعل باعتناق كثير من أمم هذه المناطق الإسلام وتحوّل التُّركُ إلى قوّة إسلامية ضاربة فيما بعد.

أما من ناحية الثغور الشامية التي فضّلها ابن المبارك على ثغور خراسان فنجدها متاخمة للروم المسيحيين، الذين كان صراعهم مع المسلمين صراعًا دينيًا مباشرًا مهما اختلطت به دوافع اقتصادية أو سياسية أو توسّعية، وبالتالي فإن جهادهم أوجبُ ما يكون لحماية الدين وحراسة المسلمين.

والحقُّ أن الروم منذ ظهور الدعوة الإسلامية إلى يومنا هذا ينطلقون من قناعةٍ دينيةٍ راسخةٍ بوجوب زحزحة الإسلام والقضاء عليه، ولديهم في ذلك مشروعٌ مباشر بنشر النصرانية يظهر خلال مراحل التاريخ بأشكال مختلفة تبعًا لقوّة السلطة السياسية الروميّة وضعفها. وبحكم التفوق الإسلاميّ منذ الفتوح الأولى حتى منتصف القرن الرابع الهجري لم يكن باستطاعة الروم تحقيق مشروعهم بطرق عسكرية إجبارية، بل ترجموه عن طريق المحاولات الحثيثة لتنصير الأسرى المسلمين بالترغيب أو بالإكراه، إلى درجة أن أعطت الدولة

(١) **بغية الطلب**، ٢٠٣/١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

البيزنطية منذ وقت مبكّرٍ امتيازات خاصة للمتنصّرين سواء من الأسرى المسلمين أو ممن يفرّ من المسلمين إلى الروم ويتنصّر.[1]

وتذكر المصادر تفاصيل حادثة وقعت في مستهلّ خلافة الرشيد أوردها ابن الجوزي في حوادث سنة ١٧٠هـ تظهِرُ مدى حرص أباطرة الروم على تنصير أسرى المسلمين وخصوصًا الأسرى العسكريين؛ لما في تنصّرهم من فائدة مضاعفةٍ تخدم الروم عقديًا بارتداد مسلمٍ عن عقيدته وولائه مما يؤكد لرعاياهم صحة دينهم أمام الدين المنافس، ومن ناحية استراتيجية تصبح خبرة العسكريّ المرتدّ تحت خدمة الجيش البيزنطيّ. وتتلخص الحادثة في ثلاثة أخوة فرسان شجعان من المسلمين كانوا ضمن متطوعي الثغور الشامية انقطعوا للغزو والجهاد، وتمّ أسرهم في إحدى المعارك واقتيدوا إلى امبراطور الروم الذي ابتهج بأسرهم قائلًا: "لا غنيمة ولا فتح أعظم من أخذ هؤلاء"،[2] لعلمه برجحان موقفه إن استطاع ضمّهم إليه. وفي محاولة ذلك عرض عليهم النصرانية وأن يجعل فيهم الملك ويزوّجهم بناته إن هم أجابوه لذلك. وهذا يعني أنه رغّبهم بأقصى ما يستطيع من المغريات، فأبوا عليه وتمسّكوا بالإسلام، وهدّدهم بأن أغلى ثلاثة قدور فيها الزيت وأوقدها ثلاثة أيام، يعرض عليهم في كلّ يوم النصرانية وما رغّبهم فيه ويأبون، فألقى اثنان منهم في الزيت، ووكّل أحد رجال حاشيته بفتنة الثالث عن دينه وبعد فشل المحاولات اليائسة لتنفيذ ذلك استطاع أن يهرب من بلاد الروم ويعود إلى الثغور الشامية.[3] وتدلّنا هذه الحادثة على عُمق البعد الديني في هذا الصراع، وما وصل إليه الروم من وحشية ودموية في الانتصار لدينهم الباطل. وبالمقابل فإن التاريخ لم

(١) من الحوادث المتعلّقة باحتفاء الروم بالمتنصّرين موقفهم من الصلت بن العاص بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المعروف بالوابصيّ وكان عمر بن عبد العزيز وهو أمير الحجاز قد حده في الخمر، فغضب وهرب إلى بلاد الروم وتنصر فزوّجوه من بناتهم ومات هناك نصرانيا. ينظر: **تاريخ دمشق**، ٨/٣٨٤-٣٨٥.

(٢) **المنتظم**، ٨/ ٣٢٩.

(٣) **المنتظم**، ٨/ ٣٣٠.

يسجّل خلال هذا الصراع الطويل أي إكراه من قبل السلطات الإسلامية لأسرى الروم باعتناق الإسلام، فضلًا عن وحشيةٍ مماثلة.

وسار العلماء المجاهدون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم عارفين بأن ما اختصّهم الله به من الدفاع عن دينه أفضل الأعمال إليه سبحانه وتعالى، وحثّواْ عليه أقرانهم، فعن محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى عليّ عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض(ت١٨٧هـ) في سنة ١٧٠هـ أو ١٧٧هـ:

يَا عَابِدَ الحَرَمِيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَـا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَـادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خدَّهُ بِدُمُوْعِهِ ... فَنُحُـوْرُنَا بِدِمَـائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْـعِبُ خَيْلَهُ فِي بَـاطِلٍ ... فَخُيُـوْلُنَا يَوْمَ الصَّبِيْحَةِ تَتْعَبُ
رِيْحُ العَبِيْرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيْرُنَا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَـانَـا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيْحٌ صَادِقٌ لاَ يُكْذَبُ:
لاَ يَسْتَوِي وَغُبَـارُ خَيْلِ اللهِ فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلهبُ[1]
هَذَا كِتَـابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْـنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيْدُ بِمَيِّتٍ لاَ يُكْذَبُ[2]

فلقي محمد الفضيل بن عياض في المسجد الحرام بكتاب ابن المبارك، فلما قرأه ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني. ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم يا أبا علي، قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا، وأملى علي الفضيل: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله، علّمني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر؟ فقال: يا نبي الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: فو الذي نفسي بيده لو طُوّقْتَ ذلك ما بلغت فضل

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: **"لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم"**. ينظر: **سنن الترمذي (باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله)**، ٩٣/٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**. **سورة آل عمران**:١٦٩.

المجاهدين في سبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهدين ليَسْتَنُّ[1] في طِوَلِه[2] فيكتب له بذلك الحسنات"[3]!

هذا الحوار الذي سجّلته المصادر الإسلامية يعطينا نموذجًا لوضوح مفهوم الجهاد لدى العلماء، فمن جهةٍ يقدّم ابن المبارك المجاهد المحدّث لأخيه الفضيل بن عياض المجاور بحرم الله- صورةً حيّة عن نعيم المجاهدين وعن فضل الجهاد على العبادة، ومن جهةٍ أخرى يستقبل الفضيل هذه النصيحة بقلب حيّ ويكافئ مُبلّغها بحديث نبويّ شريف يؤكّدُ المعنى الذي ذهب إليه ابن المبارك.

ونلحظ مما سبق أن جهاد العلماء كان نابعًا من عقيدة سليمة مبنيّة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانت مفاهيم الجهاد تبعًا لذلك واضحة وراسخة لديهم ، لذلك جاءت تطبيقات الجهاد في سيرهم ترجمةً حيّة لهذه الخصائص الدينية التي تمثلوها قولًا وعملًا وسلوكًا، حتّى غدا حُبُّ هؤلاء العلماء دليلا على السنة وحب السنة، وبهذا بوّب الحافظ ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل فقال: (باب استحقاق السنّة محبي أبي إسحاق الفزاري)، وساق بإسناده إلى عبد الرحمن بن المهدي: إذا رأيت شاميًا يحب الأوزاعيّ وأبا إسحاق الفزاري فهو صاحب سنّة. وقال مرّة: فاطمئنّ إليه.[4]

وقال أسود بن سالمٍ (ت٢١٤هـ)، قَالَ: كان ابن المبارك إمامًا يُقتدى به، كان من أثبت الناس في السنة، إذا رأيت رجلًا يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام.[5]

([1]) **استن الفرس**: عدا لمرحه ونشاطه ولا راكب عليه. ينظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**: المبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري(ت٦٠٦هـ)، خرّج أحاديثه: صلاح محمّد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص٢١.

([2]) **الطِّوَل**: حَبْلٌ طويل تُشَدُّ به قائمةُ الدابة ويُمْسِك صاحبُه بطَرَفه ويُرْسِلها تَرْعى. ينظر: **لسان العرب** (ط و ل)، ١١/ ٤١٠.

([3]) **تاريخ دمشق لابن عساكر**،٣٢/٤٤٩-٤٥٠؛ **سير أعلام النبلاء**، ٨/٤١٢؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١٤،ص٢١٨.

([4]) **الجرح والتعديل**، ١/ ٤٨٠؛ **كتاب السير لأبي إسحاق الفزاري**، ص٤٠.

([5]) **تاريخ بغداد**، ١١/ ٤٠٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثالث: الخصائص الفكرية.

تعتبر الفترة التاريخية التي عاش فيها العلماء المجاهدون من أزهى العصور العلمية التي مرّت على الأمة الإسلامية؛ فقد عاصروا التابعين[1] وأتباع التابعين[2] وأخذوا عنهم، ويُعدّ أغلب علمائنا في أتباع التابعين.

وشهدت الحركة الفكرية نشاطًا واسعًا إذ كان لانتشار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية دورٌ كبيرٌ في تأسيس المدارس الفكرية الأولى في المدينة والكوفة والبصرة ودمشق والفسطاط، وظهر أثرهم جليًا في تلامذتهم الذين كانوا شيوخ علمائنا المجاهدين، "فكان علماء الحجاز يجمعون فتاوى عائشة (ت٥٨هـ) وعبد الله بن العباس (ت٦٨هـ) وعبد الله بن عمر(ت٧٣هـ) ومن جاء بعدهم من كبار التابعين وينظرون فيها ويستنبطون منها ويفرّعون عليها، كما كان العراقيون يجمعون فتاوى عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ) وقضايا علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ) وأبي موسى الأشعري (ت٤٤هـ) وشريح القاضي (ت٨٠هـ) وغيرهم، وأهل الشام جمعوا آراء معاذ بن جبل (ت١٨هـ) وأبي الدرداء (ت٣١هـ)، حتى استقرّت العلوم في العصر العباسي وتمايزت وصار لكل علم أهله المختصّون به".[3]

وابتدأ تدوين العلوم أواخر العصر الأموي وتنامى في العصر العباسي ومثّل بعض العلماء المجاهدين أوائل المصنّفين في تاريخ الفكر الإسلامي كأبي إسحاق الفزاري (ت١٨٨هـ) وعبد الله بن المبارك(ت١٨١هـ)، قال الذهبي: "في سنة ثلاث وأربعين ومائة

(1) **من التابعين في هذا العصر**: موسى بن عقبة (ت١٤١ه)، وحميد الطويل (ت١٤٢ه)، ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت١٤٣ه)، وإسماعيل بن أبي خالد (ت١٤٥ه)، وهشام بن عروة (ت١٤٦ه). ينظر: **المعين في طبقات المحدثين**: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: همام عبد الحميد سعيد، ط١، دار الفرقان، عمّان ١٤٠٤ه، ص١١-١٣.

(2) **من أتباع التابعين في هذا العصر**: مسعر بن كدام (ت١٥٥ه)، وسفيان بن سعيد الثوري (ت١٦٠ه)، شعبة بن الحجاج (ت١٦٠ه)، وحماد بن سلمة(ت١٦٧ه)، حماد بن زيد (ت١٧٩ه) ، و مالك بن أنس (ت١٧٩ه)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨ه). ينظر: **المعين في طبقات المحدثين**، ص١٣-١٥.

(3) **عبد الله بن المبارك الإمام القدوة**: محمّد عثمان جمال، ط٤، دار القلم، دمشق ١٤١٩ه/١٩٩٨م، ص٢٧-٢٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير؛ فصنف ابن جريج(ت١٥٠هـ) بمكة ومالك (ت١٧٩هـ) الموطأ بالمدينة، والأوزاعي(١٥٧هـ) بالشام، وابن أبي عروبة (ت١٥٦هـ) وحماد بن سلمة (١٦٧هـ) وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة".[1]

وفي العصر العباسي ازدهرت حركة الترجمة وأخذت شكلًا رسميًا اهتمّت به الدولة واعتنى به الخلفاء، وكان لاتساع رقعة الدولة العباسية وتعدد عناصر المجتمع وانتشار الجدل الديني إضافة إلى تشجيع الخلفاء دورٌ في نشاط الترجمة. وفي عهد الخليفة هارون الرشيد أصبحت بغداد قبلة العلماء وكانت الأفكار قد نضجت والأذهان قد ازدادت اهتمامًا بعلوم الأمم الأخرى بما كان يتقاطر على بغداد من الأطباء والعلماء من السريان والفرس والهنود، وهم أهل تمدّن وعلم، حرصوا على تعلّم اللغة العربية ومخالطة المسلمين،[2] وكان بعضهم يجالس الخلفاء ويخدمهم كجبريل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه، وقد عثر الرشيد أثناء حروبه مع الروم في أنقرة وعمورية وسواهما على كتب كثيرة حملها معه إلى بغداد وأمر طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمتها، وجعله بعد ذلك أمينًا على الترجمة[3] التي لم تكن مقتصرة على الخلفاء بل انبرى لها الخاصة والعامة.

وتنوّعت المؤسسات التعليمية التي ازدهرت في أروقتها هذه النهضة الفكرية، كالكتاتيب التي اختصّت بتعليم الصبيان، وحلقات المساجد التي مثّلت ما عرفناه في العصر

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٢٢٩.

(٢) **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**: عز الدين فراج، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥.

(٣) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٣٤٦.

الحديث بالجامعات والكليات، وقصور الخلفاء والأمراء والأعيان التي اختصّت بتعليم أبنائهم، ومجالس الخلفاء والأمراء وهي عبارة عن منتديات علمية وأدبية يلتقي فيها كبار العلماء والأدباء والفلاسفة لإجراء مناظرات وندوات في مجالات متعددة، إضافة إلى حوانيت الورّاقين التي خرجت من إطارها التجاري لتصبح مسرحًا للثقافة والحوار العلمي.(1)

وبذا كان العصر الذي عاش فيه علماؤنا المجاهدون حافلًا بنهضة علمية وحراك ثقافي ونتاجٍ علميّ منقطع النظير دأب عليه الخاصة والعامة، حتى لقد بدا أن الناس جميعًا من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأنًا غدوا طلابًا للعلم أو على الأقل أنصارًا للأدب-كما يقول نيكلسون-، وكان الناس في هذا العصر يجوبون ثلاث قارات سعيًا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنّفون بفضل ما بذلوه من جهدٍ متّصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء بدوائر للمعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعةً من قبل.(2)

ولم تكن الرحلة في طلب العلم خاصة بالعلماء –وإن كانوا أكثر أهلها- بل سعى إليها الخليفة الرشيد أيضًا، فقد قال القاضي الفاضل (٥٩٦هـ) في بعض رسائله: "ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك -رحمه الله- قال: وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين".(3)

ولاشك أن أثر هذه الخصائص كان مباشرًا على العلماء المجاهدين، وظهر ذلك جليًا من خلال حرصهم على طلب العلم ورحلتهم فيه وتعدد شيوخهم وتنوّع العلوم التي نبغوا فيها، فمن خلال النصوص والأحاديث النبوية الكثيرة التي رويت عن أبي إسحاق الفزاري يبدو أنه جال كثيرًا في طلب العلم وخاصة الحديث الشريف، لاسيما في عصره الذي كانت فيه

---

(1) **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين:** محمد حسين محاسنة، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين- الإمارات ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، ص١٣٢ وما بعدها.

(2) **تاريخ الإسلام:** حسن إبراهيم حسن، ج٢، ص٢٦٣، [نقلًا عن: **Lit. Hist. of The Arabs P. 281.**].

(3) **تاريخ الخلفاء** للسيوطي، ص٤٢٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

الرحلة للعلماء والتوجّه إلى مراكزهم إحدى الشروط الأساسية التي تزكي العالم وتجعله محلّ الثقة والقبول، ومن خلال شيوخه الذين روى عنه مع تباعد أماكنهم نكون مطمئنين إلى اتساع رحلته وكثرة وسائطه وطرقه،(١) حيث ولد في الكوفة وقدم دمشق وحدث بها، ورحل إلى بغداد وعاش مرابطًا في ثغر المصيصة وبه توفي رحمه الله.(٢)

وقد برع في الحديث والسنّة والفقه وأحكام الجهاد، وشهد معاصروه بإمامته وعلمه، قال أبو حاتم: اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به بلا مدافعة.(٣) وقال أحمد العجلي: كان ثقة، صاحب سنة، صالحا، هو الذي أدب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى. وإذا دخل الثغر رجل مبتدع، أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه.(٤) وقال عطاء الخفاف: كنت عند الأوزاعي، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق الفزاري، فقال لكاتبه: ابدأ به، فإنه والله خير مني.(٥)

وقال محبوب بن موسى: سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت رجلا أفقه من أبي إسحاق الفزاري. وقد رأى ابن المبارك سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس والخلق.(٦)

أما الإمام عبد الله بن المبارك فقد بدت عليه مخايل النبوغ منذ صغره، إذ يروي صديقه صخر طرفًا من ذلك، يقول: كنا غلمانًا في الكتاب، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة، فلما فرغ قَالَ لي ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم، فقَالَ: هاتها، فأعادها عليهم ابن المبارك، وقد حفظها.(٧)

(١) قدّم الحافظ المزّي قائمةً بأسماء شيوخ الإمام الفزاري، وزاد عليها الدكتور فاروق حماده ما وقع في يده أثناء تحقيق كتاب السير لأبي إسحاق زاد تعدادهم على الثمانين. ينظر: **تهذيب الكمال**، ٢/ ١٦٧-١٦٨؛ **السير** لأبي إسحاق الفزاري، ص١٨-٢٠.

(٢) **الأعلام للزركلي**، ١/ ٥٩.

(٣) **سير أعلام النبلاء**، ٨/ ٥٤٠.

(٤) **الثقات للعجلي**، ١/ ٢٠٥.

(٥) **سير أعلام النبلاء**، ٨/ ٥٤٢.

(٦) **الجرح والتعديل**، ١/ ٤٧٦.

(٧) **تاريخ بغداد**، ١١/ ٤٠٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وقد بدأ في طلب العلم وهو ابن عشرين سنة –كما يقول الذهبي، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومئة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج.(١) وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه قوله: كان ابن المبارك ربع الدنيا بالرحلة في طلب الحديث لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة ولا البصرة ولا الكوفة.(٢)

وكان رحمه الله حريصًا على تهذيب أخلاقه قبل طلب العلم، يقول: طلبتُ الأدب ثلاثين سنة، وطلبتُ العلم عشرين سنة.(٣) وكان يقول لأصحاب الحديث: أنتم إلى قليل من الأدب أحوج منكم إلى كثير من الحديث.(٤) وينبغي أن يكون أسلوب ابن المبارك هذا في تقديم الأدب على العلم منهجًا لوزارات التربية والتعليم في عالمنا الإسلاميّ، حتى ترتقي بأخلاق الناشئة قبل أن تدفعهم إلى مدارج العلم.

وشهد له شيخه عيسى بن يونس بشدة ولعه بالعلم لا في حال الإقامة فحسب بل حتى في السفر وأوقات الغزو، يقول: كنا بأرض الروم أنا وابن المبارك فربما استحييت من خدمة ابن المبارك اياي يأخذ بركابي فإذا نزلنا قدم لنا الخبيص فيلقمني، ويقعد فيسألني عن الحديث ويكتب، فأقول: يا شيخ – من صنعه وبره لي– لله أبوك، أما آن لك أن تشبع ؟فيقول: ومن يشبع من هذا الشأن.(٥) يعني طلب العلم.

---

(١) **سير أعلام النبلاء**، ٣٧٩/٨.

(٢) **الجرح والتعديل**، ٤٥١/١.

(٣) **غاية النهاية في طبقات القراء**: محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: ج. برجستراسر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م، ج١، ص٣٩٩.

(٤) **تاريخ دمشق**، ٤٤٥/٣٢.

(٥) **الجرح والتعديل**، ٤٥١/١–٤٥٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وتعجّب أصحاب الحديث من حرصه ومواصلته للسماع والكتابة فسألوه: إلى متى تكتب؟ فقال: أرجو أن تروني فيه إلى أن أموت. وقيل له: إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها بعد.(١) وكان يقول: الحبر في الثياب خلوق العلماء.(٢)

وقد اندفع في حياته كلها يكتب عن كلّ عالم فذّ وعن كل شيخ ثقة، حتى بلغ عدد من حمل عنه من الشيوخ أربعة آلاف، فقد روى العباس بن مصعب في تاريخه عن إبراهيم بن إسحاق عن ابن المبارك أنه قال: حملت عن أربعة آلاف شيخ، فرويتُ عن ألف منهم. ثم قال العباس بن مصعب: وقع لي من شيوخه ثمانمائة. وهذا يدلّ على أن العدد حقيقيٌّ لا وهم فيه.(٣)

والأخبار عن علم ابن المبارك وسعته ونبل أخلاقه وشهرته في الآفاق مستفيضة في كتب التاريخ والتراجم والسير، وإنما نقلت هاهنا ما دلّ على أنه صورةٌ للعصر الذي عاش فيه وانعكاس خصائصه الفكرية على شخصيته رحمه الله. وقد أوجز ابن سعد فأبلغ حين قال عن ابن المبارك: "طلب العلم، وروى رواية كثيرة، وصنف كتبًا كثيرة في أبواب العلم وصنوفه، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم، وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن، وسمع علما كثيرا، وكان ثقة مأمونا إماما حجة كثير الحديث".(٤)

واجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك: مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر، فقالوا: تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والشجاعة والفروسية والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لا يعنيه وقلة

(١) **تاريخ دمشق**، ٤٠٩/٣٢.

(٢) **أدب الإملاء والاستملاء**: عبد الكريم بن محمَّد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمَّد اللحام، ط١، دار الهلال، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٦٣.

(٣) **تذكرة الحفاظ**: محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١، ص٢٠٣.

(٤) **الطبقات**، ٣٧٢/٧.

الخلاف على أصحابه.[1] وعن ابن عيينة قال: نظرت في الصحابة فما رأيت لهم فضلاً على ابن المبارك إلا صحبتهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وغزوهم معه.[2]

وكان الإمام مخلد بن الحسين الأزديّ أحد أوعية العلم في زمانه ومن كبار علماء الثغر وأحد شيوخ ابن المبارك، الذين يُجلّهُم ويُكبرهم، روى الحسن بن جعفر-وهو من أهل بخارى- قال: رأيت ابن المبارك عند مخلد بن الحسين كأنه عصفورٌ عند بازيّ[3].[4]

ومما يدلّ على تعدد رحلات الإمام خلف بن تميم التميمي ما ذكره ابن العديم في ترجمته حيث قال: "كوفي نزل المصيصة وأنطاكية..وطاف بلاد الشام"،[5] وقائمة أسماء شيوخه التي قدّمها ابن العديم تشير إلى ذلك .

ومما حرص عليه الإمام خلف في طلبه للعلم تحمّله عن أهله بالسماع مباشرة، من ذلك ما روى الإمام خلف بن تميم قال: أتيتُ حيوة بن شريح فسألته، فأخرج إليّ كتابًا فقال: اذهب فانسخ هذا واروه عنّي، قلت: لا نقبله إلا سماعًا، قال: كذا أفعل بغيرك فإن أردته وإلا فذره. قال: فتركته.[6]

ومن أبرز الخصائص الفكرية التي وجّهت الفكر الجهادي لدى علماء الثغور حرصهم على تزكية النفس وقيادتها والزهد والورع، ومن ذلك ما رويَ عن عتبة الغلام أنه قال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعّمت بها عشرين سنة.[7]

---

(1) **سير أعلام النبلاء**، ٨/٣٩٧.

(2) **سير أعلام النبلاء**، ٨/٣٩٠.

(3) **البازيّ**: جنس من الصقور تميل أجنحتها إلى القصر وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول. ينظر: مادة (ب ز ا) **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ج١، ص٥٥.

(4) **الثقات لابن حبان**، ٨/١٧٣.

(5) **بغية الطلب**، ٧/ ٣٣٣٤.

(6) **بغية الطلب**، ٧/ ٣٣٤١.

(7) **حلية الأولياء**، ٢/ ٣٢٠.

وقال الربيع بن نافع: سمعت من يوسف بن أسباط حرفًا في الورع ما سمعت أحسن منه. قلت له يومًا وقد اتخذ كواير نحل: لو اتخذت حَمَامًا. فقال: النحل أحبُ إليَ من الحمام، الحمام يدخل الغريب فيهم والنحل لا تدخل الغريب فيها فمن ذاك اتخذت النحل.(١)

ومما يسترعي الانتباه في سير العلماء المجاهدين اشتراك أغلبهم في التأثّر بعدد من أئمة أهل السنة والجماعة، هذا التأثّر الذي انعكس بلا شك على توجّههم الفكري، ومن أبرز هؤلاء العلماء: إبراهيم بن أدهم والأوزاعي وسفيان الثوري. ولعلنا نلقي الضوء على شيء من سيرهم لنستجلي عمق أثرهم على علمائنا.

١. **إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجليّ الخراساني البلخيّ، نزيل الشام، القدوة الإمام العارف سيد الزهاد،** مولده في حدود سنة ١٠٠هـ.(٢) وكان من أولاد الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم والمراكب، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم: ما هذا العبث ؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل، وصادف راعيا لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسه وما معه وزهد في الدنيا.(٣)

ثم مضى ابن أدهم إلى الغرب فمكث في العراق أيامًا قلائل فلم يصفُ العراق له، ومضى غربا إلى المصيصة وطرسوس وعمل فيها بالحصاد وحراسة البساتين مدة من الوقت، ثم مضى إلى الساحل فمرّ بأنطاكية وطرابلس وبيروت وصحب فيها الإمام الأوزاعيّ، إلى أن

---

(١) المنتظم لابن الجوزي، ١٠/ ٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٨٨.

(٣) حلية الأولياء، ٧/ ٣٦٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

بلغ مدينة صور بلبنان واتخذ بها منزلا. واعتاد ورود الثغور الشامية للجهاد وزيارة أصدقائه حينًا وللعمل في بساتينها حينًا آخر حتى توفي بصور عام ١٦٢هـ رحمه الله.(١)

وعن علي بن بكار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم وكثيراً ما كنت أسمعه يقول: يا أخي، اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا

وقال مخلد بن الحسين: ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأغتم، ثم أتعزى بهذه الآية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الجمعة:٤].(٢)

تعمّق إبراهيم بن أدهم في دراسة القرآن الكريم، وفقِه الحديث النبوي ورواه، وتتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوك أصحابه فنهج نهجهم، وتثقّف ثقافة عالية وهو العربيّ الحسيب فكان بليغًا فصيحًا. كان رحمه الله رجلًا فذًا بين الرجال، قويّ الإيمان بالله تعالى، حريصًا على أكل الحلال، محدّثًا عاملًا ومجاهدًا فارسًا، ومتزهّدًا ورعًا، حفلت المصادر الإسلامية بسيرته مما نقله أصحابه من أخباره رحمه الله حيث شاركهم في الغزو وطلب العلم والمأكل والمشرب.(٣) منهم عبد الله بن المبارك وأبو إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين.

وكان أكثر المتأثّرين بابن أدهم من علمائنا المجاهدين: خلف بن تميم التميمي، وعليّ بن بكار البصريّ وأبو يوسف الغسولي وأبو معاوية الأسود. وهناك خمسة عشرة حادثة مما سجّله أبو نعيم في الحلية بخصوص وقائع حياة إبراهيم بن أدهم مما رواه خلف بن تميم، فيما روى ابن بكّار ثماني وقائع متصلة بحياته إذ شاركه في بعض الغزوات والأسفار، فيما قلّت رواية أبي يوسف وأبي معاوية عنه.(٤)

(١) **حلية الأولياء**، ٧/ ٣٦٨.

(٢) **حلية الأولياء**، ٨/ ١٠و٢٢.

(٣) **إبراهيم بن أدهم**: مصباح غلونجي، مجلة التراث العربي، مج٣، ع١١-١٢، سوريا ١٩٨٣م، ص١٨٠.

(٤) **إبراهيم بن أدهم ونشوء الاتجاه الصوفي**: أديب نايف ذياب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٥، ع٢، الأردن ١٩٩٨م، ص٣٨٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

وأحد شواهد هذا التأثر ما رواه عليّ بن بكّار قال: غزا معنا إبراهيم بن أدهم غزاتين، كلّ واحدة منهما أشدّ من الأخرى، فلم يأخذ سهماً ولا نفلاً، وكان لا يأكل من متاع الروم، نجيء بالطرائف والعسل والدّجاج فلا يأكل منه ويقول: هو حلال، لكنّي أزهد فيه.[1] ويظهر تأثر أبي يوسف الغسولي بنهج ابن أدهم في الزهد فيما أورده ابن العديم إذ قال: كان أبو يوسف الغسولي إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من ذبائح الروم ومن فواكههم، وأبو يوسف لا يأكل، فيقال له: يا أبا يوسف تشك أنه حلال؟ فيقول: لا هو حلال، فيقال له: كل من الحلال، فيقول: إنما الزهد في الحلال.[2]

من هنا يتبين لنا عمق العلاقة الرابطة بين ابن أدهم والعلماء المجاهدين في الثغور الشامية، إذ كانت أخوة العلم والجهاد والحياة الآخرة التي تبادل فيها هؤلاء الربّانيّون التأثُّر والتأثير.[3]

٢. **شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الدمشقي الحافظ،** وُلِد سنة ٨٨هـ، ولد ببعلبك ورُبي يتيما فقيرا في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه.[4] إمام أهل الشام في الحديث والفقه كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحول الى بيروت فسكنها مرابطا إلى أن مات بها عام ١٥٧هـ.[5]

(1) **تاريخ الإسلام للذهبي**، ٤/٢٩٧.

(2) **بغية الطلب**، ١٠/٤٦٥٩.

(3) **في تفصيلات علاقة هؤلاء العلماء انظر تراجمهم في:** الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، تاريخ الإسلام للذهبي، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، صفة الصفوة لابن الجوزي، سير أعلام النبلاء للذهبي، الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري.

(4) **تذكرة الحفاظ**، ١/ ١٣٤.

(5) **تاريخ دمشق**، ٤٥/ ١٤٧.

كان رحمه الله رأسًا في العلم وكان له مذهبٌ مشهور عمل به فقهاء الشام والأندلس مدّة. وقال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس في سنة أربعين ومئة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة. وعن مالك بن أنس قال: الأوزاعيّ إمامٌ يقتدى به.(1)

وأكثر المتأثرين بالأوزاعي من علمائنا أبو إسحاق الفزاري-وإن كان بعضهم تتلمذ عليه كابن المبارك والحارث بن عطية الحارثي- وقد أكثر أبو إسحاق من الرواية عنه حتى إنه كان يملك سجلات سجّل فيها مسائله عنه كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في ترجمة عباد بن جويرية البصري، أن الإمام أحمد بن حنبل وعليّ بن المدينيّ وإبراهيم بن عرعرة السامي قد أتوا عبّادًا هذا فأخرج إليهم كتابًا فيه مسائل أبي إسحاق الفزاري، سألتُ الأوزاعي.(2)

وعن علي بن بكّار قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، وأما الثوري فكان رجل خاصة نفسه. ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي. قال علي بن بكار: لو خيرت لهذه الأمة، لاخترت لها أبا إسحاق الفزاري.(3)

٣. **سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي**، توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة،(4) وكان إماما من أئمة المسلمين، وعلما من أعلام الدين، مجمعا على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الاتقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد.(5) قال عبد الله بن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري.(6)

(1) سير أعلام النبلاء، ٧/ ١١١.

(2) الجرح والتعديل، ١١/ ١١٧؛ السير لأبي إسحاق الفزاري، ص٢٠-٢١.

(3) سير أعلام النبلاء، ٧/ ١١٣.

(4) التاريخ الكبير للبخاري، ٤/ ٩٢.

(5) تاريخ بغداد، ١٠/ ٢١٩.

(6) الجرح والتعديل، ١/ ١١٩.

وقد روى أكثر علمائنا عن سفيان إلا أن أبرز المتأثّرين به هو الإمام المجاهد يوسف بن أسباط الكوفيّ الذي قال: كان أبي قدريًّا وأخوالي روافض، فأنقذني الله تعالى بسفيان-يعني الثوري-.[1]

ويمكننا القول بأن الخصائص الاجتماعية والدينية والفكرية المؤثرة في الفكر الجهاديّ لدى العلماء المجاهدين في الثغور الشاميّة خلال خلافة الرشيد؛ منها ما يتّصل بحياتهم والمدن التي نشأوا فيها والعقيدة والعلوم التي تلقّوها من علمائهم، ومنها ما يتّصل بالعصر الذي عاشوا فيه وما اتّسم به من ازدهار في جميع مناحي الحياة، وهي في جملتها أخرجت لنا هؤلاء العلماء الذين تمثّلوها في ممارستهم للجهاد سلوكًا وتطبيقًا.



(١) تلبيس إبليس،ص١٨؛ تاريخ دمشق، ٨/ ٩٦.



الفصل الثالث: دور العلماء في المرابطة والجهاد بالثغور.

ـ المبحث الأول: علاقة علماء الثغور بالسلطة السياسية.

ـ المبحث الثاني: دور العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم.

- موقع العلماء المجاهدين في الجيش العباسي.
- سُبل النفير والاستعداد للمعركة.
- مشاركة العلماء في العمليات العسكرية.



ـ المبحث الأول: علاقة علماء الثغور بالسلطة السياسية.

لا يمكننا أن نخرج بتصوّر واقعيّ عن خلافة هارون الرشيد دون اعتبار للدور الهام الذي نهض به العلماء بصفتهم عنصرًا مهمًا وحاسمًا في توجيه السير التاريخي لهذه الفترة، إذ تدلّنا الوثائق التاريخية على أن خلفاء العصر العباسي كانوا يتعاملون من منطلق رؤية سياسية أخذ الدين فيها جانبًا أساسيًا، وكانوا -بهذه الرؤية- على معرفة تامة باختصاصات العلماء ما مكّنهم من الاستعانة بهم في شؤون السياسة والحكم القضاء والولاية وغيرها، وكان السياسيون وكبار القادة في عصر الرشيد يراجعون الأئمة والفقهاء في أمور تفصيلية تتعلق بالحياة السياسية كالعهود والالتزامات، كما كان للعلماء المجاهدين صوتهم الأعلى فيما يتعلق بطوارئ المعارك وحيثياتها.[١] وسار الرشيد في هذا الأمر مسلك سابقيه من خلفاء بني العباس الذين أدركوا أهمية الدور الذي يقوم به الفقهاء والعلماء في توجيه المجتمع وفي مصير الدولة فجعلوا التعاون بينهم وبين العلماء ركنًا ركينًا في سياستهم ونلحظ في سير الخلفاء العباسيين نماذج كثيرة لهذا التعاون.[٢]

كان عصر الرشيد عصر انفتاح الخلافة على العلم والعلماء بشكل غير مسبوق، نشطت فيه الحركة العلمية في جميع المجالات بلا استثناء، وتوقّد النتاج الفكريّ بصورة لازال العلم مدينًا لها إلى يومنا هذا. ولعلّ أحد أهم أسباب هذا الازدهار ما اتّسمت به شخصية الخليفة هارون الرشيد وأثّرت بوضوح على مكانة العلم والعلماء في عهده. فالرشيد الذي نشأ في كنف والده وفي قصور الخلافة التي كانت مركزًا من مراكز التبادل المعرفيّ؛ التمس له المهديّ المؤدّبين

---

(١) **موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩ م-دراسة تاريخية تحليلية-**: عبد الهادي العجمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج٢٧، ع١٠٧، الكويت٢٠٠٩م، ص١٠٠.

(٢) **دراسات في حضارة الإسلام**: هاملتون جب، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت١٩٧٩م، ص١٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

في مختلف ميادين العلم والفكر والأدب، يعلّمونه الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس، فكان من أبرز أساتذته أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بالكسائيّ، الذي عُني بتدريسه وتلقينه العلم في طفولته، وبقي إلى جانبه حتى نشأ ونبُه شأنه، فصار من جُلّاسه ثم من علماء بلاطه، ثمّ مؤدّب ولديه الأمين والمأمون، ولم يفارقه حتى توفي رحمه الله بالريّ عام ١٨٩هـ. وكان الكسائيّ تقيًا ورعًا، وأحد القرّاء السبعة للقرآن العظيم، وإمام أهل الكوفة في النحو والعربية والقراءات وأيام الناس.[١]

ومن أساتذة الرشيد المفضّل بن محمد الضّبِّيّ، وكان علّامة راوية للشعر والأدب وأيام العرب، وهو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. أدرك المنصور ولزِم المهديّ وصنّف له كتاب (المفضّليات)، كما لزم الرشيد وله معه مجالس أدبية زاخرة.[٢]

ولم ينقطع الرشيد عن التعلّم فقد ورد أنه أقدم أبا عبيد مَعْمَر بن المثنى من البصرة إلى بغداد سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٣م وقرأ عليه أشياء من كتبه، وأبو عبيد من أئمة العلم بالأدب واللغة. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه.[٣]

ومن هؤلاء وغيرهم تكوّنت ثقافة الرشيد العالية واتّسعت معرفته في جميع العلوم، واجتمع في بلاطه جهابذة العلم من كل اختصاص، وبحضرته جرت المناظرات بين أرباب المعارف، وهو في ذلك مناقش وشاعر وناقد فكان "فَهْمُ الرشيد فهم العلماء"،[٤] ودولته "من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً...ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل

---

(١) **وفيات الأعيان، ٣/ ٢٥٩؛ الأعلام للزركلي، ٤/ ٢٨٣؛ الحركة الأدبية في مجالس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)**: محمود سعود الحليبي،(رسالة دكتوراه، قسم الأدب، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، الرياض ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، مج١،ص٢٥.

(٢) **الأعلام للزركلي**، ٧/ ٢٨٠.

(٣) **تاريخ بغداد**، ١٥/ ٣٣٨.

(٤) **تاريخ الخلفاء**، ٢٤٩.

كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه إلى أعلى درجة. وكان فاضلاً شاعراً راويةً للأخبار والآثار والأشعار، صحيح الذوق والتميز مهيباً عند الخاصة والعامة".(١)

وكان الرشيد في كل حالاته " يُحب الفقه والفقهاء، ويَميل إلى العلماء، ويُحب الشعر والشعراء، ويعظم في صدره الأدب والأدباء، وكان يكره المراء في الدين والجدال، ويقول: إنه لَخليق ألا ينتج خيرًا".(٢) قال أبو معاوية الضرير: أكلت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين طعامًا يومًا من الأيام، فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون الرشيد: يا أبا معاوية، تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم، إجلالًا للعلم.(٣)

وبادله العلماء ذات الاحترام إذ كان يأنس برأيهم ويصبر على حدّتهم ويستمع إلى مواعظهم، وكان الفضيل بن عياض رحمه الله إذا خاطب الرشيد ووعظه قال له: (يا حَسَن الوجه) تلطفًا منه، وعظُه مرّة فقال: يا حسن الوجه، أنت المسئول عن هذه الأمة، حَدَّثَنَا ليث، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾، قال: الوصل الذي كان بينهم في الدنيا، قال: فجعل هارون يبكي ويشهق.(٤)

ويظهر الدور المتكامل بين الحكام والعلماء في حفظ الدين من حديث الفضيل رحمه الله إذ يقول: ما من نفس تَموت أشد علي موتًا من هارون أمير المؤمنين، ولوددت أن الله زاد في عمره من عمري. فكبُر ذلك على أصحاب الفضيل، فلما مات هارون، وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات، وظهر القول بخلق القرآن، قال أصحابه: الشيخ كان أعلم بما تكلم به.(٥)

---

(١) **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية:** محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي(ت٧٠٩هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٩٥.

(٢) **تاريخ الطبري،** ٣٤٧/٨.

(٣) **تاريخ بغداد،** ٩/١٦.

(٤) **تاريخ بغداد،** ١٢/١٦.

(٥) **تاريخ بغداد،** ١٨/١٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

طبيعيٌّ إذًا أن تكون خلافة الرشيد حافلةً بحشد هائل من العلماء في جميع المجالات، وأن يكون الخليفة على درجة عالية من إجلال العلماء وإكبارهم ومجالستهم، إلا أن أكثر الفئات التي ارتبطت بعلاقة مباشرة مع الدولة هم الفقهاء والمحدثون، وهذا يتناسب مع اختصاصاتهم كونهم من علماء الشريعة الإسلامية، فقد قويت العلاقة بين الخلافة وبعض أولئك العلماء لما في ذلك من تعزيز سياسة الدولة وشرعيتها وتثبيت أركانها مما يؤكد لنا السياسة الدينية للدولة العباسية ومحاولة كسب الخلفاء للعلماء، وكان الطابع الإيجابي للعلاقة الأكثر والأهم فيما توترت مع بعض العلماء لاعتبارات فردية.(1)

ولم يكن المحدّثون والفقهاء على مسافة واحدة من السلطة السياسية؛ فمنهم من اقترب من الخليفة وجالسه وتولّى المناصب في دولته وأيّدوا تدابيره في الحفاظ على وحدة الأمة كأبي يوسف القاضي(2) ومحمد بن الحسن الشيباني(3)، ومنهم من ارتفعت منزلته عند الخليفة باحترامٍ متبادل كما كان الأمر مع الإمام مالك بن أنس(4) والشافعيّ(5)،ومنهم من آثر اعتزال السلطان

---

(1) **علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول**: أحمد إسماعيل الجبوري، ط1، دار الفكر، عمّان 1430هـ/ 2009م، ص221.

(2) **أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري**، صاحب أبي حنيفة النعمان، كان فقيهاً عالماً حافظاً، تولى القضاء ببغداد للمهدي والهادي والرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويجله، وكان عنده حظياً مكيناً، وهو أول من دعي بقاضي القضاة، كتب للرشيد كتاب الخراج وله معه أخبار ومواقف، وتوفي ببغداد عام 182هـ. ينظر: **تاريخ بغداد**، 16/ 359؛ **وفيات الأعيان**، 6/ 378-379.

(3) **محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني** مولاهم، ولد بواسط سنة 132ه ونشأ بالكوفة، صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، وفقيه أهل العراق في زمانه، ولّاه الرشيد القضاء بعد أبي يوسف، توفّي بالريّ عام 189هـ. ينظر: **سير أعلام النبلاء**، 9/ 134-136.

(4) **أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرٍ الأصبحي**، ولد سنة 93ه، وهو إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب الأربعة، عاصر المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وكتب كتابه الموطّأ للمنصور، وكان الرشيد يجلّه ويُكرمه، توفي رحمه الله عام 178هـ. ينظر: سير **أعلام النبلاء**، 8/ 48-133.

(5) **مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعٍ القُرَشِيُّ المُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ المَكِّيُّ**، نَسِيبُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَابْنُ عَمِّهِ، فَالمُطَّلِبُ هُوَ أَخُو هَاشِمٍ وَالِدِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. ولد بغزة عام 150ه ونشأ بمكة، ساد أهل زمانه في الفقه وله مذهب فيه هو أحد المذاهب الأربعة، وتكررت اللقاءات بين الشافعي والرشيد وقال له الرشيد: (كثّر الله في أهل بيتي مثلك). ينظر: **حلية الأولياء**،9/ 80؛ **سير أعلام النبلاء**، 10/ 5-50.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

مع بذل النصيحة له في أمور الدين والدنيا كالفضيل بن عياض(١) وسفيان بن عيينة(٢)، ومنهم من اعتزل السلطان جملة وتفصيلًا ليس انتقاصًا منه أو خروجًا عليه بل اجتنابا للافتتان كسفيان الثوري.

وقد عاصر العلماء المجاهدون عددًا لا بأس به من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية،(٣) كما شهد بعضهم سقوط الأولى وقيام الثانية، ويمكننا أن نعتبرهم بلا استثناء من (المهاجرين) إلى الثغور الشامية القادمين إليها من مختلف الأقاليم لا من سكّانها الأصليين، وربما كان للاضطرابات التي عصفت بالوضع السياسي في الدولة الإسلامية دورٌ في مفارقة العلماء لمدنهم إلى الجهاد، نأيًا بأنفسهم عن هذه الاضطرابات من ناحية، وقيامًا بحق الجهاد الذي تعرّض لحالة سكون تبعًا للأوضاع العامة من جهة أخرى، وهو ما أملاه عليهم علمهم وتطبيقهم لفقه الواقع مما يؤكد على أن علماء الأمة لم يكونوا بمعزل عن التحديات التي تواجهها بل كانوا في الصف الأول للتعامل معها، وأنهم نذروا أنفسهم لله لا لمطامع سياسية أو جوائز سنيّة.

---

(١) **الفُضيل بن عياض بن مسعود التميميّ اليربوعيّ**، أبو عليّ، أحد أعلام الإسلام ومن أكابر العبّاد الصالحين، ولد بسمرقند سنة ١٠٥هـ، وقدم الكوفة وسمع فيها الحديث ثمّ تعبّد وانتقل إلى مكة المكرمة وجاور بها إلى أن مات سنة ١٨٧ه. وله مع الرشيد مواقف ومواعظ كثيرة. قال عنه الرشيد: (ما رأيتُ في العلماء أورع من الفضيل). ينظر: **حلية الأولياء**،٨/ ٨٤-١٣٩؛ **سير أعلام النبلاء**، ٨/ ٤٢٢.

(٢) **سفيان بن عيينة بن ميمون الهلاليّ الكوفيّ**، محدّثُ الحرم المكيّ، كان عالمًا ناقدًا وزاهدًا عابدًا، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ه وقدم بغداد ثمّ سكن مكّة، كان حافظًا ثقة واسع العلم ذا رأي راجح، كبير القدر عند الخاصة والعامة، أسند سفيان عن الجماهير من التابعين وأدرك ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين وأركانهم، قال الشافعيّ: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، توفي رحمه الله بمكة سنة ١٩٨ه. ينظر: **تاريخ بغداد**، ١٠/ ٢٤٤_٢٥٧؛ **حلية الأولياء**، ٧/ ٢٧٠-٣١٨؛ **سير أعلام النبلاء**، ٧/ ٢٣٠.

(٣) **بالنظر إلى سنيّ ولادة ووفاة العلماء المجاهدين نجد أنهم عاصروا عددًا من الخلفاء وهم: من الدولة الأموية**: هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥-١٢٦هـ، يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الناقص)١٢٦هـ، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦-١٢٧هـ، مروان بن محمد١٢٧-١٣٢هـ. **ومن الدولة العباسية**: أبو العباس السفّاح ١٣٢-١٣٦هـ، أبو جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ، محمد المهدي ١٥٨-١٦٩هـ، موسى الهادي ١٦٩-١٧٠هـ، هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ، محمد الأمين١٩٣-١٩٨هـ، عبد الله المأمون١٩٨-٢١٨هـ.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

خرج علماؤنا المجاهدون من منظومة العلماء الكبرى في عصر الرشيد، وباستعراضنا في الفصل السابق لأهم الخصائص الاجتماعية والدينية والفكرية التي وجّهت فكر هؤلاء العلماء تأكّد لنا ارتباطهم بهذه المنظومة ارتباطًا مباشرًا، وكانت علاقتهم بالسلطة السياسية وعلاقتها بهم جزءً وثيقًا من هذا الارتباط. ولا تمدّنا المصادر بمعلومات شاملة حول علاقة كافة علماء الثغور بالخليفة الرشيد، لبعد مناطق الثغور عن مركز الخلافة من جهة، ولقلّة ورود هؤلاء العلماء إلى بغداد وانشغالهم بالغزو عن غيره من جهة أخرى، إضافة إلى تفضيل بعضهم البعد عن السلطة السياسية وعدم الاحتكاك بها. على أن كتب التاريخ والتراجم والسير والطبقات لا تخلو من إشارات قليلة حول لقاءات جرت بين علماء الثغور والرشيد يمكن أن نستشفّ من خلالها صورةً تقرّبنا من الحقيقة. ويبدو أن هذه اللقاءات تمّت أثناء إقامة الرشيد بالرّقة في النصف الثاني من خلافته، لقربه من الثغور وازدياد عنايته بأمر الجهاد والغزو وقتئذ؛ إذ شهدت الفترة التالية لاستقرار الرشيد في الرّقة نشاطًا ملحوظًا في المعارك بين المسلمين والروم نوعًا وكمًا، وكان العلماء بطبيعة الحال شيوخ أهل الثغر ومتقدمي الجهاد.

ويظهر لنا شكل العلاقة التي ربطت الخليفة بالعلماء المجاهدين من حوار طويل رواه لنا الأصمعيّ وهو من جلساء الرشيد الثقات[1] وكان حاضرًا حين اجتمع الخليفة الرشيد بأبي إسحاق الفزاري؛ قال الأصمعي: "كنت جالسًا بين يدي هارون الرشيد أُنشده شعرا وأبو يوسف القاضي جالس على يساره، فدخل الفضل بن الربيع فقال: بالباب أبو إسحاق الفزاري، فقال: ادخله. فلما دخل قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلّم الله عليك، ولا قرب دارك ولا حيا مزارك! قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال:

---

(١) **عبد الملك بن قريب بن عبدالملك الأصمعيّ البصريّ**، كان بحرًا في الأدب اللغة والأخبار، ولد سنة ١٢١هـ وطاف البوادي حتى كتب شيئا لا يحصى عن العرب، وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة، ففاق وساد، وله مع الرشيد مجالس حافلة، توفي عام ٢١٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/ ١٧٦-١٨٢.

أنت الذي تحرم السواد؟ فقال: يا أمير المؤمنين من أخبرك بهذا؟ لعل ذا أخبرك! و أشار إلى أبي يوسف وذكر كلمة".[1]

يبدو أن أبا إسحاق رغم اعتزاله لأمور السياسة لم يسلم من الوشايات بين الفينة والأخرى واتّهامه بمناوئة خلافة بني العباس مما أوغر صدر الرشيد عليه، لكنّه كان واثق النفس حاضر الحجّة ولم تكن إشارته إلى أبي يوسف جُزافًا بلا بيّنة، يتضح ذلك من ردّه على هذه التهمة إذ قال: "معاذ الله يا أمير المؤمنين، أنا من أهل بيت سنة وجماعة، والله يا أمير المؤمنين لقد خرج إبراهيم على جدك المنصور فخرج أخي معه، وعزمتُ على الغزو في بعض الثغور، فأتيت أبا حنيفة فذكرت ذلك له، فقال لي: مخرج أخيك أحب إلي مما عزمت عليه من الغزو، وهو يرى السيف فيكم، والله ما حرمت السواد".[2]

هنا موقف أبي إسحاق الواضح من السلطة السياسية، إذ لم يرَ الخروج على الخليفة بحال من الأحوال، ولم يتأثّر بتوجّه أحد أفراد أسرته (أخيه) أو تشجيع أحد شيوخه (أبي حنيفة) مؤثرًا الخروج إلى الغزو على الخروج على السلطان.

وكان خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م بالبصرة، وخرج أخوه محمد النفس الزكيّة بالمدينة ثائرين على المنصور.[3] وتُعدّ هذه الثورة من أخطر حوادث خلافة المنصور إذ سببت انقسامًا كبيرًا في مواقف العلماء والفقهاء تجاهها بين الحياد أو الانحياز لجانب الخلافة أو بالعكس إلى جانب العلويين.[4] وزادت خطورة هذه الثورة بحصولها على تأييد مدرستي الأثر والرأي، ففي المدينة أيّدها الإمام مالك وفي العراق أيّدها أبو حنيفة النعمان الذي صرّح علنًا بالخروج وتأييد ثورة إبراهيم وأخيه، وجاهر بذلك حتى خاف أصحابه وقالوا له: "والله ما أنتَ بمُنْتَهٍ حتى عن هذا حتى

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٢٨٤؛ تاريخ دمشق لابن عساكر، ٧/ ١٣٠.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) البداية والنهاية، ٧/ ٥٨-٧٢.

(٤) علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول: أحمد إسماعيل الجبوري، ص٥٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

نؤتى فتوضع في أعناقنا الحبال"،[1] بل إن أبا إسحاق عاتب أبا حنيفة بعد القضاء على الثورة ومقتل أخيه قائلًا: "ما اتقيت الله حيث حثثت أخي على الخروج مع إبراهيم فقُتل، فقال أبو حنيفة: إنه كما لو قتل يوم بدر".[2] مما يدلّ على شدّة تأييده وثباته على موقفه من الثورة.

وبعد مقتل الثائريْن تساهل المنصور إلى حدّ ما في إنزال العقوبة بالعلماء لمكانتهم من الدين والأمة، وآثر مناقشتهم والعفو عنهم وكسبهم إلى جانبه ومراقبتهم عن بُعد وقد أثمرت هذه السياسة فعلًا في تقريب كثير من العلماء إليه كالإمام مالك.[3]

ومهما يكن من أمر، فإن أبا إسحاق الفزاريّ كان شديد الوضوح في موقفه هذا، وقد كان بإمكانه الانضمام إلى أحد الفريقين واستثمار ثقله العلميّ وهو رأسٌ في الفقه والحديث، إلا أن الله سلّمه من هذه الفتنة التي انجرّ إليها رؤوس العلماء وتوجّه إلى الغزو مجاهدًا ومرابطًا. وقد عرف له الرشيد هذا الفضل حين احتجّ به على أبي يوسف، وسرعان ما أكرمه وأجلّه وقرّبه وقال له: "فسلّم الله عليك وقرب دارك وحيا مزارك، اجلس يا أبا إسحاق. قال الأصمعيّ: فما زال هارون يقول له: ادن - حتى أقعده فوق أبي يوسف، وأبو يوسف منكس رأسه".[4]

لم يحمل هذا الإكرام أبا إسحاق الفزاري على التزلّف والتذلل، ولم يُرِدِ الرشيد ذلك منه بوجهٍ أبدًا، ومثلُ الإمام لا يُجهَل، بل كان إجلالًا للعلم ومعرفة بحقّ أهله من الخليفة واعتزازًا بالدين والنفس من الإمام. إذ لما أدناه الرشيد قال له: "يا أبا إسحاق قد أمرنا لك بثلاثة آلاف دينار وبغل وفرس. فقال: يا أمير المؤمنين، نحن أهل بيت وفي سعة، أنا رجل من

(١) **مقاتل الطالبيين**: علي بن الحسين بن محمد الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني(ت٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ص٢٩٣.

(٢) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي(ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٠٣.

(٣) **علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول**، ص٥٦.

(٤) **الجرح والتعديل**، ١/ ٢٨٤؛ **تاريخ دمشق**، ٧/ ١٣٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ولد أسماء بن خارجة الفزاري. قال: يا أبا إسحاق، خذهما إن كنت محتاجًا إليهما، وإلا فادفعهما في أهل الحاجة. فأتي بها فوضعها في يده وخرج. فلما انصرف لقيه ابن المبارك فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير وأنا عنها غني، قال: فإن كان في نفسك منها شيءٌ فتصدق بها. فما خرج من سوق الرافقة(١) حتى تصدق بها كلها.(٢)

وقد اختلف علماؤنا المجاهدون في مواقفهم تجاه عطايا السلطان كلّ حسب منهجه، ونتبين طرفًا منها من مشورة ابن المبارك وتنفيذ أبي إسحاق لها -وإن كان أبو إسحاق يقبلها أحيانًا-، قال أبو علي الروذباريّ(٣): "كَانَ أربعة فِي زمانهم واحد كَانَ لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شَيْئًا، وَهُوَ يُوسُف بن أسباط ورث من أَبِيهِ سبعين ألف درهم وَلَمْ يأخذ منها شَيْئًا وَكَانَ يعمل الخوص(٤) بيده. وآخر كَانَ يقبل من الإخوان والسلطان جميعا وَهُوَ أَبُو إِسْحَاق الفزاري، فكان مَا أخذه من الإخوان ينفقه فِي المستورين الَّذِينَ لا يتحركون، والذي كَانَ يأخذه من السلطان كَانَ يخرجه إِلَى أهل طرسوس. والثالث: كَانَ يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافئ عَلَيْهِ. الرابع: كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وَهُوَ مَخْلَد بن الحسين كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون.(٥)

ويتبين من رواية لأبي سليم فرج الخادم -متولّي طرسوس من قبل الرشيد- مقدار ما كان عليه علماء الثغور من جرأة في الحق عرفهم بها الخاصة قبل العامة، إذ لما قدم الرشيد عين

---

(١) **الرافِقَة**: بلدةٌ متّصلة البناء بمدينة الرَّقّة وهما على ضفاف نهر الفرات، بناها أبو جعفر المنصور عام ١٥٥هـ، ثمّ إن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة. ينظر: **معجم البلدان**، ٣/ ١٥.

(٢) **الجرح والتعديل**، ١/ ٢٨٤؛ **تاريخ دمشق**، ٧/ ١٣٠.

(٣) **أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور**، أبو علي الروذباري، من كبار الزهّاد المتصوّفين وممن صحب الجُنيد العابد، وهو بغداديّ انتقل إلى مصر وتوفي بها. ينظر: **حلية الأولياء**، ١٠/ ٣٥٦؛ **سير أعلام النبلاء**، ١٤/ ٥٣٦.

(٤) **الخوص**: ورق النخيل، وبائعه الخواص. ينظر: **لسان العرب** (خ و ص)، ٧/ ٣٢.

(٥) **تاريخ دمشق** لابن عساكر، ٧/ ١٢٩؛ **الرسالة القشيرية**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ج٢، ص٤٣٤.

زربة أمر أبا سليم أن يأتيه بابن المبارك. قال أبو سليم: فقلت-أي في نفسه-: لا آمن أن يجيب الرشيد بما يكره فيقتله، فقلت: يا أمير المؤمنين هو رجل غليظ الطباع، جلف، فأمسك الرشيد.[١]

واحترز العلماء من مخالطة السلطان ومن اتصل به قدر استطاعتهم، فقد روى الخطاب[٢] قال: رأيت الجفان بأرض الروم على رؤوس الشرط فيها الكعك والسويق والتمر فقلت: لأتبعنها حتى أنظر إلى من يذهب بها، قال: فجيء بها إلى رحل ابن المبارك، فقالوا: بعث بها عبد الملك-بن صالح بن علي العبّاسيّ أمير الثغور-، فسمعته يقول للشرط: انطلقوا لا حاجة لي فيها فردّها.[٣]

وحدّث داود بن معاذ[٤] -ابن أخت مخلد بن الحسين- عن مخلد بن الحسين قال: غزونا مع عبد الملك بن صالح الهاشمي، فأقبلنا من غزونا، فمر بنا أبو إسحاق الفزاري فأسرع ولم يسلّم، فالتفت إلي عبد الملك مغضبًا، فقال لي: يا مخلد، مَرَّ بنا أبو إسحاق فأسرع ولم يسلم! فقلت له: أعز الله الأمير، لم يرك. فردها ثانية وتبين لي فيه الغضب، فقلت: أعز الله الأمير، أتأذن لي أن أحدثك رؤيا رأيتها له؟ قال: حدّث. قلت: رأيت كأن القيامة قد قامت والناس في ظلمة في حيرة يترددون فيها، فنادى مناد من السماء: أيها الناس، اقتدوا بأبي إسحاق الفزاري فإنه على الطريق. فغدوت إليه فأعلمته، فقال لي: يا مخلد، لا تحدث بهذا وأنا حي. ولولا غضبك أيها الأمير ما حدثتك.[٥]

---

(١) **تاريخ الإسلام للذهبي**، ٤/ ٨٨٧.

(٢) غزا الصائفة إلى بلاد الروم مع عبد الملك بن صالح بن علي بن العباس، حكى عن عبد الله بن المبارك. ولم أجد له ترجمة إلا في **بغية الطلب**، ٧/ ٣٣٣١.

(٣) **بغية الطلب**، ٧/ ٣٣٣١.

(٤) **داوود بن معاذ البصري**، أبو سليمان العتكي المصيصيّ، أصله من البصرة ثم نزل المصيصة وسكنها، توفي عام ٢٤٥هـ. ينظر: **بغية الطلب**، ٧/ ٣٤٦٨.

(٥) **تاريخ دمشق**، ٧/ ١٣٣؛ **الجرح والتعديل**، ١/ ٢٨٥-٢٨٦.

والعلماء في هذا الاحتراز سائرون على نهج من قال بأن السلامة في اعتزال السلطان، وبالنظر التاريخي إلى هذه القضية نجد اختلافًا بيّنًا فيها وأخذت تفصيلاتها حيّزًا كبيرًا من كتب الفقه وأبوابه، وقد أوجز ابن مفلح الحنبليّ الأمر –مع أنه رجّح الانقطاع عنهم- إذ يقول: "والظاهر كراهته-أي إتيان السلطان- إن خيف منه-أي العالم- الوقوع في محظور ، وعدمها إن أمن ذلك، فإن عري عن المفسدة واقترنت به مصلحةٌ من تخويفه لهم ووعظه إياهم وقضاء حاجته كان مستحبًا، وعلى هذه الأحوال ينزل كلام السلف وأفعالهم رضي الله عنهم".[1]

وقرر ابن القيّم رحمه الله طبيعة علاقة العلماء بالسلطان بعد أن ذكر أقوال المفسّرين في تحديد من هم أولوا الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] وهل هم العلماء أو الأمراء، يقول: "والتحقيق أن الأمراء إنما يُطَاعون إذا أَمَرُوا بمقتضى العلم؛ فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعًا، كان صلاحُ العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك، وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل: من هم؟ قال: الملوك والعلماء، وقال عبد اللهَّ بن مبارك :

رأيْتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ ... وقد يـورث الذُّلَّ إدْمـانُهَا
وتَرْكُ الذنوبِ حياةُ القلوب ... وخَيـرٌ لنفسِكَ عِصْيَـانُها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكَ ... وأحْبارُ سوءٍ ورُهْبَانُهَـا"[2]

---

(١) **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي(ت٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيّام، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج٣، ص٤٥٩.

(٢) **إعلام الموقّعين عن رب العالمين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان و أحمد عبد الله أحمد، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ، ج٢، ص١٤-١٥؛ **حلية الأولياء**، ٨/ ٢٧٩.

وكان الخليفة الرشيد عارفًا للعلماء قدرهم رغم منهجهم في الاحتراز، ومُلِمًا بتبحّرهم وإتقانهم لعلوم الدين وأنهم رأسٌ في الدفاع بها عن حديث النبي صل الله عليه وسلم وشريعة الإسلام، فقد أخرج ابن عساكر أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح العباد منك. قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ما فيها حرف نطق به؟ قال: فأين أنت -يا عدو الله- من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفًا حرفًا!.[1] كما كان من إجلال الرشيد للعلماء إنصاته لنصحهم إنصات العارف بمقامهم من الدين والأمة، قال أبو معاوية الضرير(ت١٩٥هـ)-وكان من وُعّاظ الرشيد وملازميه-: حدثتُ هارون الرشيد بهذا الحديث، يعني قول النبي صلى الله عليه و سلم: "وددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل".[2] فبكى هارون حتى انتحب، ثم قال: يا أبا معاوية، ترى لي أن أغزو؟ قلت: يا أمير المؤمنين، مكانك في الإسلام أكبر، ومقامك أعظم، ولكن ترسل الجيوش. قال أبو معاوية: وما ذكرت النبي صلى الله عليه و سلم بين يديه قط إلا قال صلى الله على سيدي.[3] وقصد الرشيد بسؤاله مباشرة النزول إلى ميدان المعركة لا الغزو بصفة عامة، إذ ثبتت مداومته على الغزو طوال مدة خلافته.

ولم تقتصر معرفة الرشيد بالعلماء على الناحية الدينية فقط بل كان على دراية بعمقهم الاجتماعيّ، لا من حيث تأثيرهم على الجماهير فقط، بل من حيث انتماءهم لقبائلهم، وكان العلماء على درجة عالية من الاعتزاز بهذا العمق مع التجرّد من الاتكال عليه، ويظهر ذلك من الحوار الذي أسلفناه بين الرشيد وأبي إسحاق الفزاري حين عرض عليه الهبة فردّ عليه: "يا أمير المؤمنين، نحن أهل بيت وفي سعة، أنا رجل من ولد أسماء بن خارجة الفزاري"[4]، ولم

(1) تاريخ دمشق، ١٢٧/٧.

(2) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب التمنّي- بَاب مَا جَاءَ فِي التَّمَنِّي وَمَنْ تَمَنَّى الشَّهَادَةَ)، ج٩/ص٨٢.

(3) تاريخ بغداد، ١١/١٦.

(4) الجرح والتعديل، ٢٨٤/١؛ تاريخ دمشق، ١٣٠/٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

يكن هذا حدثًا منفردًا، إذ أخرج أبو نعيم بسنده عن سفيان بن عيينة قال: "قال هارون أمير المؤمنين لأبي إسحاق الفزاريّ: أيها الشيخ، إنك في موضعٍ من العرب. قال: إنّ ذلك لن يغني عنّي من الله شيئًا يوم القيامة".[1]

ولم يكن إجلال الخليفة وقادته للعلماء إلا جزءً من إجلال العامة لهم، إذ أخرج الخطيب بإسناده قال: قدم الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا ؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قدم. قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.[2]

ومن معرفة الرشيد بقدر العلماء أنه حين بلغه خبر وفاة الإمام ابن المبارك بهيت[3] عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م قال: مات سيّد العلماء.[4] وقال أيضًا : إنّا لله وإنا إليه راجعون، يا فضل: ائذن للناس يعزّونا في ابن المبارك، فأظهر الفضل تعجُّبًا، فقال: ويحك، أليس هو القائل:

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً   عَنْ دِيْنِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا
لَوْلاَ الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ   وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْباً لأَقْوَانَا

ثم قال: من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعِظَمِه في صدور العامة ولا يعرف حقّنا.[5]

وبتتبع هذه الإشارات نستطيع القول بأن علاقة علماء الثغور بالخليفة الرشيد وقادته كانت علاقة مبنيّة على التقدير المتبادل، فالرشيد موقّرٌ لمكانة العلماء محتفٍ بها حتى لو لم يجالسوه في بلاطه، والعلماء عارفون للسلطان مقامه بين المسلمين وإن آثروا عدم الاحتكاك به،

---

(1) حلية الأولياء، ٧/٢٧٨.

(2) تاريخ بغداد، ١١/ ٣٩٣.

(3) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة. ينظر: معجم البلدان، ٥/ ٤٢١.

(4) تاريخ بغداد، ١١/ ٤٠١؛ تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣٢/ ٤٧٦.

(5) تاريخ الإسلام للذهبي، ٤/ ٨٩٦؛ حلية الأولياء، ٨/ ١٦٤.

وإن وقع الخليفة أو أحد رجاله في خطأ انتقدوه دون أن يخافوا في الله لومة لائم. وفي ترجمة هذا المنهج يقول ابن المبارك رحمه الله: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.[1]



(1) تاريخ الإسلام، ٤/ ٨٨٩.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثاني: دور العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم.

تعتبر فترة الدراسة (١٧٠هـ-١٩٣هـ) من الفترات المبكّرة نسبيًا في التاريخ الإسلامي، وهي مع ذلك ترتكز على حشد هائلٍ من الحوادث المدوّنة في المصادر المتنوعة التي اختلفت رؤيتها وقضاياها المعالَجة.

ولّما كانت كتب التاريخ العام شاملة في موضوعاتها ورؤيتها؛ قلّ أن نجد فيها أخبارًا متعلقة بجهاد العلماء باستثناء ما انفرد به المسعوديّ في مروجه،[١] في حين نقف على عدد لا بأس به من هذه الأخبار في كتب التراجم والرجال والطبقات وتواريخ المدن التي اتّجهت إلى التخصيص أكثر من سابقتها. وبالرغم من أن الحوليات الإسلامية اهتمّت اهتمامًا دقيقًا بتسجيل أخبار الصوائف والشواتي في خلافة هارون الرشيد؛ إلا أنها اقتصرت على ذكر الصائفة وقائدها ونتائجها والخوض في تفاصيلها حسب أهميتها دون الإشارة إلى من شارك فيها من العلماء والفقهاء، مما أفقدنا سجلًا كبيرًا بأسمائهم ومشاركاتهم كان بإمكاننا مقابلته بالأخبار الواردة في كتب التراجم لتكوين صورة أشمل. ولم تكن هذه الأخبار في مختلف مظانّها دقيقةً في تحديد سنة الحدث، إذ تورد الأخبار في سياق تراجم أصحابها دون تعيين سنة المعركة أو قائدها ليتسنى مقارنتها بالحوادث المسجّلة زمنيًا.

ولابد أن نأخذ بالاعتبار فقدان المكتبة الإسلامية لكثيرٍ من المصنّفات المهمّة في هذه الفترة التي انبرى فيها العلماء للتدوين، ونقصان بعض ما وصل إلينا منها؛ واشتمال هذه المصنّفات على معلومات متعلقة بجهاد العلماء اطّلعنا على طرفٍ منها من خلال الكتب التي اقتبست منها، وإن قُدّر لهذه المصنّفات الوصول إلينا لاتّسعت معرفتنا بتفاصيل الحوادث.[٢]

---

(١) ٢٥٠/١.

(٢) ككتاب (**بغية الطلب في تاريخ حلب**) لابن العديم، الذي يعتبر مصدرًا مهمًا مشتملًا على تراجم المجاهدين والمرابطين ومن له صلة بالعواصم والثغور، وللأسف الشديد أنه وصل إلينا منقوصًا غير مشتملٍ على تراجم أغلب أعلام الجهاد كأبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وعلي بن بكار. وكتاب (**سير الثغور**) (لأبي عمرو الطرسوسيّ) وهو بحكم المفقود إلا أن الدكتور سهيل زكار استلّه من روايات ابن العديم عن أبي عمرو من بغية الطلب وطبعه مستقلًا. وكذلك (**كتاب النسب**) لأبي موسى هارون بن مُحَمَّد بن إسحاق بن عيسى الهاشمي وهو بحكم المفقود اقتبس منه ابن العديم رواية نادرة في ترجمة سالم البرنسي تعطينا تفاصيل لم ترد في غيره من المصادر.

على أنّ محدودية النصوص المتعلقة بجهاد العلماء ورباطهم في الثغور الشامية خلال خلافة الرشيد لا يعني بحالٍ أن الموضوع باهتٌ ومضطرب، بل على العكس تمامًا؛ إذ تقدّم لنا جملة الشواهد المستعرضة تصورًا واضحًا لدور العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم، وإسهامهم في المشاورات والمراسلات والفداء، وتأصيلهم لفقه الجهاد من خلال مصنفاتهم، مما يجعلنا مطمئنين إلى أن الدور الذي اضطلع به العلماء في حركة الجهاد الثغريّ كان دورًا بارزًا وقياديًا ظهر أثره جليًا في الفترة اللاحقة لجهادهم المتواصل حتى سقوط الثغور بيد الروم منتصف القرن الرابع الهجريّ.

- **موقع العلماء المجاهدين في الجيش العباسي:**

كانت الأمة الإسلامية في صدر الإسلام كلها مقاتلة إذا هدد الدولة خطرٌ أو دعا داعي الجهاد. وكان كل فرد قادر على حمل السلاح ومسجّل في ديوان العطاء يهبّ للانخراط في الحملة العسكرية. وعلى الرغم من وجود محاولات جادة خلال العصر الأموي لإدخال تغييرات جديدة في النظم العسكرية، فقد ظلّت المؤسسة العسكرية مرتكزةً على مبدأ (الأمة المقاتلة) لأن المقاتِلة لم يكونوا تحت السلاح على الدوام بل ينصرفون إلى أعمالهم ومشاغلهم في أوقات السلم. وكان أساس هؤلاء المقاتلة من القبائل العربية مع وجود وحدات من الموالي.[1]

واتّجه العباسيّون منذ بدء خلافتهم اتجاهًا جديدًا لتكوين نواة جيش نظاميّ من الجند الذين ليس لهم عمل آخر غير العسكرية. وكان المقاتلة العرب من أهل خراسان ومن انضمّ إليهم من مواليهم مادة هذا الجيش وجرى تسجيلهم في ديوان الجند حسب قراهم ومدنهم وأقاليمهم التي عاشوا فيها بخراسان لا حسب قبائلهم وأنسابهم، في محاولة للقضاء على العصبية القبلية التي مزّقت الجيش الأموي في أواخر أيامه. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نعتبر **الجيش العباسي أول جيش منظّم في تاريخ الدولة العربية الإسلامية**، ينتظم فيه الجنود كأفراد لا

(١) **تاريخ النظم الإسلامية-دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى**: فاروق عمر فوزي، ط١، دار الشروق، عمّان-الأردن ٢٠٠٩-٢٠١٠م، ص٤١٩.

كقبائل، وكان ولاؤهم للدولة التي تُعنى بتدريبهم وتموينهم المستمر وتجهّزهم شهريًا بعطائهم[1]

وتكوّن الجيش العبّاسيّ من عناصر متعددة من العرب من مضر وربيعة واليمن[2]، إضافة إلى الخراسانية [3]والموالي[4] والأبناء[5] والأتراك.[6]

فيما انقسمت فئات الجيش العباسي إلى خمس فئات:

١. **الجيش النظامي أو أهل الديوان.**

وهم الجند المثبتون في الديوان وتدفع لهم الرواتب من بيت المال ويتّخذون الجندية حرفة دائمة لهم منتشرين في المدن والقواعد العسكرية على امتداد الدولة. وعرفوا بالمرتزقة لأن أرزاقهم على الدولة. وكان الجيش العبّاسي جيشًا إسلاميًا بانضمام مجموعات عنصرية متوازنة يجمعها الدين والعقيدة والولاء للخلافة والهدف المشترك.[7]

---

(1) **النظم العسكرية –نشأة الجيش النظامي في الإسلام وتطوره حتى منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي:** فاروق عمر فوزي، (وقائع ندوة النظم الإسلامية-مكتب التربية العربي لدول الخليج- مج٢)، أبوظبي ١٩٨٤م، ص٢٤٩-٢٥٠.

(2) برغم أن القوة العباسية الضاربة كانت خراسانية (بالمعنى الجغرافي للكلمة) فإنّ الدولة لم تتوطّد إلا بالجيوش العربية قبلية التكوين التي التحقت بها وساعدتها في تثبيت أقدامها في أمصار العراق وغيرها. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٣٨/٨؛ **دولة بني العباس**، ٦٢١/١.

(3) يدخل في تسمية الخراسانية أهل الأحواز وفارس وكرمان ومكران وسجستان وقوهستان وخراسان من عناصر عربية وفارسية، وتتكون هذه القوة بشكل رئيسي من العرب من أهل خراسان الذين عاشوا في خراسان واختلطوا بأهلها وتكلّموا لغتهم الفارسية إلى جانب العربية، وكان أغلب قادة الجيش من هؤلاء العرب مثل: **قحطبة الطائي الجرجاني وخازم بن خزيمة التميمي المروزي وعبد الملك العتكي الجرجاني**. و ينظر: **تاريخ الطبري**، ٣٥٦/٧؛ **النظم العسكرية**: فاروق عمر فوزي، ص٢٥٤-٢٥٥و٢٥٩؛ **الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ**: محمّد عبد الحفيظ المناصير، ص١٠٨.

(4) وهم مزيجٌ من أجناس عديدة يربطها بالخليفة أو أمراءه وقادته ولاء الإخلاص الذي تضعه فوق كل اعتبار، وقد تقلدوا عددا من المناصب السياسية والعسكرية كالربيع بن يونس والحسن الوصيف، إضافة إلى الموالي في كافة أرجاء الدولة من عرب وعجم. ينظر: **الجند الأموي و الجيش العباسي دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي و العباسي**: فاروق عمر فوزي، مجلة المورد، مج٨، ع٤، العراق ١٩٧٩م، ص٢٤٠-٢٤١.

(5) ظهر هذا المصطلح ضمن تشكيلات الجيش في أواخر عهد المهدي وأيام الهادي والرشيد، ويُطلق على أبناء وأحفاد أهل خراسان من جند الدعوة العباسية، وبما أن أهل خراسان مزيجٌ من العرب والعجم كان الأبناء كذلك، وقد ورث بعضهم مراكز آبائهم في القيادة والجيش، فمن العرب مثل عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي، ومن العجم يحيى بن خالد البرمكي. ينظر: **الجند الأموي و الجيش العباسي**، ص٢٤٢.

(6) دخل الترك الجيش العباسي من باب الموالي والولاء لكنه تضخّم بعد عصر المعتصم وما تلاه حتى ابتلع الدولة في بعض الفترات. ونجد بدء ظهور قياداتهم في عصر الرشيد فأبو سليم فرج الخادم التركي هو الذي بنى طرسوس للرشيد، ومسرور الخادم رافق هرثمة بن أعين إلى الروم سنة ١٩١هـ. ينظر: **تاريخ الطبري**، ٣٢٣/٨؛ **فتوح البلدان**، ص١٧٠؛ **دولة بني العباس**، ٦٢٧/١.

(7) **ديوان الجند–نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون–**: عبد العزيز عبد الله السلومي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٣٩؛ **الجيش في العصر العباسي الأول**: محمّد المناصير، ص١٣٢-١٣٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

٢. **جيش المتطوعة**. وهم المقاتلون الذين انضموا للقتال إلى جانب الجيش النظامي إيمانًا بواجبهم في الجهاد في سبيل الله. ولم يكن هؤلاء من أهل الديوان بل من أهل المدن والأمصار من شتّى الأقاليم الذين خرجوا إلى النفير تلبية لنداء الخليفة أو الوالي إذا ندبهم.(١)

٣. **الأتباع**. وهم الذين يأتون إلى الحرب تبعًا لأسيادهم وأصحابهم أو نيابة عنهم وقد يأخذون أرزاقًا، لكن ليس لهم رواتب مقررة من ديوان الجند وإنما يكون ذلك على أصحابهم لأنهم ملكٌ لهم.(٢)

٤. **المرابطون في الثغور** سواءً من الجند النظاميّ أو المتطوّعة. وقد قسّم العبّاسيون الجنود المرابطين في الثغور إلى أربع فئات:

أ. **الفروض**: وهي قوات الجيش النظاميّ المستقرّة في الثغور ولها عطاؤها المقرر في الديوان.(٣)

ب. **البعوث**: وهم الجنود الذين يُعهد إليهم بالذهاب إلى الثغور من جميع أقاليم الدولة بصورة دورية، ليشدّوا أزر الفروض المستقرّة في الثّغر حين لا تكفي قواتها لبعض المهام الكبرى أو الطوارئ الجسيمة.(٤)

ج. **النُّدبة**: وهم جندٌ يُختارون بشكل خاص لميزة فيهم وتوكل إليهم مهام استثنائية.(٥)

د. **المتطوّعة**: وهم المرابطون في الثغور والقائمون بالجهاد ممن لا فيء لهم من عامّة الناس، وليسوا مسجّلين في ديوان الجند، وعطاؤهم من سهم (في سبيل الله). وبهدف التمييز بين

---

(١) ديوان الجند، ص٣٤٠.

(٢) ديوان الجند، ص١٣٧.

(٣) الجيش في العصر العباسي الأول، ص١٣٨.

(٤) الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ٢/ ٢٦٦.

(٥) الجيش في العصر العباسي الأول، ص١٣٨؛ الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ٢/ ٢٦٦.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

الجنود النظاميين والمتطوّعين كان على أمير الجيش أن يجعل على كل فئةٍ منهم عرفاء ونقباء،.[1] وإلى هذه الفئة انتمى كلّ علمائنا المجاهدين والمرابطين.

وكان للمرابطين بالثغور الشامية دورٌ واضحٌ في المعارك التي جرت بين المسلمين والبيزنطيين، فقد ذكرت المصادر اشتراك كافة عناصر الجيش وفئاته في فتح هارون الرشيد لمدينة هرقلة عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، وأنه دخل بلاد الروم في عدد ضخم بلغ "مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق؛ سوى الأتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له".[2] وكان للمتطوعة أثرٌ محمود في الثغور فإما أن يجعلوا من قبل القادة في نهاية الجناحين من الجيوش النظامية؛ ليكون واجبهم الإيقاع بجناحي العدو دون الاختلاط أو التأثير على الجند النظاميين، ولا يخفى ما في ذلك من الضبط العسكري. وإمّا أن توكل إليهم الإغارة على العدو قبل نشوب المعركة لإزعاجه في قواعده وعرقلة تجمعاته وتخريب مدخراته وقطع مواصلاته، كما قد يوكل إليهم مطاردة العدو عند تقهقره.[3] وبلغ من شدّة إيقاع أهل الثغور بالروم أن أفردوا سجنًا بالقسطنطينية خاصٌّ لأهل طرسوس، غير السجن الذي يُحبس فيه غيرهم من المسلمين.[4]

وعلى الجانب المقابل من الدولة البيزنطية كانت منطقة الحدود مع المسلمين وخصوصًا عند ممرات الأبواب القيليقية مستقلّة عن نظام الثيمات المتّبع في تقسيم ولايات الإمبراطورية، حيث أُبقيت تحت وجودٍ عسكريّ دائم بمسمّى حكومات الأطراف (كيلرجيات -Kleiourachies)، اتخذ قادتها من الاجراءات والتدابير ما يستطيعون به الدفاع عنها مستقلين عن قادة الثغور الكبيرة كالأناضول وكبادوكيا. ولما ازدادت حدّة الإغارات الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلادي؛ دعمت الدولة تلك

---

(١) الجيش في العصر العباسي الأول، ص١٠٠-١٠١.

(٢) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٢٠.

(٣) الجيش في العصر العباسي الأول، ص١٣٥؛ الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ٢/ ٢٧١.

(٤) الأعلاق النفيسة لابن رستة، ص١٢٠.

الجهات بحاميات من المتطوّعين عُرفوا بالأكريتاي Akaritai أي (حُرّاس الحدود)، ومهمتهم مساعدة قادة الثغور في التصدّي لغارات المسلمين. وقد نهض هؤلاء المتطوّعون بعبء حربيّ هائل ومتواصل في مناطق الحدود حرّكتهم فيه الحماسة الدينية والوطنيّة، وإليهم ينسب بطل الملحمة البيزنطيّة القومية الشهيرة ديجينيس أكريتاس- Digenis Akritas الذي قُتل في إحدى معاركه مع المسلمين عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م في خلافة الرشيد.(١)

وهكذا تكونت على الجانبين الإسلامي والبيزنطي سلسلةٌ من مراكز الدفاع المحصّنة التي يقوم على حراستها الجنود النظاميّون والمتطوّعون، الذين أظهروا فيما وصلنا من أخبارهم شجاعةً وبسالة منقطعي النظير وهم يذودون عن أرضهم مندفعين بأهدافٍ دينية أو شخصية. ولاشك أن هذا التجاور والاحتكاك الدائم وما أولده من علاقات مباشرة في أوقات السلم والحرب قد أثّر على تخوم العالمين الإسلامي والمسيحيّ اجتماعيًا وعسكريًا وحضاريًا.(٢)

- **سُبل النفير والاستعداد للحرب.**

"لكم جرت الدماءُ فوق كلّ قدمٍ من أرض الثغور طوال أيام الأمويين والعباسيين ..إنّ الدماء قلّ أن خضبت أرضًا في آسيا كما خضبت هذه الأرض! بل وربما لم تسل الدماء على حدود الرين وسهول لومباردي بهذا القدر".(٣)

بمثل هذه العبارات وصف المؤرخون ضراوة المعارك التي دارت-ولا تزال تدور- في هذه الرقعة الجغرافية الاستراتيجية التي تداولتها الأيدي مرارًا وتكرارًا على مدى التاريخ، وكان طرفي الصراع في عصرنا هذا: الخلافة العباسيّة في أوج قوّتها والإمبراطورية البيزنطية في مرحلة من أشدّ مراحلها اضطرابًا. والعبّاسيّون لم يكونوا فُرادى وهم يندفعون إلى قلب آسيا الصغرى

(١) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص١٩٢؛ **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: محمد حسنين ربيع، ص١٢٧؛ **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان، ١/ ٩٩.

(٢) **هارون الرشيد**: أندري كلو، ص١٧٩.

(٣) **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان، ٢/ ٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

بحيوية فائقة؛ بل ضمّت جيوشهم الجرارة كل فئات المجتمع آنذاك قاطعين أراضي الروم طولًا وعرضًا، وانتظمت حركةُ الجهاد الإسلاميّ في الثغور الشاميّة خلال حكمهم بصورة أكثر استقرارًا وثباتًا.

ومن أوجه هذا الانتظام ما كان يجري في مدن الثغور الشامية أثناء الأوقات التي كانت تعيش فيها أقصى درجات الاستعداد الحربي والتهيؤ للقتال، والتي كان يتحدد فيها دور كل فئة من فئات السكان، تلك الأوقات هي أوقات النفير العام أو الدعوة المفاجئة لأمير المدينة وقادتها وفرسانها ورجالتها ومتطوعتها للخروج إلى الغزو أو التصدي لهجوم العدو في أي منطقة من مناطق الثغور. وقد روى أبو بشر العطار مشاهداته في هذا الباب إذ يقول: كنت بطرسوس فوقع النفير، فلما قربنا من الجوزات سمعت أصوات حراسها فوق السطوح يكبرون بأنواع التكبير والتحميد ما سمعت بمثلها في حسن الصوت والهيئة والتعظيم لذكر الله عز وجل.[1] وقد قدّم لنا القاضي الطرسوسيّ صورة لما كان يجري في أوقات النفير في مدينة طرسوس خلال القرن الرابع الهجري، وإن كانت صورة متأخرة إلا أنها تدلّ على دقّة المثاغرين أثناء الاستعداد المفاجئ.

كان إذا وقع النفير في أي وقت من أوقات الليل والنهار فإن أول عمل يقوم به المسؤولون عن المدينة هو إغلاق جميع أبواب المدينة ما عدا الباب الذي تقرر خروج النفير منه. وكان هذا الباب هو أقرب أبواب المدينة إلى الجهة التي سيقصدها الغزاة، وتوضع مفاتيح الأبواب كلها عند صاحب الشرطة، فيما يتمركز هو ورجاله والمحتسب ورجاله طوال مدة النفير عند الباب الأول الذي يلي الباب الذي يخرج الناس منه إلى النفير. وفي نفس الوقت الذي تتم فيه هذه الخطوات كان المحتسب يركب ومعه رجالته يجوبون الشوارع كلها ينادون بأعلى أصواتهم أجمع، صوتاً واحداً، يقولون: "النفير يا أصحاب الخيل والرجالة، النفير حملكم الله إلى باب الجهاد..أو إلى أي باب اتفق" فإن كان ذلك نهاراً انضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان،

(١) بغية الطلب، ١٠/ ٤٣٣٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

وساعدوهم على النداء بالنفير وحضّ الناس على المسير في أثر الأمير. وإذا طال أمر النفير يتردد المحتسب في الأسواق يحثّ الناس على التوجّه إلى النفير، فلا يزال الأمر على هذا حتى يعود السلطان إلى دار الإمارة.[1]

- **مشاركة العلماء في العمليات العسكرية ضد الروم.**

- **مشاركة العلماء المجاهدين في غزوة القُفْل.**

انفرد ابن العديم بإيراد نصٍّ نفيس متعلّقٍ بإحدى غزوات هارون الرشيد إلى بلاد الروم، شاركهُ فيها جملةٌ من العلماء والقادة المشهورين. وقد أورد خبر هذه الغزوة في ترجمته للقائد العبّاسيّ: سالم البرنسي[2] الذي "ولي المصيصة في أيام المهدي، وكان من الشجعان المذكورين في الحرب، وأُلي الآراء والغناء، ولم يزل ساكناً في الثغور مجاهداً في سبيل الله، وكان مخلد بن الحسين، وأبو اسحق الفزاري يعتمدان عليه، وله خبر مع الرشيد في الغزاة التي غزاها وهو خليفة".[3]

- أهمية النص:

تأتي نفاسة هذا النص من انفراد ابن العديم به إذ لم يرد في أيّ مصدر آخر، وتظهر أهميته بتحليله سندًا ومتنًا، إذ نقله ابن العديم عن كتاب مفقود اسمه (كتاب النسب) للأمير أبي موسى هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس الهاشميّ الكوفيّ، وقد وَلِيَ أبو موسى مكّة والمدينة والطائف للخليفة العبّاسيّ

(١) **بقايا كتاب سير الثغور من خلال مخطوطة بغية الطلب لابن العديم**: القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي، تقديم ودراسة: شاكر مصطفى، ص٤٠-٤١؛ **بغية الطلب**، ١/ ١٨٨؛ **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص١٥٩؛ **حياة الناس في مدن الثغور- مدينة طرسوس-**: مصطفى علي الحياري، مجلة دراسات تاريخية، ع٤، سوريا ١٩٨١م، ص٩٢.

(٢) عند المسعودي (سالم البرلسي البربري مولى بني العباس)، أورده في خبر الفداء الذي جرى بين المسلمين والروم عام ١٨٩هـ. ينظر: **التنبيه والإشراف**، ص١٦٠.

(٣) ٩/ ٤١٧٦-٤١٧٧.

المعتمد على الله[1] (٢٥٦-٢٧٩هـ)، وكان إمام الناس في الحجّ خمسة عشرَ عامًا من سنة ٢٦٤هـ حتى ٢٧٩هـ، وسَمِعَ وحدَّثَ وكان ثقة عدلًا شريفًا نبيلًا، ألّف كتاب (نسب العبّاسيين)، وانتقل من مكّة إلى مصر وبها توفّي عام ٢٨٨هـ وله بها عقِب.[2]

ولهارون بن محمد روايات متفرقة في تاريخ بغداد أوردها الخطيب بسنده ونقلها عنه غيره تتعلّق كلّها بأخبار الخلفاء العباسيين وتواريخ ولادتهم ومبايعتهم ووفاتهم وشيئا من صفاتهم وأخبار دولتهم،[3] ويبدو أن الكتاب الذي ذكره ابن حزم أنه من تأليف أبي موسى (نسب العباسيين)[4] هو ذات الكتاب الذي نقل عنه ابن العديم هذه الرواية لاختصاصه بذكر تفاصيل لم ترد عند غيره؛ كونه أحد أفراد الأسرة الحاكمة من ناحية، ولاتصاله المباشر بدوائر الحكم باعتباره أحد ولاة العباسيين، وهو بذلك يسهل له الجمع بين الرواية الشخصية والسياسية في آن واحد، وهو ما يعطي نقل ابن العديم عنه أهمية كبيرة.

وبالنظر إلى سند الرواية نجد أن ابن العديم يوثّقه كالتالي: "ذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى الهاشمي في كتاب النسب، وقرأته في كتابه قال: حدثني محمد بن حماد المصيصي، مولى المهدي، قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان بن زياد المصيصي عن أبيه قال: خرجنا مع أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزاة من المصيصة...".[5]

(١) هو الخليفة الخامس عشر في ترتيب خلفاء الدولة العباسية، **أحمد المعتمد على الله** بن جعفر المتوكّل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهديّ بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس. مكث في الخلافة ثلاثًا وعشرين سنة (٢٥٦-٢٧٩هـ)، وهو أول خليفة انتقل من سامراء إلى بغداد وبها توفيّ غير أنه دفن بسامراء. ينظر: **البداية والنهاية**، ٧/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) **تاريخ الطبري**،١٠/ ١٧؛ **مروج الذهب**، ٤/ ٣٢٣؛ **الكامل لابن الأثير**، ٦/ ٣١٤؛ **جمهرة أنساب العرب لابن حزم**، ص٣٢-٣٣؛ **المنتظم لابن الجوزي**، ١٢/ ٤٢٠؛ **تاريخ الإسلام للذهبي**، ٦/ ٨٤٢؛ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**: محمد بن أحمد بن علي تقي الدين المكي الحسني الفاسيّ(ت٨٣٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٢٧.

(٣) ترد هذه الروايات إما باسمه الصريح أو بكنيته (أبي موسى)، ينظر على سبيل المثال: ٢/ ٤٧٥ و٤/ ٥٥٥ و١٥/ ١٩ و١٦/ ٩-٢٢.

(٤) **جمهرة أنساب العرب لابن حزم**، ص٣٢-٣٣

(٥) ٩/ ٤١٧٧.

فنلاحظ أن أبا موسى روى خبر هذه الغزوة عن أشخاص لهم علاقة مباشرة بالخليفة أو الحدث؛ إذ يرويها عن محمد بن حمّاد المصّيصيّ –مولى الخليفة المهديّ- وإن كانت كتب التراجم والرجال لا تقدّم لنا أي معلومة عن هذا الراوي؛ إلا أننا نستشفّ من نسبته إلى مدينة المصيصة ارتباطًا بمكان الحدث يسمح له بالوقوف على أحوال الثغر وأخباره وروايته عمن عاصره، وينسحب هذا الارتباط أيضًا على بقية رجال السند باعتبار النِّسبة. وإلى جانب ذلك كان المصّيصيّ مولى للخليفة المهديّ، وكان لموالي الخلفاء العباسيين منزلة خاصّة في علاقتهم بالخليفة تمكّنهم من الاطلاع المباشر أو شبه المباشر على مُجريات الحوادث.

ويرويها المصّيصيّ عن إبراهيم بن عثمان بن زياد المصّيصيّ الذي يرويها بدوره عن أبيه المشارك في الغزوة، وهنا أيضًا لا تقدّم لنا المصادر معلومات عن إبراهيم أو عن أبيه، لكننا نستطيع أن نظفر باسمه منثورًا في مجموعة من المصادر التي اشتملت على روايات له عن عبد الله بن المبارك ومخلد بن الحسين، كحلية أبي نُعَيْم،[1] وأصول الاعتقاد للالكائيّ،[2] والتمهيد لابن عبد البر القرطبي،[3] والبعث والنشور للبيهقي.[4]

وذكر المزّي في تهذيب الكمال إبراهيم بن عثمان بن زياد المصّيصيّ ضمن شيوخ المحدّث (محمد بن داوود بن صبيح المصّيصيّ)، الذي وثّقه ثمّ نقل عن أبي داوود صاحب السنن قوله في محمد المصّيصيّ: "كان محمد بن داوود بن صبيح يتفقّد الرجال..وما رأيت رجلًا قطّ أعقل منه".[5] ويدلّنا هذا على عدالة إبراهيم وتوثيقه إذ لا يروي الثقةُ المتفقِّدُ لرجال سنده إلا عن

(1) ٨/ ١٨٣.

(2) ١/ ١٥٦.

(3) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، ١٣٨٧هـ، ج١، ص٢٨٧.

(4) **البعث والنشور**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ١ط، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٥٩.

(5) ٢٥/ ١٧٦.

ثقة مثله، كما يكون التوثيق بهذا الاعتبار جاريًا على عثمان بن زياد المصّيصيّ والد إبراهيم المشارك في الغزوة كأحد متطوّعي الثغر والراوي الأول لحوادثها.

- **متى حدثت غزوة القفل؟**

لم يحدد ابن العديم ولا أبو موسى الهاشميّ تاريخًا لها، لكن الثابت أنها كانت في خلافة الرشيد إذ يقول ابن العديم في معرض ترجمته لسالم البرنسي: "وله خبر مع الرشيد في الغزاة التي غزاها وهو خليفة"،[1] كما ينقل عن عثمان بن زياد المصيصي قوله: "خرجنا مع أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزاة من المصيصة"،[2] وتكررت مخاطبة المشاركين في المعركة للرشيد بأمير المؤمنين.

ربما نستطيع أن نضع هذه الغزوة في سياقها التاريخي التقريبي بمقارنة حوادثها مع استراتيجية الرشيد في غزواته بنفسه أيام خلافته، مع النظر إلى أحوال الدولتين العباسية والبيزنطية خلالها.[3]

كان على عرش القسطنطينية في أول خلافة الرشيد الإمبراطورة إيرين Irene وصيّة على ابنها قسطنطين السادس Constantine VI من١٧٠هـ وحتى ١٧٤هـ، ثمّ انفرد قسطنطين بالسلطة من ١٧٤هـ وحتى ١٨١هـ/ ٨٩٠-٧٩٧م، وكانت أمه إيرين في هذه الفترة قسيمةً له في الحكم، وخلال هذه الفترة تراجعت قوة الجيش البيزنطي لصدّ هجمات المسلمين، إذ انشغلت إيرين بأوضاعها الداخلية وكان همها الأكبر أن تظلّ امبراطورة من الناحية الرسمية والفعلية، وأضعف الانقسام الذي حدث بينها وبين الجيش قدرة الدولة الدفاعية -وإن لم يقضِ عليها-.[4]

---

(١) ٩/ ٤١٧٦-٤١٧٧.

(٢) ٩/ ٤١٧٧.

(٣) تفاصيل هذه الغزوات في الفصل الأول-المبحث الثاني من هذه الرسالة، ص

(٤) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، ص١٢٣؛ **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٢٥-٢٢٦.

وفي هذه الفترة المضطربة خرج الرشيد بنفسه لغزو الروم ثلاث مرات:

١. ١٧٠هـ/ ٧٨٦م غزا فيها أطراف الروم،[١] دون أن تحدد المصادر نتيجة الغزو، وربما كان نوعًا من تثبيت القوة في بداية مبايعة الرشيد للخلافة.

٢. ١٨٠هـ/ ٧٩٦م أقام الرشيد بجيشه في الرّقة شهرًا يعدّ نفسه للغزو، ثمّ اتّجه إلى بلاد الروم وفتح مدينة (معصوف) وأسر وغنم ثم عاد إلى الرقة مرة أخرى.[٢] وهذه المدينة لم يرد تحديد موقعها في كتب البلدان مع أن المصادر التاريخية وثّقت فتحها في هذا العام.

ولعلنا نتساءل عن طبيعة هذه الغزوة التي تمّ الإعداد لها لمدة شهر كامل ثمّ انتهت بفتح مدينة غير معروفة! ويزيد التساؤل إذا أخذنا بعين الاعتبار أمرين هامّين: أولهما: أن الرشيد كان قد انتقل في نفس هذه السنة إلى مدينة الرّقّة واتخذها عاصمة له بدل بغداد، وكان أحد أهدافه في ذلك أن يدير معارك الثغور عن كثب. وثانيهما: أنه أحكم دفاعات منطقة الثغور عسكريًا وإداريًا، واستقرّت تحصينات طرسوس والمصيصة وكفر بيا عام ١٧٢هـ، وبنى في هذا العام ١٨٠هـ مدينة عين زربة[٣] التي تشكّل مع سابقاتها خط الثغور المتقدّم. ويبدو أن الرشيد باقترابه من الجبهة البيزنطية وتعزيزه لمناطق الحدود الخلفية والأماميّة كان يرمي إلى أبعد من معصوف، وربما أراد استغلال ضعف الدولة البيزنطية في إحراز تقدّم مباشر نحو فتح القسطنطينية أو الاقتراب منه على الأقل. ومما يقوّي هذا الاحتمال خطة الغزو التي سار عليها في العام التالي مباشرة.

---

(١) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٣٤؛ **البداية والنهاية**، ٧/ ١٤٨.

(٢) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٦٦؛ **المنتظم لابن الجوزي**، ٩/ ٤٨؛ **الأخبار الطوال**، ص٣٩٠.

(٣) **فتوح البلدان**،١٧٠-١٧١؛ **الخراج وصنعة الكتابة**، ص٣١١؛ **بغية الطلب**، ١/ ١٦١و١٦٧؛ **الأعلاق الخطيرة**، ج١، القسم الثاني، ص١٥٧؛ **الثغور البرية الإسلامية**: عليّة الجنزوري، ص٦٢.

٣. غزا الرشيد الروم عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م وافتتح حصن الصفصاف عنوة، كما أرسل القائد العباسي عبد الملك بن صالح فافتتح مطمورة وأنقرة.[١] وهذا يعني أن الرشيد كثّف هجومه باتّجاه الشمال الغربي على محورين؛ إذ فتح هو حصن الصفصاف المقابل للمصيصة من بند كبادوكيا في حوض المجرى الأعلى لنهر جيحان، ثم وجّه عبد الملك بن صالح إلى الشمال منه حيث مطمورة، والمطمورة إما أن تكون التي أشار إليها البلدانيون بأنها بلد من ثغور الروم بناحية طرسوس،[٢] أو أنها نسبة إلى المطامير التي كانت تكثر في قيليقية جنوب جبال طوروس وفي إقليم كبادوكيا، وهي مجموعة الكهوف الأرضية التي كانت ملجأً لأهالي الإقليم في أوقات الحرب.[٣] ومهما كان الأمر فإن عبد الملك بن صالح اخترق كبادوكيا ضاربًا نحو الشمال إلى بند البقلار حيث أنقرة وافتتحها.

ومن جهة أخرى، لم أقف على طلب من الإمبراطور قسطنطين السادس Constantine VI لهدنة أو صلح؛ مع أن وضع الدولة البيزنطية لم يكن قادرًا على تحمّل الضغط الإسلامي المخترق لجوف أملاك الروم، وربما يرجع هذا إلى ما اشتهر به قسطنطين من طيش وعناد وانعدام للحنكة السياسية التي يتطلّبها منصبه، إضافة إلى سيطرة أمه شبه الكاملة على مقاليد الحكم. وكانت لدى قسطنطين رغبة فعلية في التصدي للمسلمين إذ لما علم بخروج الرشيد في هذا العام ١٨١هـ/ ٧٩٧م سار من القسطنطينية للقائه لكن أمه التي كانت تطمع بالعرش خافت أن ينتصر ابنها على المسلمين فيقوى مركزه، فتآمرت عليه مع قائدها (استوراكيوس) الذي أشاع أن العباسيين تراجعوا فعاد قسطنطين إلى عاصمته[٤] ثم انقلبت إيرين Irene على ابنها وسملت عينيه وأزاحته عن العرش وانفردت هي به منذ عام ١٨١هـ.

(١) تاريخ الطبري، ٨/ ٢٦٨؛ الكامل، ٥/ ٣١٥؛ الأعلاق الخطيرة، ١/ ٢٤٢.

(٢) معجم البلدان، ٥/ ١٥١.

(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية، ٢/ ١٧٩.

(٤) دولة بني العباس، ٢/ ٣١٣.

إذًا، في مقابل غزوات الرشيد النوعية انتهج قسطنطين المواجهة وإن لم تُقدّر له، في حين انتهجت أمه منذ كانت وصية عليه سياسة الموادعة والمهادنة، كما هرعت إلى طلب الصلح من الرشيد بعد صائفة عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م التي وصل فيها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح إلى أفسوس على ساحل إيجة، وأجابها الرشيد إلى ذلك.(١)

أما في النصف الثاني من خلافة الرشيد فقد استمرت إيرين Irene بدفع الجزية حتى ردّ لها نقفور الجريرة وانقلب عليها عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م. وظلّ على رأس السلطة إلى وفاة هارون رحمه الله عام ١٩٣هـ.(٢) ورغب نقفور Nicephorus I ذو العقلية الاقتصادية أن يمحو العار الذي لحق بدولته في الداخل والخارج أكثر من عشرين عامًا لكنه لم يُحسن ترجمة رغباته هذه، وأشعل حربًا ضارية مع المسلمين لم يستطع مواجهتها أو إخمادها طوال السبع سنوات الأخيرة من خلافة الرشيد، وتركّزت معظم جبهات المعارك حول مدينة هرقلة حتى فتحها الرشيد وخرّبها عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، إلا أن نقفور رغم ذلك لم يكن يغامُر بدولته وعاصمته أبدًا لعلمه بعدم قدرته وجيشه على مواجهة الرشيد، وكلّما جنى عليه تهوّره ورأى الرشيد يتوغّل في بلاده سارع إلى طلب الصلح والموادعة.(٣)

لماذا ورّط نقفور نفسه إذًا؟ هل كان يخشى أن يشنّ الخليفة العباسي -وهو إذ ذاك في ذروة عزّته- حملة واسعة على القسطنطينية؟ لا شك أن نقفور كان على بينة من الخطر المحدق به، وأراد بإلحاحه في استفزاز جيوش العباسيين وجيشُه في حالة لا يحسد عليها الوصول إلى غاية مهمة؛ إذ أراد أن يقتنع العباسيون أن محاولات الغزو عبر بلاد كبلاد الأناضول قساوة ووعورة مجازفاتٌ باهضة التبعات، وأن مقاتليه المجنّدين على جغرافية المكان قادرون على

(١) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٢٦٩؛ **الكامل**، ٥/ ٣١٧؛ **الأعلاق الخطيرة**، ١/ ٢٤٢.

(٢) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص ٢٢٨و٢٣٤؛ **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران، ص١١٧.

(٣) تفاصيل علاقة الرشيد ونقفور وما تخللها من حرب وسلم نوقشت في الفصل الأول-المبحث الثاني. ص

تكبيدهم أمرّ الخسائر. كما أراد أن يثني عزيمة الخليفة أو يأخّره عن شنّ حملة واسعة النطاق باتجاه الغرب والشمال الغربي.(١)

ويبدو أن انشغال الرشيد بفتن العصبية القبلية بالشام، وإقرار البيعة لولديه الأمين والمأمون، وخروج رافع بن الليث بخراسان ومن انضم إليه من الترك والفرس والتبت على ظلم واليها علي بن عيسى بن ماهان،(٢) لعل هذه الظروف التي كان على الرشيد أن يتعامل معها في أوقات متقاربة حالت دون استكمال ما بدأه من خطوات جادة على الجبهة البيزنطية.

وبعد هذا التحليل نجد أن الرشيد استشرف في خططه العسكرية نحو التوغّل بنفسه في بلاد الروم خلال عامي ١٨٠ و١٨١هـ، ونلحظ من سيْر غزوتيه هاتين أن محاور هجومه على أرض الروم لم تكن عشوائيةً (معصوف-الصفصاف-مطمورة-أنقرة) بل كانت تتجه في خط مباشر نحو الشمال الغربي، والغالب أن رغبة شديدة كانت تحدو الرشيد لفتح القسطنطينية التي لم تكن بالبعيدة عنه ولا يفصلها عن أنقرة سوى ٣٥٠ كم. وبين هذين العامين يمكن أن نرجّح وضع غزوة القفل في سياقها التقريبي، إذ اقتربت من العاصمة البيزنطية من محورٍ مكمّلٍ لهذا الاتجاه كما سنرى.

- **حوادث معركة القُفل:**

ينقل لنا ابن العديم تفاصيل الحادثة عن عثمان بن زياد المصيصيّ يقول: "خرجنا مع أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزاة من المصيصة، فلما صرنا في غمار عسكره(٣) كان يبلغه أخلاطنا بالجند ومنازعتنا إياهم في المنازل، فعزل عسكرنا من عسكره، وعرضنا فبلغ أهل المصيصة ومن ضوى إليهم ألفين وثمانمائة ونيفاً على السبعين، وبلغ أهل أذنة ثمانمائة ونيفاً على الثمانين، وبلغ أهل طرسوس ألف وستمائة ونيفاً وأربعين".(٤)

---

(١) **هارون الرشيد**: أندري كلو، ص١٨٨.

(٢) **الأخبار الطوال** للدينوري، ٣٨٧-٣٩١؛ **تاريخ اليعقوبي**، ٢/٣٥٥-٣٦٣؛ **تاريخ الطبري**، ٨/٢٥١و٢٦٢.

(٣) في جمعه المتكاثف المزدحم. ينظر: **لسان العرب** (غ م ر)، ٥/٣٠.

(٤) ٩/٤١٧٧.

ويبدو أن مدينة الرقة كانت نقطة انطلاق الرشيد لهذه الغزوة، وانضمّ إليه حال وصوله إلى المصيصة جمع كبيرٌ من متطوّعة الثغور الشامية من المصيصة وأذنة وطرسوس بلغ عددهم حوالي ٥٤٠٠ مجاهد. وبعد خروج الجيش من قواعد الثغور الأمامية حرص الرشيد على استعراض جيشه قبل المعركة للتأكد من جاهزية الجيش القتالية وحسن تدريب أفراده، ولرفع الروح المعنوية لجنده بإظهار اهتمامه المباشر بأحوالهم.[١] ويتبين لنا من عدد متطوّعة الثغور الشامية ما كان عليه المثاغرون من استعداد دائم للنفير، والثقل الذي مثّلوه كأحد فئات الجيش العباسي.

والظاهر أن الرشيد لم يحشد هذا العدد الهائل من الجنود إلا لتحرّك استراتيجيّ واضح، ونقرأ في خطّة مسير الجيش العبّاسي شيئًا من هذه الاستراتيجية، إذ توجّه بعد خروجه من المصيصة نحو الشمال الغربيّ عابرًا ممر الأبواب القيليقية إلى أن وصل (طوانة) التي اتخذها قاعدة عسكريّة متقدّمة، وأقام الجيش فيها ثلاثة أيام جاءت خلالها السرايا الاستطلاعية للرشيد بأخبار العدو "فأخبروه خبر الطاغية، وأنه لا جمع له".[٢]

لا مقاومة إذًا من الجانب الروميّ أمام التوغّل العبّاسيّ، كما أنه لا استعداد عسكريّ كافٍ لمواجهته. ولعل انقسام الجيش البيزنطيّ إثر صراع إيرين Irene وابنها قسطنطين السادس أثّر على جاهزيته، وخصوصًا على القوات المرابطة في سائر ثغور آسيا الصغرى التي ناصرت قسطنطين وطالها كثيرٌ من اختلال السياسة،[٣] وهذا مما يرجّح وقوع غزوة القفل في أحد عامي ١٨٠هـ-١٨١هـ، وإن افترضنا وقوعها خلال حكم نقفور لم يستقم ذلك؛ لأنه

(١) **الجيش في العصر العباسي الأول**، ص٢٣٩؛ **الإدارة أو التنظيم الإداري في العصر العباسي**: روكس بن زائد العزيزي، مجلة الأقلام، ع٨، العراق ١٩٦٦م، ص٨٧.

(٢) ٩/ ٤١٧٧.

(٣) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٢٥-٢٢٦؛ **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران، ص١١٥.

اتخذ منذ توليه السلطة خطوات لإصلاح نظام الدفاع العسكري[1] أعادت للجيش البيزنطيّ شيئًا من التوازن الذي يمكّنه من اعتراض تقدّم الجيش العبّاسي عبر الأبواب القيليقية أو مناوشته على الأقل، وهو ما لم يحدث.

استمرّ الرشيد في تقدّمه دون مقاومة وفتح في طريقه "ثلاثًا وعشرين حصنًا"،[2] وكان تراجع البيزنطيين إلى عمقهم وإفساح الطريق لتقدّم المسلمين عملًا مقصودًا من قبل قسطنطين السادس Constantine VI لأنه "وجّه إلى البطارقة الذين في ناحية الضواحي فجمعهم ورجالهم، حتى عسكروا على خليج القسطنطينية، والناس يتحدثون أن الطاغية يريد لقاء هرون".[3]

وهكذا قرر قسطنطين المواجهة وهو بذلك يغامر بعاصمته ودولته، لكنه أراد استدراج الجيش العبّاسي إلى قلب الأناضول الوعِر ليسهل القضاء عليه. كما قرر الرشيد مطاردة عدوه مهما كان العمق الذي يتراجع إليه، فأكمل مسيره مخترقًا بند كبادوكيا باتّجاه الشمال الغربي حتى انتهى إلى أدرولية[4] من بند الأبسيق وتقع غرب أنقرة (درولیوم-اسكي شهر حاليًا) وهي مجمع العساكر للعرب وللروم-كما يقول ابن خرداذبّة-.[5] والمحور الذي سار عليه الرشيد في هذه الغزوة (المصيصة-طوانة-أدرولية) يبدو مقابلًا تمامًا لمحور (الصفصاف-مطمورة-أنقرة) الذي سار عليه الرشيد في غزوته عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م، وتقع أنقرة وأدرولية على خطّ

---

(١) اعتمد نظام الدفاع البيزنطيّ من القرن السابع على صغار المقطَعين مقابل الخدمة العسكرية، ولم تقل قيمة ما يملكه الجنديّ من الأرض عن أربع ليرات من الذهب مقابل أن يبرز عند الطلب بفرس وأداة حربية كاملة. فإذا لم يتوافر من الجند من يملكون النصاب الكافي من الأرض فرض نقفور الخدمة العسكرية على فلاحين فقراء، وذلك بأن ألزم أهل القرية بأن يتكفّلوا بتجهيز هؤلاء الفلاحين بالعدّة الحربية عن طريق دفع ضريبة سنوية. ويكون هذا النصاب إما ملكًا خاصًا لفرد واحد، أو مجموع أملاك لفلاحين عديدين يقوم أحدهم بتأدية الخدمة العسكرية عل حين يتكفل الآخرون بتجهيزه حربيًا. وبذلك سدّت الحكومة العجز في قوتها الحربية. ينظر: **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٣٨.

(٢) ٩/ ٤١٧٧.

(٣) ٩/ ٤١٧٧.

(٤) ٩/ ٤١٧٧.

(٥) **المسالك والممالك**، ص١١٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

عرْضيّ واحد تفصلهما عن العاصمة البيزنطية مسافة واحدة تقريبًا، وهو أمرٌ ينبئ عن إصرار الرشيد على الوصول إلى القسطنطينية، ويدحض ما تردد لدى بعض الباحثين أن الصوائف والشواتي في خلافة الرشيد كانت مجرد حملات دورية لا هدف لها سوى إثبات قيام الخليفة بالجهاد كواجب دينيّ من واجبات منصبه لا أكثر.(١)

أقام الجيش العبّاسيّ في أدرولية أربع ليال بعد أن قطع مسافة طويلة من طوانة إليها، وعزم الرشيد "على لقاء الطاغية حيث كان"،(٢) وخلال مسيره لم يسْتَشِرْ أحدًا من أشياخ الثغور وهم أبصرُ بمداخل بلاد الروم، وكان عليه أن يفْعل. فتوجّه من أدرولية حتى دخل القُفل، ويعطينا عثمان بن زياد المصيصيّ صورة جغرافية للمنطقة التي نزل عليها الجيش فيقول: "والقُفل شِعْبٌ مسيرته أربعة أميال، ثم يفضي إلى مرج رحب فسيح، يليه خليج قسطنطينية، فنزل على نهر عظيم كثير الماء، والعدو نزول على ذلك النهر"،(٣) ويبدو هذا الوصف قريبًا من جغرافية السلسلة الضخمة من جبل السلطان الواقعة بمحاذاة مدينة اسكي شهر، حيث تشتمل هذه السلسلة الجبلية على شعبٍ ضيّقٍ شديد الانحدار شمالي بحيرة اجريدير يُسمّى اليوم (ممر تشارداك Chardak pass).(٤)

وجّه قسطنطين السادس قادته للاستفادة القصوى من هذا الموقع الجغرافي وهم أقدر على استثماره من المسلمين "فكتب إلى بطارقته، أن انزلوا القفل، ولتكن الرجالة منتظمة حتى

(١) ترددت هذه النظرية لدى ثُـلّـةٍ من الباحثين حتى أضحت عند البعض مسلّمةً من مسلمات البحث في تاريخ العصر العباسي! وتتراجع هذه النظرية أمام قراءة استراتيجية الخلفاء من المنصور حتى المعتصم مما يثبت أن الفتح لم يغب عن أهدافهم وإن لم يوفّقوا في تحقيقه. وممن ذهب إلى هذه النظرية مثلًا: **عبد العزيز الدوري** (العصر العباسي الأول،ص١١٣)، **فتحي عثمان** (الحدود الإسلامية البيزنطية، ١/ ٣٨١-٢/ ١٥٨)؛ **حسن إبراهيم حسن** (تاريخ الإسلام، ٢/ ١٩٧).

(٢) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٧.

(٣) السابق.

(٤) في نفس هذا الموقع حدثت معركة (ميريوكيفالوم) نسبة إلى حصنٍ بيزنطيّ يقع في نهاية الشعب، بين السلطان قلج أرسلان الثاني سلطان سلاجقة الروم والامبراطور البيزنطي مانويل الأول عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، انتهت بانتصار المسلمين انتصارًا كاسحًا. ينظر: **معركة ميريوكيفالوم ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م من المعارك الاسم في التاريخ الإسلامي**: علي محمد علي عود الغامدي، مجلة جامعة أم القرى، ع١، ١٤٠٩هـ، ص١٣٧.

تملأ القفل. وهو بذلك يهدف إلى قطع طريق الإمدادات على الجيش العباسيّ والحيلولة دون تزوّده بالمؤن، وحصره داخل الشعب ليُضعفه ويسهل من ثمّ الانقضاض عليه. وبالفعل حدث ما أعدّ له قسطنطين "وقد ضيق على المسلمين غاية التضييق وليس لهم ملجأ ولا مسلك"،[1] وأمام هذا المأزق الحرِج اضطر الرشيد إلى طلب الهدنة من الامبراطور البيزنطي مقابل تعهّده بما يلي:

١. إطلاق كافة أسرى الرّوم لدى المسلمين.

٢. بناء ما هدم من الحصون التي خربها الجيش الإسلاميّ في مسيره.[2]

رفض قسطنطين السادس هذه التنازلات النوعيّة، وربما شعر بإمكانية القضاء على عساكر المسلمين الذين ناجزوا دولته طويلًا، وزاد في حدّته وطمعه تفاقم وضعهم وضعف خيولهم وتردّي روحهم المعنوية.[3]

وأمام هذا التدهور الخطير أدرك الرشيدُ أنه أهمل عنصرًا مهمًا في تخطيطه الاستراتيجيّ للغزوة؛ إذ لم يقُم باستشارة من كان معهُ من شيوخ الثغر وعلماءه المجاهدين وقادته الميدانيين باعتبارهم أعلم بتحركات العدو وبجغرافية الثغور، وربما لو فعل ذلك لوفّر على الجيش الإسلاميّ كثيرًا من العناء واحتفظ بأكبر قدرٍ من طاقة جنوده وعتادهم، ولكان اقترب بعد ذلك من العبور إلى القسطنطينية التي أصبح الطريق إليها أقصر من ذي قبل.

كان ضروريًا والوضع كذلك أن يفزع الرشيد إلى الأشياخ من أهل الثغور، وكان معه في المعركة اثنان من أكبر العلماء المجاهدين هما: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، ومخلد بن الحسين، "ولم يكن في أيامهما لهما نظير في الديانة والفضل والعلم، فقال له إبراهيم بن محمد: يا أمير المؤمنين خلَّفت الرأي خلف القفل، ولكل مقام مقال، ومخلد يصير إلى أمير المؤمنين"،[4]

---

(١) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٨.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

في إشارة إلى ما فوّتَه من مشاورة أهل الثغر قبل الدخول بالجيش إلى شعب القفل، على أن يأتيه مخلد بن الحسين ليعرض عليه رأيه. إلا أن الرشيد لم يحتمل ذلك وذهب هو بنفسه إلى مخلد "معظماً له، وكان مخلد من عقلاء الرجال، فقال: يا أمير المؤمنين أصير إليك في ليلتنا إن شاء الله".[1]

ولم يتسرّع العلماء المجاهدون في تقديم المشورة للرشيد، إذ أن حساسية الوضع لا تقبل أي تدهور آخر، بل اتّجهوا إلى عقد اجتماعٍ طارئ بين القيادة العسكرية للثغور متمثلةً في سالم البرنسيّ -وكان على ما يبدو أميرًا على جند المصيصة- وبين الفقهاء (أبو إسحاق الفزاريّ ومخلد بن الحسين).

توصّل المجتمعون إلى خطّة للخروج من هذا المأزق، وكان تنفيذها يحتاج إلى شجاعةٍ ودهاء لم تنقصا قادة الثغر، تتلخّص الخطّة في أن يقوم سالم البرنسيّ ومن معه من أهل الثغور من الجند النظاميين والمتطوعة بإظهار العصيان والخروج على الرشيد، وإيهام الروم بانقسام الجيش الإسلاميّ وانقلابه على بعضه، واعتراض سالم ومن معه على استراتيجية الرشيد العسكرية.[2]

ولتأكيد هذا الانقلاب لابد من القيام بخطواتٍ تضمن نجاح التخطيط؛ إذ يحتاج سالم إلى ما في خزائن الرشيد من كسوة وطيب وعامٍ ومال، ليظهر بمظهر المستقلّ عن الخلافة المكتفي بما عنده من عدّة وعتاد. ولا يجتمع سالم مع أبي إسحاق ومخلد عند الرشيد، إضافةً إلى ضرورة اقتتال الفريقين على أن يحمل كلٌّ قائد أصحابه على صدق المحاربة.[3] ومضى مخلد بن الحسين إلى أمير المؤمنين بتفاصيل الخطّة "فأجابه إلى ما سأل، ودفع إليه ما أراد".[4]

وفي صباح اليوم التالي وعلى مرأى من جيوش الروم المطلّة على شعب القفل؛ انقسم الجيش الإسلاميّ إلى قسمين: الرشيد وعسكره من جهة، وسالم وأهل الثغور من جهة أخرى،

---

(١) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٨.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

واشتبك الفريقان بطريقة لا يُشَكّ فيها بعداوتهم "وتلاحم القوم بينهم الحرب، وغرقت دواب وخرقت مضارب"،[1] ولإكمال مشهد الانقسام "زحف سالم البرنسي بمن معه من أهل الثغور حتى نزل بالقرب من معسكر الروم، وبعث يطلب منهم الأمان، ويطعمهم في أمير المؤمنين ومن معه، وفي كل ذلك تجيء الرسل إلى سالم يسألونه الرجوع إلى أمير المؤمنين، وتُحمل إليه الجوائز والخلع، فكل ذلك يردها، وبطارقة الطاغية ورؤساؤهم ينظرون إلى ذلك".[2]

ولمّا اطمأن سالم إلى قناعة الروم بانقلابه على الرشيد وليزيد من هذه القناعة كتب إليهم كتابًا يتقرّبُ فيه إليهم، "ووجه إليهم بمال وكساء وطيب، ودعاهم إلى طعامه في مضربه"،[3] ولم يكن قادة الثغور البيزنطية ومن معهم من الأكريتاي ليضيّعوا هذه الفرصة الذهبية عليهم، وهم يعلمون عاقبة انشقاق حُرّاس الثغور على وحدة الجيش المركزيّ وقوته، وما أثر ذلك عليهم ببعيد. فأجابوا سالم على الفور، ووجه بطارقة الحدود بكتابه إلى قسطنطين السادس Constantine VI يستعلمون رأيه، "فكتب إليهم أن يقبلوا من سالم ولا يعرضوا له إلا بسبيل خير، ولا لأحد ممن تبعه، فإنهم أهل الثغور ورجال الحرب، صبر عند اللقاء، وشوكتهم الشوكة الصعبة".[4]

فلمّا وثق الروم بسالم وتبادلوا معه العهود والأيمان عرض عليهم تقييمه لوضعهم الميدانيّ –باعتبارهم كتلة واحدة– فقال: "إن في أصحابي من لا أثق به، لحداثة سنه وقلة حنكته، وفي أصحابكم كذلك فقالوا: نعم، فقال: تكون طائفة مكان كذا، وطائفة مكان كذا، فرتب سالم أصحابه في الدرب كله، وصار في يديه وأيدي المسلمين".[5]

---

(١) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٨.

(٢) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٨-٤١٧٩.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) السابق.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

فطِن البيزنطيّون أخيرًا إلى أن سالم بإعادته تنظيم الجيش زحزحهم عن مواقعهم الاستراتيجية وجعل أصحابه على طول الدرب المؤدّي إلى شعب القفل، فلما انتبهوا إلى ذلك أغارت طائفةٌ منهم على ساقة سالم، فقتلوا من المسلمين ثلاثة نفر، وغنموا شيئًا من عدّتهم وأمتعتهم. ومال سالم بمن معه من أهل الثغور على العدو، وكانوا قد حصروهم في الشعب فقتلوا منهم أكثر من ٧٠.٠٠٠ رجل، وأسروا حوالي ثلاثين ألف جنديّ، "وغنم المسلمون من الدواب والبغال والدروع والسيوف ما لا يحصى"،[١] وكانت خسائر الروم فادحةً حتى خُيّل لهم أن جيش الثغور سيبيدهم عن آخرهم "ونادت رجال من النصرانية بسالم: يا سالم ارحم النصرانية، ابق منهم بقية".[٢]

ونلحظ من استشارة الرشيد لأشياخ الثغر بعد أن انقطع به الرأي، ومن نجاح خطّة سالم واستعانة أشياخ الثغر به؛ عمق معرفة المثاغرين بعقلية البيزنطيين وطرق تفكيرهم وحربهم، وبراعتهم في التعامل مع الحوادث الطارئة حتى وهم في معارك بعيدة الخطوط عن قواعدهم الخلفية. وإن كان الرشيد أهمل استشارة أهل الثغر في هذه المعركة فإنه لن يكرر هذا الخطأ مرّة أخرى على ما سنرى، ويَرجِعُ فيما يذهب إليه أثناء الغزو مستقبلًا إلى فقهاء الثغر.

وبعد هذا الانتصار الكاسح أمّن سالم الطريق للرشيد، وجمع الغنائم وأجازها الجبل "وضرب القباب لأمير المؤمنين رحمة الله عليه، ونضّد جيف القتلى على الطريق يمنة ويسرة، واستنقذ ما كان من عطاياه للبطارقة، ووجه إلى أمير المؤمنين فأقبل، وحلف سالم لا يركب ولا يفارق ركاب أمير المؤمنين حتى يجيزه الدرب. فلما نزل المسلمون منزلهم أمر أمير المؤمنين بضرب أعناق الأسارى، فلم يستبق منهم أحداً".[٣]

لم تكن غزوة القفل إذًا فُسحةً للجيش البيزنطيّ حين رفض طلب المهادنة الذي قدّمه الرشيد، وكان بإمكان قسطنطين أن يستفيد من التنازلات النوعيّة التي عرضها عليه الخليفة،

---

(١) بغية الطلب، ٤١٧٩/٩.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

إلا أنه دفع ثمن ذلك غاليًا بلا شك، حيث أبيد الجيش البيزنطيّ تقريبًا بعد مقتل مئة ألف من جنوده، هذا إلى جانب الخسائر المادية الهائلة التي لحقت به، إضافةً إلى استمرار الرشيد في إحداث الخسائر في طريق عودته إلى مراكز الثغور الشاميّة إذ "لم يمر أمير المؤمنين بحصن إلا فتحه الله عليه حتى قدم المأمن".(١)

ولعلنا نستشف من إنهاك الجيش العبّاسيّ أثناء حصاره في شعب القفل؛ عدم قدرته على المضيّ قُدمًا نحو القسطنطينية على الرغم من الهزيمة التي أنزلها بالجيش البيزنطيّ وانفتاح الطريق أمامه. ولم تتوقف استراتيجية الرشيد عن التوغل في بلاد الروم إذ أرسل عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح على رأس الصائفة عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م فاندفع في قلب أراضي الدولة البيزنطية حتى بلغ مدينة أفسوس على ساحل بحر إيجة، وعاد إلى قواعده بعد أن انتصر على البيزنطيين وأسر حوالي سبعة آلاف بيزنطيّ.(٢)

ويبدو أن الإمبراطورة إيرين Irene أدركت مدى الكارثة التي حلّت بجيشها، وما نتج عن تهوّر ابنها قسطنطين من خسائر بعد معركة القفل، ثم استمرار توغل الجيش العبّاسي في بلادها، فهرعت إلى دفع الجزية للخليفة هارون الرشيد مقدارها تسعون ألف دينار،(٣) دافعةً بذلك التهديد العبّاسيّ عن أراضيها مما يسمح لها بالتفرّغ لإزالة تهديد ابنها قسطنطين المتطلّع لإثبات قدرته على إدارة الحكم ومواجهة التهديد الإسلاميّ، ومدخلًا الامبراطورية البيزنطية في دوامة من الاضطرابات، ففضّلت إيرين Irene أن تقصيه نهائيًا عن السلطة إذ انقلبت عليه وسملت عينيه وانفردت بالعرش.

وبعد استعراض حوادث غزوة القفل التي انفرد بذكرها ابن العديم نقلًا عن كتاب (النسب) لأبي موسى هارون بن محمد الهاشميّ، يمكننا القول بأن المكتبة الإسلامية –

(١) بغية الطلب، ٩/ ٤١٧٩.

(٢) تاريخ الطبري، ٨/ ٢٦٩؛ الكامل، ٥/ ٣١٧؛ الأعلاق الخطيرة، ١/ ٢٤٢.

(٣) دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، حسنين ربيع، ص١٢٧.

والتاريخية بشكل خاص- فقدت خلال سنوات الزمن المتراكمة بحوادثها وحروبها كمًا هائلًا من الكتب المهمّة التي ضمّت معلومات كانت ستثري ما وصل إلينا من مصنّفات، وهذا مما يزيد الهوّة بين صورة التاريخ الذي نعرفه وصورته الحقيقية. وإن كانت المعرفةُ دائمًا غير مكتملة؛ فإن جُلّ ما يحاوله الباحثون على مرّ السنين هو محاولة الاقتراب من الحقيقة أو تصوّرها قدر الإمكان. ولعل مناقشة مثل هذه النصوص النادرة ومقارنتها بما لدينا من معلومات ومحاولة وضعها في سياق تقريبيّ يجعلنا متطلّعين دائمًا لشكل من أشكال هذا الاقتراب.

▪ مشاركة العلماء في فتح هرقلة عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م.

من أهم النصوص التي انفرد بها المسعوديّ وتناولت مشاركة العلماء المجاهدين في العمليات العسكرية بالثغور الشامية نصٌّ يتعلّق بحوادث فتح هرقلة في خلافة الرشيد. والملاحظ أن المسعوديّ في تدوينه لهذا الحدث أجمل كثيرًا ولم يهتم بتفاصيل تواريخ الحوادث التي وردت في المصادر الأخرى. وهذا نابعٌ من منهج الاختصار الذي اتّبعه في كتابه (مروج الذهب) المصنّف في الأساس كمختصرٍ لكتابه المفقود (أخبار الزمان)، ويقول عن منهجه: "الإخبار عن جمل الأشياء وجوامعها، لا عن تفصيلها وبسطها"[1]، مما يدلّنا على سبب إضرابه عن كثير من الحوادث التزامًا بما قرر.

كما أن المسعوديّ مزج في كتابة مادته التاريخية بين الترتيب الموضوعيّ والحوليّ[2]، فأورد فتح هرقلة في سياق الفصل الذي أسماه (ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام)[3]، وكان غرضه في هذا الباب تتبع أسماء أباطرة الروم دون الخوض في حوادث دولتهم وتفاصيل علاقتهم بالمسلمين، إلا أنه توقّف في العصر العباسي عند خلافة الرشيد فذكر ما كان بينه وبين نقفور

---

(١) مروج الذهب، ١/ ١٧١.

(٢) **منهج المسعوديّ في كتابة التاريخ**: سليمان بن عبد الله المديد السّويكت، ١ط، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٥٣.

(٣) مروج الذهب، ١/ ٢٤٧.

باقتضاب قائلًا: "ثم ملك على الروم يعفور بن اسدراق، وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات، وغزاه الرشيد، فأعطاه القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته، فانصرف الرشيد عنه".[1]

نلاحظ هنا أن المسعوديّ لم يتطرق لتفاصيل رسالة نقفور Nicephorus I التي بعثها عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م واكتفى بالإشارة إليها، كما لم يوضّح تفاصيل غزوة الرشيد الأولى على هرقلة في نفس العام والتي أثبتتها المصادر، وإن أثبت دفع نقفور الجزية بعد أن طلب الصلح. والمسعوديّ من المؤرخين الذين لم يتحدّثوا عن ردّ فعل الرشيد المباشر بعد نقض نقفور، بل ذهب إلى أن النقض "كُتم عن الرشيد أمره، لعارض علة كان وجدها بالرقة"[2]. ثمّ أُبلغ بذلك لمّا عوفي "فتجهز وغزاه، ونزل على هرقلة، وذلك في سنة تسعين ومائة".[3]

ومن هذه النصوص يُفهم أن المسعوديّ ذهب في تحديد فتح هرقلة إلى أحد وجهين:

- **الوجه الأول**: إما أنه جعل كل الحوادث في عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م؛ الرسالة وجوابها وشخوص الرشيد على إثرها، ثمّ مصالحة نقفور على طلبه ثم نقضه للصلح، وإخفاء الأمر على الخليفة ثم إبلاغه وشخوص الرشيد لفتح هرقلة.

ولا يمكن القبول بهذا إذ أثبتت المصادر ورود الرسالة عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. ومن غير المعقول أن يتذكر نقفور (١٨٦-١٩٦هـ/ ٨٠٢-٨١١م) أموال الجزية التي دفعتـــــها إيرين Irene للرشيد بعد ثلاث سنوات تقريبا من وصوله للسلطة -إذا افترضنا أن الرسالة كانت عام ١٩٠هـ-، والأرجح أنه أرسلها للرشيد بعد توليه الحكم بعدة أشهر.

- **الوجه الثاني**: أنه تبع المؤرخين الذين أثبتوا ورود الرسالة عام ١٨٧هـ-وإن لم يحدد تاريخها- فَفَصَل الرسالة وجوابها والشخوص والغزو، كما لم يصرّح بأن الغزو كان

[1] مروج الذهب، ٢٤٨/١.

[2] السابق.

[3] مروج الذهب، ٢٤٩/١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

على هرقلة، وجعل بين النقض ورد الرشيد عليه فترة اعتلال الرشيد وإخفاء الأمر عليه، حتى إبلاغه وتجهّزه للغزو وفتح هرقلة عام ١٩٠هـ.

وإذ ثبت ورود الرسالة عام١٨٧هـ/ ٨٠٣م؛ فإنه من غير المعقول أن يكون ردُّ الرشيد عليها عاديًا كأن يكتفي بغزو عامٍ لا يكون بحجم التعدّي السافر على هيبة الخلافة العباسية حتى وإن دفع الروم الجزية، ولهذا أرجّحُ أن الرشيد قصد إلى هرقلة بعد هذا التهديد بالذات لأهميتها الاستراتيجية.

كما لا يمكن القبول بإخفاء قادة الرشيد العسكريين ورجال دولته أمر النقض عليه بعد عودته من هرقلة لمدة ثلاثة أعوام كاملة، يظهر فيه الرشيد أمام نقفور Nicephorus I بمظهر العاجز عن تأديبه أو الخامل عن الشخوص إليه وهو ما لم يَكُنْهُ الرشيد أبدا. كما تعطي فترة السكوت هذه –إن افترضناها–وقتًا كافيًا للبيزنطيّين يمكنهم من الاستعداد العسكري، وهو ما لم يحدث، إذ أُصيب الروم بخسارة فادحة إثر صائفة العام التالي مباشرة عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م التي جُرح فيها نقفور وقُتل عدد كبير من جنوده.[١]

وبمقارنة الحوادث التي أوردها المسعوديّ حول فتح هرقلة وظروفه بما ورد في المصادر الأخرى[٢] يمكننا أن نقول –بشيء من الاطمئنان– أن المسعوديّ لم يقصد إلى جعل الرسالة وما تلاها ثم فتح هرقلة من حوادث عام ١٩٠هـ/٨٠٦م، وإنما يُفهم من قوله: "ونزل على هرقلة، وذلك في سنة تسعين ومائة"، أنه قصد الفتح الأخير وهو الفتح الأهمّ وليس الرسالة ونتائجها. ونستطيع أن نحدد تاريخ الحوادث التي ذكرها مجملة في ثنايا استعراضه للفتح ولم يهتمّ بتحديد أزمان وقوعها بتتبع الإشارات الدالة عليها من ذات النصوص، وبمقارنتها بما ورد في المصادر التاريخية الأخرى.

---

(١) تاريخ الطبري، ٨/ ٣١٣؛ الكامل، ٥/ ٣٣٧؛ البداية والنهاية، ٧/ ١٩٣.

(٢) ناقشتُ هذه الآراء في الفصل الأول–المبحث الثاني من هذه الرسالة، وأوجزتُ ما تعلّق بالفكرة وأضربتُ عن إعادته تجنّبًا للتكرار. ينظر: ص٣٠-٣٣.

وسأقرأ الروايات التي ساقها في مروج الذهب عن فتح هرقلة ومشاركة علمائنا المجاهدين فيه ودلالاته من خلال هذه الرؤية إن شاء الله.

يقول المسعوديّ: "أن الرشيد لما أراد النزول على حصن هرقلة -وكان معه أهل الثغور، وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين، وأبو إسحاق الفزاري -صاحب كتاب السير"،[1] ونلحظ المشاركة الفاعلة لأهل الثغور في الغزو بنص المسعوديّ عليها، كما يعتبر نصّه على مشاركة الإمامين الجليلين مخلد بن الحسين وأبي إسحاق الفزاريّ دليلًا قويًّا على أنّ هذا الحدث كان في نزول الرشيد الأول على هرقلة في أول رمضان عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م، إذ أن وفاة أبي إسحاق الفزاري كانت باتفاق المؤرخين قبل عام ١٩٠هـ، وإن اختُلف في وفاته بين أعوام ١٨٥هـ و١٨٦هـ وأواخر ١٨٧هـ و١٨٨هـ.[2] ولعلنا نستطيع أن نرجّح بناءً على ذلك أن وفاة أبي إسحاق كانت في أواخر ١٨٧هـ أو١٨٨هـ.

ويوثّق المسعوديّ الدور الهام الذي قام به شيخا الثغر في هذه المعركة، واستشارة الرشيد لهما لمعرفته برجاحة عقلهما وطول باعهما في المعارك مع الروم مما أعطاهما قدرًا كبيرًا من الإلمام بالعدو وأرضه وطرق النفاذ إليه، يقول: "فخلا الرشيد **بمخلد بن الحسين**، فقال: أي شيء تقول في نزولنا على هذا الحصن[يعني حصن هرقلة]؟ فقال: هذا أول حصن لقيتَ من حصون الروم، هو في نهاية المنعة والقوة، فإن نزلتَ عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده، فأمره بالانصراف. ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا حصن بنته الروم في نَحْر الدروب، وجعلته لها ثغراً من الثغور، وليس بالآهل، فإن أنت فتحته لم يكن فيه ما يعُمُّ المسلمين من الغنائم، وإن تعذر فتحه كان ذلك نقصاً في التدبير، والرأي عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم، فإن فتحت عَمَّتْ غنائمها المسلمين، وإن تعذر ذلك قام العذر".[3]

---

(1) مروج الذهب، ١/٢٥٠.

(2) تاريخ دمشق، ٧/١٣٠-١٣٢؛ سير أعلام النبلاء، ١٦/٧٠.

(3) مروج الذهب، ١/٢٥٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وواضح أن سؤالَ الرشيد للشيخين سؤالُ من لم ينزل هذا الحصن من قبل وليست له معرفة تامة بدفاعاته، ولكل منهما وجهة نظر فيما ذهب إليه؛ حيث نظر الإمام مخلد بن الحسين إلى الأمر نظرة جغرافية عسكرية باعتبار هرقلة مدخل بند الناطليق(الأناضول) الروميّ المقابل لشمال شرق الثغور الشامية مما يلي طرسوس[1]، ورأى النزول عليها وعدم تجاوزها فإن فُتحت رغم كل تحصيناتها اتخذها الرشيد نقطة انطلاق وأصبح الطريق مفتوحًا أمام الجيش العباسي للتوغل في قلب الأناضول.

أما أبو إسحاق الفزاري فنظر إلى الأمر من وجهة نظر استراتيجية، فهرقلة التي تقع شمال شرق الأبواب القيليقية تمثّل للروم حصنًا عسكريًّا متقدمًا يتكفّل بمهمة إزعاج المسلمين وإشغالهم أكثر من أي شيء آخر، وستستنزف محاولة إخضاعها قوة الجيش العباسي الذي يستطيع أن يصرف جهده وتركيزه على مدينة عظيمة يكون الحصول عليها ضربةً استراتيجية واقتصادية للروم ومكسبًا للمسلمين في آن واحد. ولا شك أن أبا إسحاق برباطه وجهاده الدائم في الثغور الشامية كان على علم باضطراب أحوال الدولة البيزنطية خلال حكم نقفور Nicephorus I، وربما كانت عينه متطلّعةً إلى إحدى المدن الهامة كقيصرية أو أدرولية أو أنقرة أو حتى القسطنطينية، إذ كان الجيش الضخم الذي يقوده الرشيد "في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يُجارون نجدةً ورأيًا"[2] مخوّلًا في نظر أبي إسحاق لإنهاء هذا الصراع الطويل بين المسلمين والروم وتحقيق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعد أن عرض الشيخان رأيهما على الخليفة هارون الرشيد بدا أكثر اقتناعًا برأي مخلد بن الحسين، فنزل على هرقلة وضرب عليها حصارًا شديدًا طوال ١٩ يومًا، وحدث ما تخوّف منه أبو إسحاق إذ دخل الجيش في حرب استنزاف "فأصيب خلق كثير من المسلمين، وفنيت الأزواد والعلوفات"[3]، وضاق صدر الرشيد مما آل إليه الأمر، فأحضر أبا إسحاق الفزاري

---

(١) **التنبيه والإشراف**، ص١٥١.

(٢) **الأغاني**، ج١٨، ص١٧٥.

(٣) **مروج الذهب**، ٢٥٠/١

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

لتقييم الأمور ومحاولة الخروج من هذا المأزق بعد أن ظهر له صواب رأيه، "فقال: يا إبراهيم قد تَرَى ما نزل بالمسلمين، فما الرأي الآن عندك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد كنت أشفقت من هذا، وقدمت القول فيه، ورأيت أن يكون الجدّ والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن، وأما الآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه من بعد المباشرة".[1] إذًا، لا خيار آخر أمام المسلمين سوى استمرار المواجهة، إذ أن أي تحرّك آخر بالانسحاب أو حتى التراجع لتموين الجيش لن يكون إلا "نقصاً في الملك، ووهناً في الدين، وإطماعاً لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين، والمصابرة لهم".[2]

وهنا اقترح أبو إسحاق على الرشيد خطّة جديدة لتغيير سير المعركة، ينقطع فيها أمل الروم المراهنين على سأم المسلمين من طول الحصار قائلًا: "الرأي يا أمير المؤمنين أن تأمر بالنداء في الجيش أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن إلى أن يفتحه اللهّ عز وجلّ للمسلمين، وتأمر بقطع الخشب وجمع الأحجار وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن إلى أن يفتحه اللهّ عز وجل".[3] وهكذا جاءت خطة المسلمين على العكس تمامًا مما أمله الروم، فليس انسحابًا من أرض المعركة بل إقامة دائمةٌ حتى يسلّم الروم ذاعنين. وفي هذا ممارسةٌ للضغط النفسي على الروم المتحصنين في هرقلة وإجبارهم على الاستسلام ويعلل أبو إسحاق اقتراحه هذا بقوله: "فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الحرب خدعة، وهذه حرب حيلة لا حرب سيف".[4]

استصوب الخليفة رأي أبي إسحاق وعلى الفور بُلّغت كافة وحدات الجيش بالقرار وبدأ تنفيذه من ساعته "فحُملت الأحجار وقطعت الأخشاب من الشجر، وأخذ الناس في البناء"،[5] وآتت هذه الحيلة أُكلها إذ لما رأى أهل هرقلة عملية البناء الجارية أمام مدينتهم أيسوا

(1) **مروج الذهب**، ١/ ٢٥٠.

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) السابق.

(5) السابق.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

من تقهقر المسلمين ولم يكن ثمة حلّ أمامهم سوى الهرب فجعلوا "يتسللون في الليل، ويُدَلون أنفسهم بالحبال".[1]

وهذه العبارة الأخيرة من نص المسعوديّ تعطينا إشارة واضحة على أن المعركة انتهت هنا، إذ ليس بعد تسلل أهل هرقلة من مدينتهم إلا دخول المسلمين إليها. وقد علم نقفور أن الرشيد لن يتوقف عند إخضاع هرقلة، ولم يكن الجيش البيزنطيّ مؤهلًا لخوض مزيدٍ من المعارك وقد انشغل أكثره بإخماد ثورة (باردانس توركس) الذي دانت لزعامته جميع ثغور آسيا الصغرى لذا سارع إلى طلب موادعة الرشيد على جزية يؤديها كل عام، وأجابه الرشيد إلى ذلك.[2]

- **<u>مشاركة العلماء في فتح هرقلة عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م.</u>**

كانت إغارة الروم على بعض مدن الثغور الشامية (عين زربة والكنيسة السوداء) سببًا مباشرًا لفتح هرقلة وتخريبها من قبل الرشيد عام ١٩٠هـ، إذ كان عليه أن يضع حدًا لإزعاج هذه المدينة التي أشغلت قوات الثغور الإسلامية لأربع سنوات لم يلتزم فيها نقفور بالعهود المبرمة خلالها.[3] وقد أورد المسعوديّ مشاركة العلماء المجاهدين في هذا الفتح، والإشارات التي ألمح إليها خلال استعراضه تؤكّدُ أنه يشير إلى فتح عام ١٩٠هـ لا الفتح الأول عام ١٨٧هـ.

يقول: "ذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار، وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار.."،[4] وقد كان استعمال المسلمين للمجانيق وكتل النار المشتعلة والعرادات في حوادث عام ١٩٠هـ.[5]

---

(1) **مروج الذهب**، ١/ ٢٥٠.

(2) **تاريخ الطبري**، ٨/ ٣٠٨؛ **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٤٢.

(3) **<u>في تفاصيل الفتح وأسبابه ونتائجه</u>**، ينظر: الفصل الأول-المبحث الثاني من هذا البحث. **ص٣٥-٣٨**.

(4) **مروج الذهب**، ١/ ٢٥١.

(5) **المنتظم** لابن الجوزي، ٩/ ١٨١.

رِباطُ العلماء وجِهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

فلما طال الحصار على أهل هرقلة قرروا القيام بتحرّكٍ ما لإنهائه، فخرج فارسٌ منهم في أكمل زيّ وسلاحٍ وأعلن تحديه لقتال المسلمين قائلًا: "يا معشر العرب، قد طالت مواقفتكم إيانا، فليخرج إلي منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة، فلم يخرج إليه من الناس أحد، ينتظرون إذْنَ الرشيد، وكان الرشيد نائماً فعاد الرومي إلى حصنه"،[1] ولم يكن سُكوت المسلمين عنه لضعفٍ بل لتكتيك عسكريّ يوهمون الروميّ من خلاله بعجزهم، إذ لما استيقظ الرشيد ولام حاشيته على عدم إيقاظه فأخبروه بأن الامتناع عنه سيغريه ويطغيه ويجرؤه أن يخرج في غدٍ فيطلب مثل ما طلب.[2]

طالت على الرشيد ليلته انتظارًا له، وفي اليوم التالي فتح باب هرقلة وخرج الروميّ وعاد إلى كلامه، "فقال الرشيد: مَنْ له؟ فابتدره جلة القواد، فعزم على إخراج بعضهم، فضَجّ أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب، فأذن لبعضهم، وفي مجلسه مخلد بن الحسين وإبراهيم الفزاري"[3]. ولابد أن نتوقف عند هذه الإشارة إذ أن وفاة أبي إسحاق كانت قبل هذا التاريخ كما أسلفت فلا يمكن أن يصح ورود اسمه هاهنا، كما لا يمكن أن نستبعد مشاركة مخلد بن الحسين -الذي توفي عام ١٩١هـ وقيل ١٩٦هـ -في هذه المعركة وهو من المرابطين في الثغور،[4] وإن كان ابن الجوزيّ وابن العديم لم يصرّحا بذكر اسم أيٍّ من الشيخين[5]، إلا أن ذلك لا يكفي لردّ ما نصّ عليه المسعوديّ.

اعترض مطّوعة الثغور أن يُخرِج الرشيد مُبارزًا من قادته، وأذن لمتحدّثٍ منهم أن يشرح سبب اعتراضهم، فقال: "يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة، وعلوّ الصيت ومباشرة الحرب، ومتى خرج واحدٌ منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت

([1]) مروج الذهب، ١/٢٥١.

([2]) مروج الذهب، ١/٢٥١؛ الأغاني،١٨/١٧٧؛ المنتظم، ٩/١٨١؛ بغية الطلب، ١٠/٤٦٧٤.

([3]) مروج الذهب، ١/٢٥١.

([4]) سير أعلام النبلاء، ١٧/٢٤٤.

([5]) قال ابن الجوزي في المنتظم: "فعزم على إخراج المطّوعة بعضهم"، ٩/١٨١؛ فيما قال ابن العديم في البغية: "فضج الثغريون وسألوا أن يسمع منهم، ودعا بهم"، ١٠/٤٦٧٤.

وصمةً على العسكر عظيمة، وثُلْمَةً لا تنسد، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صيت".[١] "فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلًا من العامة فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم على يد رجل من العامة ليس ممن يؤمن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل كان شهيدًا ولم يؤثر دمًا".[٢] واستصوب الرشيد رأي المتطوعة ووافقهم عليه الإمام مخلد بن الحسين–وكان مع الخليفة في مجلسه– لعلمه بما يعنيه أن يتبارز فارسان من المثاغرين والأكريتاي في تحديد شكل المعركة ونتائجها. واختار المطّوعة فارسًا من فرسان الثغور المشهورين بالشجاعة والبأس يُعرف (بابن الجزري)[٣]، وقد كان المطّوعة على معرفة تامّة بأساليب الروم وحيلهم، وربما أرادوا من خلال هذه المبارزة أن يضعوا أهل هرقلة أمام حقيقة تفوّق المسلمين العسكريّ ابتداءً بمتطوّعي الجند قبل النظاميين.

كانت المبارزة تقليدًا هامًا قبل ابتداء المعارك يُنتدب لها خيرة الفرسان من كلا الجيشين، ويراقب الجميع وقائعها التي تُحدِّدُ في الغالب مؤشر اتّجاه المعركة، وتُعطي لجيش الفارس المنتصر قوة معنوية في اللحظات الأولى قبل التحام الفريقين. وكان الرشيد مُدركًا لأهمية هذه المبارزة إذ سأل الفارس المسلم عن استعداده لهذا الأمر قائلًا: "أتخرج إليه؟ قال: نعم، وأستعين بالله عليه".[٤] هو إذًا استعداد دينيٌّ تامّ أُخذت فيه كافة الأسباب، فما كان من الرشيد إلا أن أمد ابن الجزريّ بما ينقصه من عتاد وودّعه وأتبعه بالدعاء،[٥] وبحكم احتكاك مرابطي الثغور المباشر والدائم مع البيزنطيين أصبح أعلام الفرسان من كلّ فريق معروفين لدى الطرف الآخر، فحين خرج ابن الجزري للمبارزة "تأمله العلج، وقد أشرف أكثر الروم من

(١) **مروج الذهب**، ٢٥١/١.

(٢) **المنتظم**، ١٨١/٩.

(٣) عند ابن العديم في **البغية** (ابن الخرزي)، ينظر: ٤٦٧٤/١٠.

(٤) **مروج الذهب**، ٢٥١/١؛ **المنتظم**، ١٨١/٩.

(٥) **مروج الذهب**، ٢٥١/١؛ **الأغاني**، ١٧٨/١٨؛ **المنتظم**، ١٨١/٩؛ **بغية الطلب**، ٤٦٧٤/١٠.

الحصن يتأملون صاحبهم، فقال له الرومي: أتصدقني عما أسألك عنه؟ قال: نعم، قال: أنت ابن الجزري بالله. قال: اللهم نعم، فكُفءٌ لك(١)؟ قال: بلى كُفء".(٢)

استغرقت مبارزة الفارسين وقتًا طويلًا أظهرا فيها بسالةً ومهارة شديدين، وتنقل لنا المصادر تفاصيل هذه المبارزة بصورة تشير إلى أن المثاغرين من المسلمين والروم كانوا على درج عالية من الاستعداد العسكريّ والتدريب الفائق، إذ تطاعن الفارسان حتى طال الأمر بينهما، "وكاد الفرَسَان أن يقوما تحتهما، وليس واحد منهما خدَش صاحبه، ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه، وانتضَيَا سُيُوفهما وقد اشتد الحر عليهما، وتبلد جواداهما، فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنه قد بالغ فيها فيتقيها الرومي، وكان ترسه حديداً، فيسمع لها صوت منكر، ويضربه الرومي فيغوص سيفه لأن ترس ابن الجزري كان دَرَقَة تبتية(٣)، وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب".(٤)

كان كُّل فريق من المسلمين والروم يرنو إلى انتصار فارسه، وقرر ابن الجزري بعد أن انثنت الرماح وتكسّرت السيوف اتخاذ خطوة تمكّنه من إنهاء السجال فانهزم من ساحة المبارزة، وكانت تلك حيلة منه لاستدراج فارس هرقلة، إلا أن الرشيد ومن معه من المسلمين لمّا رأوا ذلك داخلتهم كآبة لم يكتئبوا مثلها قط، وعطعط(٥) المشركون من حصنهم(٦)، فلما تبعه الروميّ وتأكد ابن الجزري من اقترابه منه "رماه بوهق(٧) فاختطفه من سرجه، ثم عطف عليه، فما وصَلَ إلى الأرض جسده حتى فارقه رأسه، وكبر المسلمون، وانكسر المشركون".(٨)

(١) عند الأصفهاني وابن الجوزي: (فكَفَّر له)، أي: وضع يده على صدره وطأطأ رأسه تعظيمًا له. ينظر: **الأغاني**، ١٧٨/١٨؛ **المنتظم**، ١٨٢/٩؛ **لسان العرب** (ك ف ر) ١٥٠/٥.

(٢) **مروج الذهب**، ٢٥٢/١.

(٣) **الدرقة**: ضربٌ من التروس يتخذ من الجلود ليس فيه خشبٌ ولا عقب. ينظر: **لسان العرب** (د ر ق)، ٩٥/١٠.

(٤) **مروج الذهب**، ٢٥٢/١؛ **الأغاني**،١٧٨/١٨؛ **المنتظم**، ١٨٢/٩؛ **بغية الطلب**، ٤٦٧٤/١٠.

(٥) **العطعطة**: تتابع الأصوات واختلاط الجلبة والصياح عند الغلبة. ينظر: **لسان العرب** (ع ط ط) ٣٥٨/٧.

(٦) **مروج الذهب**، ٢٥٢/١؛ **الأغاني**،١٧٨/١٨؛ **المنتظم**، ١٨٢/٩؛ **بغية الطلب**، ٤٦٧٤/١٠.

(٧) **الوهق**: حبلٌ فيه أنشوطة يُرمى فيؤخذ به الإنسان والدابة. ينظر: **لسان العرب** (و هـ ق) ٣٨٥/١٠.

(٨) **مروج الذهب**، ٢٥٢/١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

أدرك أهل هرقلة أن مقتل فارسهم يعني في آخر الأمر خسارة مدينتهم، فبادروا إلى بابها ليغلقوه، إلا أن الرشيد أمر قواده فور انتهاء المبارزة أن يرموا أسوار هرقلة بالمجانيق وكتل النار المشتعلة، واستغلّ المسلمون انشغال الروم بتهاوي حجارة الأسوار وسارعوا إلى باب هرقلة ودخلوا المدينة بعد حصار دام ثلاثين يومًا.[1]

مشاركة العلماء في غزوات متفرّقة.

وردت أخبارٌ متعلقةٌ بجهاد العلماء مبثوثةً في ثنايا تراجمهم في تواريخ البلدان وكتب التراجم والرجال، كتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وبغية الطلب لابن العديم، وتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء للذهبي، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي وغيرها. والملفت للانتباه أن أخبار جهاد العلماء تأتي في سياق الترجمة باعتبار حدوثها لا باعتبار تحديد تاريخ الحدوث. لكن الذي يعنينا أكثر من معرفة أزمان وقوعها- وتحديدها صعبٌ على أية حال- هو الوقوف على مشاركة العلماء المباشرة في ميادين الجهاد ضد الروم في الثغور الشامية، وتكمل هذه المشاركات -مع ما سبق إيراده- تصوّرنا لطبيعة الدور الذي قام به علماؤنا في حركة الجهاد الإسلاميّ خلال القرن الثاني الهجري.

وكان الإمام عبد الله بن المبارك من أبرز العلماء الذين سجّلت المصادر مشاركاتهم في ساحات الجهاد يرويها ثُلّةٌ من أصحابه المجاهدين، وربما كان لشهرته التي طبّقت الآفاق دورٌ في اهتمام المصادر بأخباره. ترك ابن المبارك بلده مرو واستقرّ في طرسوس والمصيصة للجهاد في سبيل الله، وكان إلى ذلك كثير الرحلة والحج. وقد طلب أحد الراغبين في الجهاد مشورته في الخروج إلى الثغر، يروي ذلك محمد بن عيسى الطبّاع يقول: جاء رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن، أريد أن أسكن الثغر، قال: اسكن أنطاكية، قال: أريد أن أتقدم، قال: أذنة،

(1) مروج الذهب، ١/٢٥٢؛ الأغاني،١٨/١٧٩؛ المنتظم، ٩/١٨٢؛ بغية الطلب، ١٠/٤٦٧٥.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

قال: أريد أن أتقدم، قال: أتريد أن تكون في الطلائع فعليك بطرسوس.[1] وهذا يشير إلى ما كانت عليه طرسوس آنذاك كونها مجمع المجاهدين والثغر الإسلاميّ المتقدّم.

وكان الحسن بن الربيع قد صحب ابن المبارك في بعض غزواته بأرض الروم، وسجّل مشاهداته إذ يقول: رأيت ابن المبارك يقاتل بأرض الروم في يوم شديد الحر قد رفع قلنسوته عن رأسه.[2] فلم يكن الطقس أيًا كانت حاله حائلًا بين ابن المبارك والغزو.

وروى عَبْدة بن سليمان المَرْوزيّ قال: كنا في سرية مع عبد اللهَّ بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رَجُل، فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يُلثّم وجهه بِكُمِّه، فأخذت بطرف كُمِّه فمددته فإذا هو عبد اللهَّ بن المبارك، فَقَالَ: وأنت يا أبا عمرو مِمن يشنع علينا! [3]

وعن عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابن المبارك، والمعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس النفير، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطف المسلمون والعدو خرج روميٌّ وطلب البراز، فخرج إليه رجل، فشد العلج على المسلم فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد. قال: فالتفت إليَّ ابن المبارك وقال: يا فلان، إن حدث بن الموت فافعل كذا وكذا. وحرك دابته وبرز للعلج، فعالج معه ساعة فقتل العلج، وطلب المبارزة، فبرز إليه علج آخر فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز. قال: فكأنهم كاعوا[4] عنه فضرب دابته، وطرد بين الصفين وغاب. فلم نشعر بشيء إذ

(١) بغية الطلب، ١/ ٢٠٤؛ تاريخ الإسلام للذهبي، ٤/ ٨٨٩.

(٢) بغية الطلب، ٥/ ٢٣٤٧.

(٣) تاريخ بغداد، ١١/٤٠٦.

(٤) أي جبنوا عنه. ينظر **لسان العرب** (ك ع ع)، ٨/٣١٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان. فقال لي: يا أبا عبد الله، لإن حدثت بهذا أحداً وأنا حي، وذكر كلمة.[1]

إذًا، لم يكن انشغال ابن المبارك بالعلم والتجارة ليقلل من استعداده القتالي، إذ نراه هاهنا بجاهزيته التامّة يقتل جنودًا بيزنطيين عجز عن هزيمتهم ثُلّةٌ من المقاتلين المسلمين بل واستشهدوا أمامهم، وهو إلى ذلك يهرب من الاشتهار ويستميت في إخفاء نفسه أمام جموع المجاهدين طلبًا للإخلاص، وكان رحمه الله يبلي بلَاءً حسنا في المعارك فَإِذا كَانَ وَقت الْقِسْمَة غَابَ، فَإِن قيل لَهُ فِي ذَلِك، قال: "يعرفنِي الذى أُقَاتل لَهُ".[2]

وإلى جانب بسالته في الميدان كان يتفقّد أحوال إخوانه المجاهدين ويحرص كل الحرص على الإنفاق عليهم من غير منّة، خرج يومًا من بغداد يريد المصيصة للغزو فصحبه الصوفية، فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام، هات الطست، فألقى على الطست منديلًا ثم قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم والرجل يلقي عشرين درهما، فأنفق عليهم إلى المصيصة. فلما بلغ المصيصة قال: هذه بلاد نفير، فنُقسم ما بقي من المال، وجعل يعطي الرجل عشرين دينارا فيقول متعجّبًا: يا أبا عبد الرحمن، إنما أعطيت عشرين درهما! فيقول: وما تُنكر أن الله يبارك للغازي في نفقته![3]

كما كان ابن المبارك ملازمًا لعبادته متقويًا بها على الجهاد في سبيل الله أثناء الغزو، روى محمد بن أعين –وكان صاحب ابن المبارك في الأسفار وكان كريما عليه– قال: كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقلت أنا برمحي في يدي قبضت عليه، ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك. قال: فظنّ أنى قد نمت. فقام فأخذ في صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر جاء فأيقظني وظنّ أنى نائم، وقال:

(1) **تاريخ الإسلام**، ٤/٨٨٩-٨٩٠؛ **تاريخ دمشق**، ٣٢/٤٤٨.

(2) **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: عبد القادر بن مُحَمَّد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، مير مُحَمَّد كتب خانة، كراتشي١٣٣٢هـ، ج١، ص٥٣٤.

(3) **تاريخ بغداد**، ١١/٣٩٤؛ **تاريخ دمشق**، ٣٢/٤٥٢؛ **تاريخ الإسلام**، ٤/٨٩٠.

يا محمد، فقلت: إني لم أنم. قال: فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إليّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذاك منى لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أرَ رجلًا قطّ أسرّ بالخير منه.(1)

وعلى الرغم من الحياة التي قضاها في طلب العلم وبثّه والرحلة فيهما، كان يتندم على الأيام التي قضاها في العلم ويرجو لو كان قضاها في الجهاد لعظمه في قلبه، ولما يتحقق له في الغزو ما يحبُّ من الخفاء، فعن عَبْدَة بن سليمان المروزيّ قال: كنا مع ابن المبارك في أرض الروم، فبينا نحن نسير ذات ليلة والسماء من فوقنا والبلة من تحتنا،(2) فقال ابن المبارك: يا أبا محمد، أفنينا أيامنا عن مثل هذه الليالي. فلما أصبحنا نزلنا على عيني ماء، فجعل الناس يتبادرون ويسقون دوابهم، فقدّم ابن المبارك دابته، فضرب رجل من أهل الثغر وجه دابة ابن المبارك وقدّم دابته، فقال: يا أبا محمد، المنافسة في مثل هذا الموضع، ليس في الموضع الذي إذا رأونا فقالوا: وسعوا لأبي عبد الرحمن، ارتفع يا أبا عبد الرحمن.(3)

وكان الجهاد عصب حياة الإمام عبد الله بن المبارك، وكثيرًا ما كان ينشد:

كلُّ عَيْشٍ قد أراهُ نَكِدًا ... غيْرَ رُكْنِ الرُّمْحِ في ظِلِّ الفَرَسْ
وقيامٍ في ليالٍ دُجُنٍ ... حارسًا للناسِ في أقْصى الحَرَسْ
رافعَ الصوت بتكبيرٍ له ... ضجّةٌ فيه ولا صوت جَرَسْ(4)

- شهداء قرية الـحُبَاب.

منهم العابد المجاهد عُتبة الغلام بن أبان البصريّ، وقرية الحباب لم أجد لها ذكرًا في كتب البلدان، ويبدو من رواية أبي نُعيم في الحلية أنها من نواحي أذنة، وكان من خبر عُتبة ما

(1) **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ١/٢٦٦-٢٦٧.

(2) يعني المطر والوحل.

(3) **الجرح والتعديل**، ١/٢٨٠-٢٨١.

(4) **ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك**، جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، ط٤، الرياض ١٤٣٢هـ، ص٨٢.

يرويه مخلد بن الحسين يقول: جاءنا عتبة الغلام غازيا، وقال: رأيت أني آتي المصيصة في النوم، وأغزو فأستشهد. قال: فأعطاه رجل فرسه وسلاحه، وقال: إني عليل، فاغز عني. فلقوا الروم، فكان أول من استشهد.[1]

وفي تفاصيل هذه الغزوة أخرج أبو نعيم بسنده عن الإمام مخلد بن الحسين –وكان شاهدًا على الحدث– يقول: خرجت أنا وعتبة الغلام ويحيى الواسطي وَمُشَمْرِخٌ الضبي[2]، قال: فنزلنا المصيصة في الحصن، فرأيت ليلة في المنام كان ملكاً نزل من السماء ومعه ثلاثة أكفان من أكفان الجنة فألبس عتبة كفناً ويحيى كفناً، ورجلاً آخر كفناً، قال: فلما أصبحت دعوتهم لأحدثهم بالرؤيا، فقال لي عتبة: لا تذكر يا أبا محمد الرؤيا. قال: فمكث أشهراً فإني لنائم على سرير ليلة فإذا إنسان يحركني، قال: فرفعت رأسي فإذا عتبة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: اجلس قصّ علي الرؤيا، قال: فجلست فحدثته فرفع يده، وقال: شيئاً لا أدري ما هو، ثم قام ووضعت رأسي فانتبهت فإذا صاحب التنور قد نور–يعني طلع الصباح–، قال: فأسرجت دابتي وجئت فإذا بعتبة جالس على الباب بيده عنان فرسه. وقال عتبة لما ورد حلب: اشتروا لي فرساً يغيظ المشركين إذا رأوه، قال: فوقفنا حتى إذا جاء الوالي ففتح الباب فخرج، وكان مشمرخ راجلاً، فإذا إنسان معه فرس على الباب ينادي: يا ثور، قال: فدنوت منه، فقلت: هل لك في ثور مكان ثور؟ قال: فأخذ مشمرخ الفرس فركبه. قال: ومضينا حتى انتهينا إلى أذنة فإذا آثار عدو، قال: فقال لي الوالي: من يجيئنا بخبر هؤلاء؟ قال: فقال عتبة: أنا، فخرج في أناس من أصحابه يتبع الأثر، فخرج عليهم العدو فقتلوا جميعاً إلا رجلاً أفلت رجع إلينا. قال مخلد: ومضينا، فأول ما رأيت بياض جسد عتبة، وقد قتل وسلب، قال: فإذا بصدره ست طعنات – أو سبع طعنات–، قال: فدفنته. قال مخلد: فرأيت شاباً جاءنا بعد عتبة لسنة قتل في المنام، قال: قلت: ما صنع الله بك؟ قال: ألحقني بالشهداء المرزوقين، قال: قلت: أخبرني عن

---

(1) سير أعلام النبلاء، ١٣/٧٥.

(2) لم أقف على ترجمة يحيى الواسطيّ ومشمرخ الضبّي في المصادر.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

عتبة وأصحابه لك بهم علم؟ قال: قتلى قرية الـحُباب؟ قال: قلت: نعم، قال: إنهم معرفون في ملكوت السموات.[1]

وعلى ضوء ما سبق، فإن هذه النصوص الغنيّة من المصادر الإسلامية تقدّم لنا صورة لطبيعة الحرب التي دارت في الثغور الشامية بين المسلمين والروم، والدور الكبير الذي نهض به العلماء المجاهدون والمتطوعون جنبًا إلى جنب مع جيوش الخلافة العباسية، وأساليب القتال واستراتيجياته، والاستعداد العسكريّ الفائق لدى كافة الفئات، واتساقها جميعًا في الجهاد وحفظ الدين والتخوم؛ من الخليفة الرشيد مرورًا بالعلماء والقادة وانتهاءً بمجموعةٍ من المجاهدين الذي عُرفوا بأسمائهم وألقابهم وعرّفهم الله بأعمالهم.



رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

(١) حلية الأولياء، ٦/ ٢٢٧.

الفصل الرابع: دور العلماء في الجهاد الفكري بالثغور.

ـالمبحث الأول: دور العلماء في تبادل الأسرى والمشاورات والمراسلات.

- في تبادل الأسرى.
- في المشاورات.
- في المراسلات، (رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، نموذجًا)

ـالمبحث الثاني: إسهام العلماء في تأصيل الفكر الجهادي من خلال المصنفات.

ـالمبحث الثالث: أثر العلماء على حياة المجاهدين في الثغور.

ـالمبحث الرابع: دور المرأة الجهادي بالثغور الشامية.



رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

لا يقلّ الجهاد الفكريّ باللسان والقلم أهمية عن الجهاد بالسيف، إن لم يكُن الثاني نتيجة مباشرة للأول، ومن الطبيعيّ أن يؤدّي الاحتكاك الطويل بين العباسيين والروم إلى ضروبٍ متعددة من التواصل السياسيّ والفكريّ؛ إمّا بما تفرضه المعارك من وجود أسرى لدى الطرفين، أو بما يستجدّ على الساحة من طوارئ وحوادث، وإما بقصد مناقشة الروم في أصول دينهم وإثبات انحرافها. ولم يقف دور العلماء عند التفاعل المباشر في ميدان المعركة كما أسلفنا في الفصل السابق؛ بل كانوا دائمي الحضور في تفاصيل هذا التواصل باعتبارهم القادة الفكريين للثغور، وأصّلواْ للفكر الجهادي الذي أثّر على حياة المجاهدين في الثغور، ووضعت الدولة العباسية ثقلهم المعرفيّ والاجتماعيّ حيث يجب، كما أسهمت المرأة في حركة الجهاد بما يتناسب مع فطرتها وموقعها في المجتمع المسلم.

ـ المبحث الأول: إسهام العلماء في تبادل الأسرى والمشاورات والمراسلات.

- في تبادل الأسرى.

مما لاشك فيه أن عمليات تبادل الأسرى وفدائهم لم تكن تتمّ بين عشيةٍ وضحاها، بل كانت تتمّ بعد إرسال سفارات متبادلة بين الجانبين العبّاسيّ والبيزنطيّ تبحث هذا الموضوع بشكل مفصّل، لتحديد عدد الأسرى وزمان ومكان التبادل، كما تدرس أخذ الضمانات لكل طرف بعدم إخلاف الاتفاق المبرم.[١] وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية لا تقدّم لنا تفاصيل حول من كان يقوم بهذه السفارات والاتفاقات؛ إلا أنهُ من المنطقيّ أن يكون للعلماء باعتبارهم فقهاء الجهاد في الثغور دورٌ إما بالتوجيه أو الإشراف المباشر.

ويرجع إسهام العلماء في عمليات تبادل الأسرى إلى ما قبل خلافة الرشيد، ففي بداية حكم بني العباس أغار الإمبراطور البيزنطيّ قسطنطين الخامس Constantine V على مدينة

(١) السفارات والوفود بين الدولتين العباسية والبيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٦٨-٨٠٩م: محمد قائد حسن الوجيه، ص٢٢٢.

قاليقلا مقابل أرمينية عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، فحاصرها بمساعدة الأرمن ثم اقتحمها وقتل رجالها وسبى نساءها.(١) وظلّ أسرى قاليقلا في يد الرّوم لانشغال العباسيين بتثبيت دولتهم.

ولّما طال أمد الأسْر كتب الإمام الأوزاعي إلى أبي جعفر المنصور كتابًا يعظُه فيه ويستحثّه لمعالجة ما حلّ بأهل قاليقلا وطلب الفداء لهم،(٢) ولم يكتفِ بذلك بل كتب أيضًا إلى سليمان بن مجالد(٣) وعيسى بن عليّ(٤) لحث الخليفة على التماس الفداء.(٥) وكان من عادة الأوزاعيّ مكاتبة الخلفاء والقادة في أمور المسلمين حتى إن ابن أبي حاتم عقد فصلًا لذلك في ترجمته أسماه (كُتُبُ الأوزاعيّ في صلاح أمور المسلمين إلى ولاة الأمر).(٦)

وقد استجاب المنصور إلى كتاب الأوزاعي، فبعد أن اطمئن إلى انتظام أمر الثغور وتدارَكَ ما خرّبه الروم وقع الفداء بينه وبين قسطنطين الخامس Constantine V عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م، فاستنقذ أبو جعفر أسرى قاليقلا وغيرهم من الروم، وبناها وعمّرها ورد إليها أهلها، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم، فأقاموا بها وحموها.(٧) وهذا أول فداء تذكره الحوليات الإسلامية في خلافة بني العباس.

(١) **الكامل** لابن الأثير، ٥/ ٤٤٧.

(٢) **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، ١/ ١٩٥-١٩٧.

(٣) **سليمان بن مجالد بن أبي مجالد** الوزير، من أهل الأردنّ، كَانَ أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة، وَكَانَ معه بالحميمة من أرض الشام، فلمّا أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه، وَكَانَ معه كالوزير، وقدم معه بغداد حين بناها وولاّه الريّ وولي لَهُ الخزائن إلى حين وفاته. فلمّا توفيّ ولىّ المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه. ينظر: **الوزراء والكتاب**: محمد بن عبدوس الجهشياري (ت٣٣١هـ)، تحقيق: مصفى السقا وآخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص١٠٠؛ **تاريخ دمشق** لابن عساكر،٢٢/ ٣٦٥؛ **الوافي بالوفيات**، ١٥/ ٢٥٧.

(٤) **عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العباس الهاشميّ**، عمّ السفّاح والمنصور، حدّث عن أبيه ووثّقه يحيى بن معين، توفّي في خلافة المهديّ ببغداد سنة ١٦٤هـ. ينظر: **تاريخ بغداد**، ١٢/ ٤٦٦-٤٦٧.

(٥) **الجرح والتعديل**، ١/ ١٩٧-٢٠٠.

(٦) **الجرح والتعديل**، ١/ ١٨٧.

(٧) **تاريخ الطبري**، ٧/ ٥٠٠؛ **الكامل** لابن الأثير ٥/ ١١٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وتذكر المصادر عدّة أفدية في خلافة الرشيد، منها فداء عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية.(١) على أن أهمّ الأفدية كان فداء عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م أيام الرشيد ونقفور، وجعل المسعوديّ هذا الفداء أول فداء جرى في أيام ولد العباس،(٢) وربما قصد أنه أول فداء جرى على نهر اللامس مكانًا لا على إطلاق الزمن طوال الخلافة العباسية.(٣)

وقد كلّف الرشيد ابنه القاسم رسميًا بالإشراف على هذه العملية من قبل العباسيين، ولكونه بعيدًا عن منطقة الثغور آنذاك معسكرًا بمرج دابق من بلاد قنسرين من أعمال حلب؛(٤) فقد كلّف القاسم اثنان من أكفأ موالي بني العباس هما: أبو سليم فرج الخادم وسالم البرلسي البربري، بالإشراف على العملية ومعهما ثلاثين ألفًا من الجنود النظاميين لتأمين الفداء. وحضره من أهل الثغور وغيرهم من الأعيان والعلماء وأهل الأمصار وغيرهم نحو من خمسمائة ألف، وقيل أكثر من ذلك بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة، قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء.(٥) وهذا العدد الهائل لمن حضر الفداء من الجنود وأهل الثغر وغيرهم مع ما أظهروه من الهيبة والأبّهة نوعٌ من إرهاب العدوّ وتخويفه، ولاشكّ أن العلماء بتواجدهم كانوا طرفًا في هذه العملية إما بالمشاركة في ترتيبها أو تنفيذها.

وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزيّ ومعهم أسارى المسلمين، وكان عدة من فودى به من المسلمين في اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير،(٦) ولم يبق بأرض الروم مسلمٌ إلا فودي به. فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك:

وفُكَّتْ بِكَ الأَسْرَى التي شُيِّدَتْ لَهَا ... مَحَابِس مَا فِيهَا حَمِيمٌ يَزُورُها
عَلَى حِينِ أَعْيَا المسلمينَ فَكَاكُهَا ... وقَالُوا سُجُونُ المشركينَ قُبُورُها(٧)

(١) التنبيه والإشراف، ص١٦٦.
(٢) التنبيه والإشراف، ١٦٠.
(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية: فتحي عثمان، ٢/٤١٧.
(٤) التنبيه والإشراف، ص١٦٠-١٦١.
(٥) التنبيه والإشراف، ص١٦١؛ الكامل في التاريخ، ٥/٣١٥.
(٦) المصدرين السابقين.
(٧) تاريخ الطبري، ٨/٣١٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وتلا ذلك تبادل آخر جرى عام ١٩٢هـ/٨٠٨م في أيام الرشيد ونقفور على نهر اللامس أيضًا، أشرف عليه أمير الثغور الشامية ثابت بن نصر الخزاعي، وحضره مئات الألوف من الناس، وكان عدّة من فودي به من المسلمين خلال سبعة أيام حوالي ٢٥٠٠ أسير من ذكر وأنثى.[١] وكان من عوامل نجا عمليات تبادل الأسر بين المسلمين والروم؛ قيام هدنة قصيرة بين الطرفين تسبق عملية التبادل وتعقبها يتم الاتفاق عليها مسبقًا.[٢] ويُفهم هذا مما ذكره المسعوديّ أن الطرفين أقاما عند اللامس "أربعين يومًا قبل الأيام التي وقع فيها الفداء وبعدها".[٣]

أما عن الكيفية التي تمّت بها عملية التبادل، فيشير الطبريّ إلى تفاصيل ذلك في الفداء الذي جرى في خلافة الواثق عام ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، وقد تنسحب الكيفية على هذه الفترة أيضًا، يقول: "فلما جمعوا للفداء وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي-يعني نهر اللامس- والروم من الجانب الغربي، فكان هؤلاء يرسلون من ههنا رجلا وهؤلاء من ههنا رجلا فيلتقيان في وسط النهر، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا، وإذا صار الرومي إلى الروم تكلم بكلامهم وتكلموا شبيها بالتكبير".[٤]

- **في المشاورات.**

رجعت الدولة العباسية إلى الفقهاء في كثير من أمور السياسة الطارئة التي تتعلق بمصائر الأمم والأفراد، ومن أهم الشواهد على ذلك ما قام به عبد الملك بن صالح العبّاسيّ -والي الجزيرة والشام للرشيد- من استشارة فقهاء الأمة في محاربة جزيرة قبرص وإجلاء أهلها بعد نكثهم العهد مع المسلمين. وردّ عليه الفقهاء ومنهم فقهاء الثغور برسائل سجّلتها المصادر الإسلامية، تدلّ بشكل واضح على المبادئ الدينية التي ارتكزت عليها الخلافة العباسية.

(١) **تاريخ الطبري**، ٣٤٠/٨؛ **التنبيه والإشراف**، ص١٦١.

(٢) **السفارات والوفود بين الدولتين العباسية والبيزنطية**: محمد قائد حسن الوجيه، ص٢٢٥.

(٣) **التنبيه والإشراف**، ص١٦١.

(٤) **تاريخ الطبري**، ١٤٣/٩-١٤٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ولم يقتصر النشاط الإسلاميّ في خلافة الرشيد على الثغور الإسلامية البريّة؛ بل كان النشاط البحري العبّاسيّ في شرق البحر المتوسط قويًا وملحوظًا عبّر عن سيادتهم، إذ أولى الرشيد البحرية اهتمامًا خاصًا نابعًا بالدرجة الأولى من اهتمامه بالجهاد ضد البيزنطيين، فأعاد تحصين الموانئ على السواحل، وأعاد إليها قوتها، وخصص نفقات كبيرة لدور صناعة السفن، وأصبحت القواعد البحرية مركزًا لصناعة وتجمّع الأساطيل العبّاسيّة ومن هذه القواعد مدينة طرسوس الثغرية، وفي ذلك يقول البلاذريّ: "وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد أمرا عظيما؛ أقام من الصناعة ما لم يقم قبله، وقسم الأموال في الثغور والسواحل، وأشجى الروم وقمعهم".[1]

وشهدت خلافة الرشيد حملات بحرية نوعيّة في الوقت الذي اشتدّت فيه الغارات الإسلامية البرية على آسيا الصغرى، وكانت خطط الفريقين البحرية –الإسلامي والبيزنطي– تعتمد على مراقبة سواحلهما ومن ثمّ مهاجمة الأهداف بصورة مفاجئة. ففي سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م أسَر الأسطول البيزنطيّ المراقب للسواحل الإسلامية بضع سفن إسلامية وهي في طريقها من مصر إلى الشام، مما جعل المسلمون يبادرون بالرد بالإغارة على جزيرة إقريطش (كريت) في نفس العام.[2] وفي العام التالي ١٧٤هـ/ ٧٩٠م وصل المسلمون إلى جزيرة قبرص وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالأسطول البيزنطيّ المرسل من قبل الإمبراطورة إيرين Irene إلى ساحل أضاليا لنجدة أهل قبرص، وقد أُسر قائد الأسطول البيزنطيّ (الاستراتيجيوس ثيوفانس) قائد بند كبرياتون البحري، وقد حُمل أسيرًا إلى الخليفة الرشيد.[3] ويبدو أن الروم حين أسروا السفن الإسلامية عام ١٧٣هـ كانوا يراقبون حملة إسلامية بحرية

(١) **فتوح البلدان**، ص١٦٣.

(٢) **القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)**: أرشيبالد.ر. لويس، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٦٠-١٦١.

(٣) **واقع البحرية العباسية في ثغور شرق البحر المتوسط ١٣٢-٢٤٧هـ/ ٧٤٩-٨٦١م**: طه خضر عبيد، مجلة التربية والعلم، مج١٨، ع٣، الموصل ٢٠١١م، ص١١٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

كان مزمعا قيامها على قبرص، وأرادوا ألا يدعوا فرصة للسفن المصرية لمؤازرة السفن الشامية.[1]

ولمعرفة كلٍّ من الطرفين بأهمية موقع هذه الجزيرة حرصا على السيطرة عليها؛ لأن تحقيق ذلك يعني السيطرة على شرق البحر المتوسط ، واستخدام هذا الموقع بما يخدم مصالح الدولة باعتبارها حجر الزاوية لمفاتيحها الاستراتيجية والاقتصادية. وفي الوقت نفسه كان قرب قبرص من سواحل بلاد الشام ومصر تعكس أهميتها لدى العباسيين كونها قاعدة لشل تحركات الأسطول البيزنطي وتعزيز الأسطول الإسلامي.[2]

ومهما يكن من أمر، فإن الوجود الإسلاميّ المباشر في قبرص جعلها مسرحًا لعمليات عسكرية كبرى بين الطرفين العباسي والبيزنطيّ، ودخلت قبرص في مساءلة قانونية استدعت أن يكون للجانب الفقهيّ فيها رأيه، وأصبحت مسألة خرقهم العهد مع المسلمين مشكلةً فقهية سياسية بالأساس.[3]

ولا يمكن أن نفهم ذلك إلا إذا عُدنا إلى المعاهدتين اللتين عقدتها قبرص مع المسلمين من قبل؛ وقد فُتحت قبرص أول الأمر عام ٢٨هـ/ ٦٤٨م في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، زمن الامبراطور قنسطانز الثاني (٦٤٢-٦٦٨م) وصالحهم معاوية صلحًا دائمًا على سبعة آلاف ومائتي، وعلى النصيحة للمسلمين وإنذارهم عدوهم من الروم.[4] وظلّ الصلح جاريًا حتى عهد عبد الملك بن مروان الذي فرض عليهم زيادة بلغت ألف دينار إلى أن رفعها عمر بن عبد العزيز عنهم ثمّ ردّها

---

(١) **دراسات تاريخية حربية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول**: هاشم إسماعيل الجاسم، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة)، القاهرة ١٩٧٧م، ص١٨٤.

(٢) **واقع البحرية العباسية**، ص١٠٩.

(٣) **موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩ م-دراسة تاريخية تحليلية-**: عبد الهادي العجمي، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) **فتوح البلدان**، ص١٥٥.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

هشام بن عبد الملك، ورجع بها الخليفة أبو جعفر المنصور إلى ما عاهدهم عليه معاوية في الأصل.[١]

إذًا، كان على عبد الملك بن صالح العباسيّ –وهو أمير الثغور آنذاك– أن يردّ على انتهاك الأسطول البيزنطيّ للسيادة العباسية حين أسر السفن الإسلامية عام ١٧٣هـ/ ٧٨٩م منطلقًا من قبرص، التي مثّلت في ذلك الوقت قاعدة متقدّمة يشنّ منها البيزنطيون حملاتهم على مختلف الثغور الإسلامية. وكان خروج قبرص من حيادها الذي عاهدت عليه المسلمين مستلزمًا لاتخاذ اجراءات رادعة لها، إذ ليس من المعقول أن تقف الدولة العباسية مكتوفة الأيدي أمام هذه الانتهاكات. واتخذ السؤال عن شرعية محاربة أهل قبرص من قبل عبد الملك بن صالح مشروعيته من خلال المنظور الشرعي والديني، وبمقدار ما تفرضه مصلحة الدولة، وذلك من خلال وجوب التزام العهود والمواثيق لكونها شرطًا تم الاتفاق عليه من قبل، وهو ما يمثل فرضًا دينيًا وقاعدة لا يطرأ عليها الاستثناء، إلا إذا كان الاستثناء يمثل الخيار الوحيد في ظرف ما.[٢]

وقد سجّل لنا أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت٢٢٤هـ) السؤال الذي وجّهه عبد الملك بن صالح إلى فقهاء الأمة، وسبب هذا السؤال، ورسائل الفقهاء في الجواب عليه وذلك في الباب الذي عقده بعنوان (أهلُ الصلح والعهد ينكثون، متى تُسْتَحَلُّ دماؤهم؟)، وفي دواعي السؤال يقول: "كان بعد ذلك حدث من أهل قبرس، وهي جزيرة في البحر بين أهل الإسلام والروم، قد كان معاوية صالحهم وعاهدهم على خرج يؤدونه إلى المسلمين، وهم مع هذا يؤدون إلى الروم خرجا أيضا، فهم ذمة للفريقين كليهما. فلم يزالوا على ذلك حتى إذا كان زمان عبد الملك بن صالح على الثغور، فكان منهم حدث أيضا أو من بعضهم ، رأى عبد

(١) فتوح البلدان، ص١٥٥.

(٢) موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد: عبد الهادي العجمي، ص١٠٧-١٠٨.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

الملك أن ذلك نكث لعهدهم، والفقهاء يومئذ متوافرون ، فكتب إلى عدة منهم يشاورهم في محاربتهم ، فكان ممن كتب إليه: الليث بن سعد[1]، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وموسى بن أعين[2]، وإسماعيل بن عياش[3]، ويحيى بن حمزة [4]، وأبو إسحاق الفزاري، ومخلد بن حسين، فكلهم أجابه على كتابه". [5]

واستخرج أبو عبيد نصوص رسائل هؤلاء الفقهاء من ديوان عبد الملك بن صالح،[6] وربما كان هذا أثناء تولي أبي عبيد قضاء طرسوس خلال إمارة ثابت بن نصر الخزاعي عليها أواخر خلافة الرشيد.[7] وهذا ما يجعل هذه النصوص وثائق تاريخية عن هذا الحدث.

واستعرض أبو عبيد ردود جميع الفقهاء على عبد الملك بن صالح، وأشار إلى اختلافهم عليه في الرأي، إلا أن من أمره بالكف عن أهل قبرص والوفاء لهم، وإن غدر بعضهم، أكثر ممن أشار بالمحاربة، إذ لا يمكن التأكّد من أن النقض أمرٌ تمالأت عليه جماعتهم أو قام به أفراد لا يجوز حمل الجماعة على فعلهم.[8]

ولعلّ استعراض رأي الإمامين أبي إسحاق الفزاريّ ومخلد بن الحسين يدلّنا على مكانة علماء الثغور المتقدّمة مع غيرهم من علماء الأمة وبصرهم بطوارئ الحوادث، إذ أن إيراد كافّة نصوص هذه الرسائل ليس في نطاق هذا البحث.

(1) **الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصريّ**، ولد بقرقشندة بمصر سنة ٩٤هـ، وهو من أئمة المحدّثين الثقات، روى عنه خلقٌ من أئمة السلف وكان ورعًا نبيلًا سخيًا ذا ضيافة. توفي سنة ١٧٥هـ. ينظر: **تهذيب الكمال** للمزّي، ٢٤/٢٥٥-٢٧٨.

(2) **موسى بن أعين الجزريّ الحرّاني**، إمامٌ حُجّةٌ، وثّقه أبو حاتم وابن حبّان. توفي عام ١٧٧هـ. ينظر: **تهذيب الكمال** للمزّي، ٢٩/٢٧-٢٩.

(3) **إسماعيل بن عياش بن سُليم العنسيّ**، محدّث الشام الإمام الحافظ من أتباع التابعين، أبو عتبة الحمصيّ. ولد سنة ١٠٨هـ، كان من بحور العلم، صادق اللهجة متين الديانة، صاحب سُنّة واتّباع وجلالة ووقار. توفي عام ١٨٢هـ في خلافة الرشيد. ينظر: **سير أعلام النبلاء**، ٨/٣١٣.

(4) **يحيى بن حمزة بن واقد الحضرميّ**، أبو عبد الرحمن الدمشقي البتلهي القاضي، من أهل بيت لهيا وهي قرية بالقرب من دمشق. ولد سنة ١٠٣هـ وكان محدثًا ثقة، استعمله أبو جعفر المنصور على قضاء دمشق عام ١٥٣هـ وظلّ عليه حتى توفي عام ١٨٣هـ. ينظر: **تهذيب الكمال**، ٣١/٢٧٨-٢٨٣.

(5) **كتاب الأموال**: القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، أبو عُبيد(ت٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمّد هراس، دار الفكر، بيروت، ص٢٢٤.

(6) **الأموال** لأبي عبيد، ص٢٢٠.

(7) **سير أعلام النبلاء**، ١٠/٤٩٢.

(8) **الأموال** لأبي عبيد، ص٢٢٠.

يقول أبو عبيد: "وكان فيما كتب إليه أبو إسحاق، ومخلد بن حسين: وإنا لم نر شيئا أشبه بأمر قبرس من أمر عربسوس، وما حكم فيها عمر بن الخطاب، فإنه عرض عليهم ضعف ما لهم عَلَى أن يخرجوا منها أو نظرة سنة بعد نبذ عهدهم إليهم، فأبوا الأولى فأنظروا ثُمَّ أخربت، وقد كان الأوزاعي يحدث أن المسلمين فتحوا قبرس فتركوا أهلها على حالهم، وصالحوهم على أربعة عشر ألف دينار: سبعة آلاف للمسلمين، وسبعة آلاف للروم، على أن لا يكتموا المسلمين أمر عدوهم، ولا يكتموا الروم أمر المسلمين، فكان الأوزاعي يقول : ما وفى لنا أهل قبرس قط. وإنا نرى أن هؤلاء القوم أهل عهد، وأن صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم، وأنه لا يستقيم إلا بأمر يعرف به غدرهم ونكث عهدهم".[1]

وبهذا يذهب الإمامان إلى عدم استقامة نقض عهد أهل قبرص من قبل المسلمين، ومرجع رأيهم هذا أن الصلح وقع على أمر فيه شرط، فالمصلحة من وجهة نظر أبي إسحاق ومخلد تقتضي ألا يتمّ الغزو أو ينتقض العهد بما يؤسس لواقعة غير منتهجة من قبل، وما سوف يكون من تبعات على الموقف السياسي والشرعي للدولة العباسية، وإدخاله دائرة الإلزام السياسي فيما بعد من خلال العملية السياسية بقوة السلطة التي تتخذ هذا القرار. ثم يذكّرانه أن قبرص دخلت في صلح مع المسلمين، بل تدفع جزيةً للروم أيضًا –ولم يوفوا- ولم يتخذ المسلمون نحوهم إجراءً كإعلان الحرب، وهذا يعني أن اتخاذ إجراء الحرب عليهم من قبل لم يثبت، وأن الإخلال ونقض العهد سيؤدي قطعًا إلى إيجاد نوعٍ من عدم مصداقية الدولة العبّاسية، خاصة أن الأطراف الأخرى سيكون لديها سابقة في عدم التزام المسلمين.[2]

والإمامان بهذا الرأي وضعوا أمام عبد الملك بن صالح دقائق المتغيرات في الحاضر وما سوف يترتب عليه في المستقبل، عاكسين استيعابًا كاملًا لظروف المستجدات وملابساتها

(١) فتوح البلدان، ص١٥٨؛ الأموال، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) **موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد**: عبد الهادي العجمي، ص١٢٤.

والمشكلة موضع القرار، ولاشك أن جهادهم ورباطهم الطويل في الثغور أكسبهم معرفة مباشرة بهكذا حالات. وبما أنّ أمر الحرب وإجلاء أهل قبرص قرارٌ سياسيٌّ مناطه المصلحة لأمر المسلمين فهذا يعني شموله الموضوعيّ الذي يتّسع لجوانب الحياة الاجتماعية بجانب الأوضاع الحربية والسياسية التي قد يراها عبد الملك، ومن ثمّ يكون هناك حاجة لاستجلاءٍ أوضح لما سوف يترتب عليه اتخاذ قرار حرب أهل قبرص وإجلاءهم متجاهلًا المصلحة العامة. وبذلك استطاع ابو إسحاق ومخلد بن الحسين أن يضعا الصورة المستقبلية من خلال استنباطهما لها من حوادث سابقة، كأمر عربسوس وما حكم فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهما كذلك يضعفان رأي الأوزاعي إمامهما وأنه يرى أنهم أهل عهد فلا تستقيم محاربتهم وإجلاؤهم وهو ما يريانه أيضًا.[١]

وقد أنفذ عبد الملك بن صالح ما أشار به أغلب الفقهاء ولم ينقض عهد أهل قرص ولم يُجلهم، ويتّضح جليًا من هذه الحادثة عمق الصلة بين الدولة المكلّفة بحراسة الدين والدنيا وبين الفقهاء المعتبرين المكلّفين بمعالجة كافة القضايا المتعلقة بالغزو والسياسة على ضوء الشريعة الإسلامية. على أنّ أهل قبرص استمروا في نقض عهدهم وخرجوا عن حيادهم الذي صولحوا عليه، فكان ضروريًا أن تقطع الدولة العباسية خطرهم عن المسلمين، وهو ما حدث بالفعل حين قام الرشيد بحملته الكبرى على الدولة البيزنطية عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م والتي توجّه فيها لفتح هرقلة، إذ أمر حميد بن معيوف والي السواحل الشامية بغزو قبرص في اللحظة التي عبرت فيها حملة الرشيد البرية الأناضول إلى هرقلة. فأعمل فيها التخريب والتدمير، وسبى من أهلها ١٧ ألفًا فأقدمهم الرافقة وبيعوا فيها، وقد بيع أسقف قبرص بألفي دينار.[٢]

(١) موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد: عبد الهادي العجمي، ص١٢٤.

(٢) تاريخ الطبري، ٨/ ٣٢٠؛ دراسات تاريخية حربية عن الثغور البيزنطية العربية: هاشم الجاسم، ص١٨٤.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

- **في المراسلات.**

تشكل المراسلات بين الدولتين العباسية والبيزنطية طورًا تمهيديًا يسبق تحقيق الأهداف والغايات المرجوّة من الدبلوماسية الممثلة بالاتصال من خلال السفارات، وكان لهذه المراسلات أغراض متعددة بحسب الهدف الذي يرمي إليه. ويظهر الغرض الديني كواحد من أهم الأغراض التي خدمتها هذه المراسلات. والنموذج الذي نستشهد به في هذا الباب هو(رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من الخليفة هارون الرشيد إلى قسطنطين السادس Constantine VI ملك الروم)، وهذه الرسالة من الأهمية الدينية والفكرية والتاريخية بمكان عظيم، إذ تبرهنُ على المنظومة الدينية التي حكمت علائق المسلمين بالروم في خلافة الرشيد، ولذا أوردتها هاهنا مع أن كاتبها ليس من علماء الثغور ولا ثبت في المصادر أنه وردها لغزو أو غيره، ولا تقصد هذه المعالجة إلى تحليل دقيق لرسالة أبي الربيع بقدر ما تحاول قراءتها داخل سياقها التاريخي والفكري.

- **كاتب الرسالة:**

هو محمد بن الليث، كُنيتُه أبو الربيع، ويُعرفُ بالخطيب والفقيه وصاحب الرسائل وصاحب البلاغة. وهو من موالي بني أميّة، فمن قائلٍ إنه عربيٌّ من بني حصن، ومن قائلٍ أنه فارسيُّ الأصل يرجع نسبه إلى دارا بن دارا الملك، ويسوق نسبه كالتالي: محمد بن الليث بن ادرباد بن ميروز بن شاهين بن ادرهرمز بن هرمز سروشان بن بهمن بن افرندار.[1]

وكان أبو الربيع من أسمح خلق الله، بليغا مترسلا واسع الكلام، كاتبا فقيها، متكلما بارعا.[2]

واتصاله بخلفاء بني العباس سابقٌ وقديم، إذ لزم الخليفة المهديّ فترة من الزمن وكان كالوزير

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**، ٢/ ٣٤٥؛ **الفهرست**: محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٥٢.

(٢) **الفهرست**، ص١٥٢؛ **الوافي بالوفيات**، ٤/ ٢٦٨.

له،(١) وحين انتقض أهل خراسان في خلافة المهديّ عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م كان محمد بن الليث ممن جمعهم المهديّ لمشاورتهم في جمعٍ من وجوه بني هاشم وقادة الدولة، منهم العبّاس بن محمد عمّ المهديّ، وموسى الهادي وليّ العهد وأخوه هارون الرشيد، والفضل بن العباس ابن عمّ المهديّ، وعليّ بن الفضل، والربيع الحاجب، وسلّام صاحب دار المظالم.(٢)

ويبدو أن أبا الربيع استمرّ في ديوان الرسائل أيام الرشيد وكتب رسالته هذه في الشطر الأول من خلافته. إلا أن علاقته بالبرامكة كانت متذبذبة على ما يظهر، إذ تذكر المصادر تارة أنهم قدّموه وأحسنوا إليه، وتارة أنهم أبغضوه بحجّة ميله على العجم،(٣) وربما أدّى التنافس بينهما إلى هذا الاضطراب الذي تدعم الشواهد حاليه؛ إذ يورد الأندلسيُّ في عقده ردًا من محمد بن الليث على كتابٍ من جعفر بن يحيى البرمكيّ يستوصفه فيه الخطّ، ما يدلّنا على حسن العلاقة بينهما.(٤)

وتذكر المصادر أنّ محمد بن الليث رفع إلى الرشيد كتابًا يعِظُه فيه ويحذّره من استطالة أمر البرامكة في دولته، وأن هذا الكتاب كان ذا حدّين؛ إذ مثّل سببًا في تغيّر الرشيد على أبي الربيع أول الأمر، ثمّ شرارةً من الشرارات التي أوقدت غضب الرشيد على البرامكة، فيُروى أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويقول: إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئًا، وقد جعلتَه فيما بينك وبين اللهّ فكيف أنت إذا وقفت بين يدي الله، فسألك عما عملت في عباده وبلاده، فقلتَ: استكفيت يحيى أمور عبادك، أتراك تحتج بحجة يرضاها؟ مع كلام فيه توبيخ وتقريع. فدعا الرشيد يحيى بن خالد وقد تقدم إليه خبر الرسالة فقال: تعرف محمد بن الليث؟ قال: نعم. قال: فأي الرجال هو؟ قال: متهم على الإسلام. فأَمَر به فوضع في

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٤٥.

(٢) تاريخ الطبري، ٨/ ١٦٤؛ العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص١٦١-١٧٨.

(٣) الفهرست، ص١٥٢.

(٤) العقد الفريد، ٤/ ٢٧٧-٢٧٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

الحبس دهرًا. فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذَكَرَه فأمر بإخراجه فأُحْضِر. فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد أتحبني. قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : تقول هذا ! قال: نعم، وضعت رجلي في الأكبال، وحُلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت ولا حدث أحدثت، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله، ويحبّ الإلحاد وأهله، فكيف أحبك! قال: صدقت. وأمر بإطلاقه، ثم قال: يا محمد أتحبني؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ولكن قد ذهب ما في قلبي. فأمر أن يُعطى مائة ألف درهم، فأحضرت، فقال: يا محمد أتحبني؟ قال: أما الآن فنعم قد أنعمت عليّ وأحسنت إلي. قال : انتقم الله ممن ظلمك وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك. فقال الناس في البرامكة فأكثروا وأن ذلك أول ما ظهر من تغير حالهم.(1)

والظاهر أن أبا الربيع اعتزل العمل السياسيّ بعد خلافة الرشيد حتى خلافة المتوكل، إذ لم أقف على خبر له مع الأمين والمأمون والمعتصم، وذكر الثعلبيّ في تفسيره عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال: بعث المتوكل إلى محمد بن الليث رسولاً، وقد كان بقي مدة في منزله، فلمّا أتاه الرسول امتثل، فركب بلا روح خوفاً، فمرّ به رجل وهو يقول:

كم مرّة حفّت بك المكاره ... خارَ لك الله وأنت كاره

فلمّا دخل على المتوكل ولاّه مصر، وأمر له بمائة ألف وجميع ما يحتاج إليه من الآلات والدواب والغلمان.(2) ويبدو أنه ظلّ بها إلى وفاته في حدود سنة ٢٣٤هـ.(3)

ولمحمد بن الليث مصنّفاتٌ أغلبها في حكم المفقود، منها: الهليلجة في الاعتبار، الرد على الزنادقة، كتاب الخط والقلم، كتاب عظة هارون الرشيد، كتاب يحيى بن خالد في الأدب، كتاب جواب قسطنطين عن الرشيد-ويبدو أنه ذات الرسالة التي نحن بصددها-.(4)

(1) **تاريخ الطبري**، ٢٨٨/٨؛ **المنتظم لابن الجوزي**، ١٢٧/٩؛ **تاريخ الإسلام للذهبي**، ٧٨٤/٤-٧٨٥.

(2) **الكشف والبيان**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص١٣٨.

(3) **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفيست: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج٢، ص١٣.

(4) **الفهرست**، ص١٥٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

- **وصف الرسالة.**

طُبعت هذه الرسالةُ ثلاث طبعات منفردة وواحدة ضمنية _على ما أعلم_؛ فقد ورد نصّها ضمن الجزء الثالث من كتاب (جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة) للدكتور أحمد زكي صفوت، والذي نشرته المكتبة العلمية ببيروت عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.[١] وقد اقتبسها الدكتور أحمد كما ذكر من الجزء الثاني عشر من كتاب (اختيار المنظوم والمنثور لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور).[٢]

أما طبعاتها المنفردة فكانت الأولى من نشر (أسعد لطفي حسن) عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وقدمها له آنذاك (الشيخ محمد المراغي) شيخ الأزهر.[٣] وكانت الطبعة الثانية في باريس سنة ١٩٩٢م، مع ترجمةٍ فرنسية قام بها: هادي عيد.

IbnAbi a-lath, letter du CalifeHarun al-Rasidal,empereur (Constantine v1,(Arabic text and French translation trans. HadiEid (Paris 1992).

أما الطبعة الثالثة فكانت من تحقيق وتقديم الأستاذ (خالد محمد عبده) بنشرتها الأولى ضمن نشرات (مكتبة النافذة) بالجيزة لعام ٢٠٠٦م. وهي الطبعة التي اعتمدتها في مناقشة هذا الموضوع. وهذه النشرة تقعُ في اثنتين وستين صفحة، افتتحها المحقق بترجمة كاتبها محمد بن الليث وذِكْر مؤلفاته وطرفًا من أخباره في خمس صفحات، أوجز في آخرها كلامًا حول أهمية هذه الرسالة، وأن ما قام به تجاهها: "هو إعادة نشرها؛ نظرًا لندرة وجودها بين يدي الباحثين،

(١) ص٢١٧-٢٧٤.

(٢) لم أجد هذا الجزء من كتاب ابن أبي طاهر منشورًا بطبعةٍ مستقلّة.

(٣) **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة:٢٠٠٦م، ص٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

وعدم معرفة الكثيرين بها. ولما تمثله الرسالة من قيمة علميةٍ في حقل الدرس المقارن والعلاقات السياسية في باكورة الدولة الإسلامية".[١]

وهذه النشرات الأربع أعادت نشر نص رسالة أبي الربيع دون دراسة محتوياته، وإن كان الدكتور صفوت قد صوّب بعض الأخطاء وعلّق على البعض الآخر إلا أن طبيعة عمله لم تشمل مناقشةً لتفاصيل الرسالة.

على أنّ الدراسة الوحيدة التي وقفتُ عليها وتعرّضت لمناقشة شيء من أبعاد هذه الرسالة فهي دراسة الأستاذ: زهير بوحولي والموسومة بـ (**رسائل العالم الإسلامي السفارية إلى العالم البيزنطي في العصر العباسي الأول : رسالة هارون الرشيد إلى قسطنطين أنموذجا**)، وقد جاءت في عشر صفحات تقريبا ركّز فيها على أساليب الحوار المتّبعة في الجدل الديني والسياسي لدى أبي الربيع، غير أنه لم يتعرّض لمضامين الرسالة وظروف كتابتها.[٢]

ولاشك أن قيمة هذه الرسالة في تاريخ الفكر الإسلامي عاليةٌ جدًا، تتطلّبُ دراسة تفصيلية لكل جوانبها الدينية والتاريخية والسياسية والأسلوبية، وقد حاولتُ هنا أن أضع رسالة أبي الربيع في مكانها ضمن منظومة الجهاد الذي نهض به الخليفة هارون الرشيد.

- أهمية الرسالة.

تُمثّل رسالة هارون الرشيد إلى قسطنطين السادس Constantine VI شاهدًا معاصرًا على أن العلاقة التي ربطت بين المسلمين والروم في خلافة الرشيد لم تكن حربًا شعواء لا هدف لها، بل كانت مرتكزة على أسس دينية ثابتة ومنطلقة من مبدأ الجهاد في سبيل الله الذي يدعو العدو إلى الإسلام ثمّ الجزية فإن أباهما وجب قتاله بالسيف.

---

(١) السابق، ص٧.

(٢) بحث منشور ضمن ندوة (**التراث العربي والحوار الثقافي**)،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس، تونس ٢٠٠٧م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وقد اكتملت معالم الجدل الدينيّ من قبل المسلمين على عقائد النصارى في نهاية القرن الرابع الهجري، وكانت الردود المؤلّفة في القرون الموالية تُردِّدُ ما كُتب في القرون الأولى وخاصة في القرنين الثالث والرابع، ولم تزد في الغالب على التحليل ودعم الاستشهاد بالنصوص أو التعمّق في اتّجاهات سلكها الأقدمون.[١] وتتبع الدكتور عبد المجيد الشرفي النصوص التي تصدّت للرد على عقائد النصارى ورتّبها تاريخيًا، إلا أنه وضع رسالة أبي الربيع محمد بن الليث ضمن قائمة النصوص التي لم تصلنا،[٢] ولعل الشرفيّ لم يفُز بالاطلاع على هذه الرسالة خلال إنجازه لعمله. ويمكننا القول أن كلّ من صنّف في الردّ على عقائد النصارى بعد أبي الربيع قد اعتمد عليه في مناقشة الحجج والدلائل المثبتة لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. إذ هي أول مواجهةٍ فكرية إسلامية حقيقية ضد الروم، أسهب مؤلفها في بسط عقيدة التوحيد كما جاءت في القرآن الكريم، وبيّنها بالأدلة القوية والحجج البالغة، وأورد بعض البشارات ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاءت في الكتاب المقدس، فضلًا عن دحض مؤلف الرسالة عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام، وتفنيده لبعض الاعتراضات النصرانية المبكرة ضد الإسلام.[٣]

- ظروف بعث الرسالة إلى امبراطور الروم وأهدافها.

ذكر القاضي عبد الجبار نصًا مهمًا حول ظروف بعث الرسالة إلى قسطنطين السادس Constantine VI وطرفًا مما احتواه إذ يقول: "وقد كان هارون الرشيد ضغط الروم وحاصرهم في بلادهم، وأذلهم إلى أن أجابوا إلى أداء الجزية واتقوه بها، فأخذها منهم، وكتب

(١) **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**: عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٦م، ص٦.

(٢) السابق، ص١٦٣.

(٣) **أضواء جديدة على السفارة الثانية لملك السكسون أوتو الأول إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس**: علي بن محمد عودة الغامدي، نشر ضمن حصاد الندوة ١٧ لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م وعنوانها: (تاريخ الوطن العربي عبر العصور _ الوفود والسفارات)، ص٤٢٦.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

إليهم كتابا بيّن لهم توحيد الله وانفراده بالقدم وصدق نبيّه صلّى الله عليه وسلم، وذكر فيه قطعة كافية حسنة من أعلام النبوة وأنفذه إلى ملك الروم مع رجل من المعتزلة إما معمّر أو غيره، والكتاب من إنشاء أبي الربيع محمد بن الليث الكاتب القرشي...، وقد ذكر في هذا الكتاب آية الشهب وانقضاض الكواكب واستوفى الحجة فيها، ولم ينفذ هذا الكتاب إلى ملك الروم إلا بعد تصفح كتب الأعاجم واستقصاء كل ما يمكن أن يقال".[١]

يدلّنا كلام القاضي على أن الرسالة كانت مشروعًا دينيًا وفكريًا متكاملًا، أعدّ له الرشيد إعدادًا محكمًا من ناحيتي المضمون وشخصية الرسول وتوقيت الإرسال والأهداف؛ فاستوفى أبو الربيع الإعداد لمضمونها واضعًا فيها كلّ جهده العلميّ، وأنفذها الرشيد مع رجلٍ من المعتزلة-أيا كان اسمه-، والمعتزلة معروفون بمنهجهم العقليّ الفلسفي في المناقشات الدينية.[٢]

أما توقيت بعث الرسالة فيحدده القاضي بأنه بعد أن أذلّ الرشيد الروم وأخذ الجزية منهم، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا في الفترة التي انفرد فيها قسطنطين بالسلطة وهي من ١٧٤هـ وحتى ١٨١هـ، إذ لا يمكن أن يخاطب الرشيد قسطنطين بهكذا حجج إلا وهو بالغٌ السنّ الذي يؤهله للحكم وإعمال العقل.

وقد ذكر أبو الربيع في رسالته الأهداف التي بعث من أجلها الرشيد كتابه هذا إلى قسطنطين، ويمكن أن نستقرأها فيما يلي:

١.بيّن محمد بن الليث غرض أمير المؤمنين من كتابة هذه الرسالة بقوله: "أحبَّ –يعني أمير المؤمنين– أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك إلى ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهَّ﴾[آل عمران: ٦٤]، فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه أو تركتموه زهادة فيه، فاشهدوا بأنا مسلمون".[٣]

(١) **تثبيت دلائل النبوة**: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني(ت٤١٥هـ)، دار المصطفى، شبرا-القاهرة ٢٠٠٦م، ج١، ص٧٧.

(٢) **التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة**: سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، مجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع٤٠، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٦٠.

(٣)**أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص١٢.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

٢.لم تكن هذه الرسالة رسالة تعرض الدين على امبراطور الروم رغبة من أمير المؤمنين بدعوة الروم للإسلام فقط، إنما كانت على منهج الجهاد في الإسلام من دعوة إلى الدين، فإن أَبَوْا فالجزية، فإن أَبَوْا فالحرب. فإنه يقول بعد أن عرض عليه التوحيد ودلائله، ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائلها : "وإن أمير المؤمنين قد أحبَّ أن ينصح لك في أَوْلَى دارَيْكَ بك، وأهمِّ شَأنَيْكَ لك، فدعاك إلى الإسلام، وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار، فإن قبلت فحظك أصبت، ونفسك أحرزت، ولك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم. وإن رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الحظ في آخرتك، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح في عاجلتك: من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم، ويحرم بها سباءكم، ويجعلها قواما لمعاشكم، وصلاحا لبلادكم، وتوفيرًا لأموالكم، وأمنًا لجنابكم، وسعة لسربكم، وبركة على فقرائكم، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم".[1]

ثم يقول: "ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه وقذف الله على قلبه، من الإرادة والنية والرغبة في إيطاء الجيوش بلادكم، واستباء المقاتلة أرضكم، والتفرغ لكم من كل شغل، والإيثار لجهادكم على كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأنت طائعون أو كارهون، وتؤدوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون".[2]

٣.إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عرض أمير المؤمنين تلك الخيارات السابقة حسب منهج الجهاد في الإسلام؛ فإنه يبدو أن هذه الرسالة كانت في مستهل فترة انفراد قسطنطين بالحكم عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، وإلا فلماذا يكرر الخليفة عرض سياسته إن كانت هذه سياسة التعامل بين الطرفين أصلاً؟ الأمر يوحي بأن هذه الرسالة كانت توضيحًا لأسس العلاقات الثنائية بين الخليفة وامبراطور جديد لم يتعامل معه الخليفة بهذه الصفة من قبل.

(١) أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص٥٦.

(٢) السابق، ص٦٠.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

- **مضامين الرسالة.**

أولاً: الاستهلال:

افتتح الرسالة بمثل ما افتتح به الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته إلى عظيم الروم، فقال: "من عبدالله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى"،[1] ثمّ جاز إلى ذكر هدف الرسالة مباشرة بعد حمد الله تعالى.

ثانيًا: الأسلوب:

١. يعمد ابن الليث إلى أسلوب طرح الأسئلة، أو ما يُعرَف بـ (الفنقلة)[2]، فيضع السؤال ويجيب عليه، ويطلب الحجة والبينة ويأتي بها، وهذا الأسلوب من أحسن الطرق في نفي الشبهة عن الحجة .

٢. يحرص ابن الليث في خطابه إلى أن يوكِلَ المخاطَب إلى رأيه، وصِدْقِ نفسه، وعدالة منطقه، وحكمة رأيه،[3] وهو يصرِّح بهذا المنهج في الخطاب غير مرة، من ذلك مثلا قوله: "ليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجك فيه حاكمًا غير عقلك، ولا قاضيًا سوى نفسك، ولكنه يذكّرك الله الذي إليه معادك، وعليه حسابك".[4] وهذا أسلوبُ الواثقِ من الحق الذي معه، المعتدّ بعقلانية حججه وصراحةِ أدلّته، المحترِم لعقل وحكمة وتقدير من يخاطب، المخيِّر لا المجبِر.

---

(١) **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص١٢.

(٢) **الفنقلة**: كلمة منحوتة من (فإن قلت كذا، قلنا كذا)، وهو أسلوب يستعمله بعض العلماء لتقوية حججهم، والردّ على اعتراض يتوقعونه من القارئ. وقد اعتمد ابن الليث في هذه الرسالة على هذا الأسلوب. ينظر مثلا: **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص٢٠، ٢٢، ٣٣، ٣٨.

(٣) ينظر مثلاً: **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص٢٩،٢٠، ٤٢.

(٤) السابق، ص٢٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

٣. استشهد ابن الليث بأدلة عقلية أكثر من استشهاده بأدلة من القرآن، وحتى ما استشهد به من آيات القرآن الكريم لم يسقه من باب الاحتجاج؛ لأنه يحاجّ من لا يؤمن بالقرآن أصلاً، وصرَّح بهذا في خطابه لقسطنطين فقال: "ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن إلا بما عليه شاهد من برهان، ومخبر من بيان، لا يستطيع عقلك ردًّا له، ولا قلبك جحدًا له"،[1] وهذه الموضوعية والعقلانية في الجدل من أبجديات الحوار الحضاري.

٤. نجد في الرسالة تحذيرًا من اتباع رأي القساوسة والرهبان في غير موضع، والحثّ على التحرر من سلطتهم الفكرية على الامبراطور نفسه، والدفع بتفكير الامبراطور إلى أنه سيد عقله ورأيه، ولا ينبغي أن تكون للقساوسة أي سلطة عليه. من ذلك قوله متعجبًّا من سيطرة الأساقفة: "لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم"،[2] ويقول محرِّضًا الامبراطور على التحرر من تبعية الأساقفة: "لعمر الله لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك، واهتممت بالنظر في توحيدك، لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة، وأن الثلاثة لا تكون واحدًا".[3] وهذا ذكاء من أبي الربيع؛ ذلك أنه استغل الصراع الفكري العقدي الذي كان قائما آنذاك بين المؤيدين لعبادة الأيقونات المتشددين عقديا، والرافضين لتلك الأيقونات الذين كانوا يتمتعون بقدر من العقلانية والتحرر الفكري. وكان الجيش البيزنطيّ الذي وقف إلى جانب قسطنطين وساعده على الوصول إلى الحكم معارضًا لسياسة إيرين Irene الأيقونية، في حين أن الكنيسة ساندت إيرين في مذهبها الدينيّ وانحازت إليها في صراعها مع ابنها.[4] واستثمرت الدولة العباسية هذا الاضطراب الديني في توقيت إرسال هذه الرسالة وكأن عجب الرشيد

(١) أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص٣٧.

(٢) السابق، ص٤١.

(٣) السابق، ص٤٨.

(٤) **الدولة البيزنطية**: السيد الباز العريني، ص٢٢٥-٢٢٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

من ذهاب الأساقفة بقسطنطين وقومه كان عجبًا من تسلّط الكنيسة المنحرفة دينيًا وتبعيّتها للسلطة السياسية في آن واحد.

ثالثًا: القضايا المعالجة:

ناقشت الرسالة ثلاث قضايا رئيسية، ولكل قضية طرفان: عَرْضٌ لما عنده، ثم إِبْطالٌ لما عندهم.

١/ **قضية التوحيد،** وعرض ابن الليث في مناقشتها دلائل التوحيد في المخلوقات[١] وأورد آيات التوحيد من القرآن، وأتبعها بالاستشهاد بأدلة عقلية محسوسة وقراءة لدلائل التوحيد في الكون. كما تحدث عن خلق الإنسان، ومراحل تكوينه وأنه أكبر دلائل الوحدانية.[٢] وفي بداية حديثه عن دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، استفتح بالحديث عن أن التوحيد هو عقيدة كل المرسلين، كلٌّ في عصره، وبلسان قومه، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بشر بها عيسى عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.[٣]

كما ناقش ابن الليث الروم في تفاصيل عقيدتهم، وعرض الحجج على بطلان كل جانب أورده منها، فأبطل عقيدة التثليث، وهل المسيح روح أم جسد، وهل هو خالق أم مخلوق. مما يدلّ دلالة واضحة على معرفته المتسعة بكتبهم والجدل العقدي عندهم، وظهر هذا جليًا في أسلوب الفنقلة الذي اعتمد عليه في هذا الجانب أكثر من جوانب الرسالة الأخرى.[٤]

٢/ **قضية نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم،** فعرض الدلائل العقلية والكونية على صدق النبوة وأن القرآن وحي من الله لنبيه. وأورد شبهات منكري النبوة ودحضها، ثم

(١) أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص١٣-١٤.

(٢) السابق، ص١٥.

(٣) السابق، ص١٥.

(٤) السابق، ص٤٦-٥١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

استدل بأدلة من التوراة والإنجيل والزبور تذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتذكر مكة. واستغرق نقاش هاتين القضيتين كل الرسالة إلا سبع صفحات.

وفي حديثه عن دلائل النبوة ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم من مناداته للشجرة وإقبالها عليه، وتظلّم البعير، وكلام الذئب،(١) وغزوة بدر وما حدث فيها من معجزات، وغزوة الأحزاب وما حصل فيها من بشارة للمسلمين –وهم في أشدّ حال- بأنهم سيهزمون الأحزاب وسيفتحون قصور الشام وسيورثهم الله ملك كسرى.(٢) وعرض ابن الليث لشبهات منكري النبوة، ودحضها، من ذلك قولهم: إنما كان يعلّمه بشر، وإنه كان يعلم مواقع النجوم ومنازل الأبراج.

واستفاض ابن الليث في النقاش حول الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان له علم بالنجوم، ثم دلف منه إلى حديث موسع عن النجوم في القرآن والرواية والكتب، وكيف أنها من دلائل النبوة الصريحات.(٣) كما ناقش قضية (القرآن)، وأنه وحي من الله، وافترض شبهة تكذيبه والقول بأنه مصنوع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وردّ هذه الشبهة على منهجه في أسلوب الفنقلة.(٤) وتبعًا لهذا، عرضَ أحوال الصحابة في تفانيهم في الحفاظ على الوحي ونقْلِه لمن بعدهم.(٥)

واستطرد ابن الليث في ذكر عشر بشارات بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الزبور والتوراة والإنجيل قد طمسها النصارى من كتبهم المحرفة، بشكلٍ يُظهر سعة إلمامه بآياتها وما ورد فيها.(٦) وبهذا يعتبر محمد بن الليث أول من فصّل في البشارات الخاصة بنبوة الرسول صلى

(١) **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص٢٥.

(٢) السابق، ص٣٦.

(٣) السابق، ص٢٨-٣٢.

(٤) السابق، ص٤٣.

(٥) السابق، ص٤٤.

(٦) السابق، ص٥١-٥٥.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

الله عليه وسلم في الكتاب المقدّس. ونقتصر على ذكر واحدة من هذه البشارات إذ يقول: "من ذلك قول أشعيا: سبّحوا الربّ تسبيحًا حديثًا، ويسبُّحه من آفاق الأرض فرحٌ يكونُ في بني قيدار. وبنو قيدار قريش أهل فاران الذي نزل فيه القرآن، وأيتما أمة تسبّح في آفاق الأرض إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم عندي أكدى".[1]

٣/ **قضية الجزية**، حيث رغَّب قسطنطين في دفع الجزية، وذكّره بما فيها من منافع له ولقومه، وذكّره بالفداء الذي كان بين المسلمين والروم وما كان فيه من مكاسب للروم أكثر من المسلمين، ويبدو أن أبا الربيع يشير هنا إلى الهدنة التي عقدتها الدولتان عام ١٦٥هـ/ ٧٨١م بعد الحملة التي قادها الرشيد في خلافة والده المهديّ، إذ ما من إشارة إلى هدنة أو فداء جرى في مُستهلّ خلافة الرشيد إلى عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م، ولعل ما يؤكد ذلك أن الامبراطورة إيرين Irene بعد عقدها تلك الهدنة تفرّغت نوعًا ما لقتال الصقالبة، وسحبت قطعات من جيشها من آسيا الصغرى لإخماد هذه الثورة في مقدونية وبلاد اليونان.[2]

ثمَّ أبلغ محمد بن الليث قسطنطين بوعيد أمير المؤمنين بالحرب إن عاد الروم إلى نكث العهد مع المسلمين.[3] وفي ختام حديثه عن الجزية عاد ابن الليث ليؤكد على أن الغرض غرض دينيّ قبل كل شيء، فقال: "واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها –يعني الجزية– لحاجة به إليها ولا للمسلمين، ولكن طاعةً لربه، وأثرة لحقه".[4] فيؤكد أبو الربيع أن الجزية التي يدفعها الروم لا تمثّل حالة كسبٍ ماليّ يُعوّل عليه للدولة العباسية، فهي مهما كان مقدارها لا تشكّل إلا جزءً يسيرًا من موارد العباسيين، بل إن غايتها بالأساس كانت غاية دينية سياسية .

---

(1) أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص٥٣.

(2) الروم في سياستهم وحضارتهم: أسد رستم، ١/ ٢٩٦.

(3) أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص٥٦-٦١.

(4) السابق، ص٦١.

وإن كان هذا من الناحية العملية لا يعني خضوع الامبراطورية البيزنطية لسيطرة وإدارة الدولة العباسية، فالامبراطورية كانت مستقلة في شؤونها الداخلية والخارجية. وإنما مثّلت الجزية حالة تفوق الجانب العباسي على الجانب البيزنطي، وأن ميزان القوى لصالحهم، وتذكر العدو دائمًا بضعفه مما يحول دون أي تهوّر وعدوان منه.(١)

- **شخصية الكاتب من خلال رسالته:**

يظهر مما سبق أن محمد بن الليث كان على علم عميق بأمور العقيدة والجدل فيها، ومطلع على كتب النصارى دارس لها، وعارفٌ بمواضع الشبهات، عالمٌ بأجوبتهم عليها، متهيّئٌ لمناظرتهم فيها. ويظهر هذا جليًّا في افتراضاته للأجوبة التي يقولونها على الشُبهات التي عرضها، فهو يطرح السؤال، ثم يفترض إجابتهم عليه، ثم ينقض إجابتهم تلك.(٢)

كما أن في الرسالة إشارات واضحة دالة على أن ابن الليث كان يعرف لغة القوم، فهو يترجم بعض المفردات في كتبهم، من ذلك تفسيره لنص من التوراة أورده في معرض سوقه لدلائل النبوة، يقول النص: **"جاء الله تبارك وتعالى من سيناء، وأشرف من ساعير، واستبان من جبال فاران، وجاء عن يمينه ربوات القديسين"**، قال ابن الليث: "وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في جبل **(ساعير)** وهو جبل بالشام، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال **(فاران)**، وهي جبال مكة، وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا، وتعرفونه جميعًا بلغتكم".(٣)

---

(١) **العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول**: موفق سالم الجوادي وعبد المنعم رشاد، مجلة المورد، ع٢، مج٣٢، العراق ٢٠٠٥م، ص٣٥.

(٢)**أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ص٤٦-٥١.

(٣) السابق، ص٥٤.

وقال أيضًا في الاستدلال على النبوة: "من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم، وبيَّنه في الإنجيل لكم، إذ قال للحواريين: أنا أذهب، وسيأتيكم **البارقليط** روح الحق، الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول كما يقال له. وهو يشهد عليّ، وأنتم تشهدون؛ لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة، وكل شيء أعد الله يخبركم به". وترجمة **(البارقليط): أحمد**، هذا ما لا شك ولا مرية فيه".[1]

وبعد هذا الاستعراض لرسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي بعث بها هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، يبرز لنا بشكل واضح تكامل الفكر الجهاديّ للدولة العباسية في عهد الرشيد، هذا الفكر المنبثق من قواعد إسلامية رصينة اتّسقت في تطبيقاتها أدوار العلماء والخلفاء والقادة والكُتاب، ومثّلت ذروة ما وصل إليه المسلمون من قوة سياسية مرتكزة على القوة الدينية، فحين نشطت حرب الثغور وبلغت أوجها في خلافة الرشيد، سار إلى جانبها وعلى خطّ موازٍ تمامًا نشاطٌ دينيٌّ فكريٌّ هدف إلى إقامة الحجة على الدولة البيزنطية عقديًا. وكانت هذه الرسالة أول مواجهة دينية فكرية سجّلها التاريخ بين المسلمين والروم.

[1] أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_، تقديم: خالد محمد عبده، ص٥٢.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثاني:

دور العلماء في تأصيل الفكر الجهادي من خلال المصنّفات.

لم يكن جهاد العلماء في الثغور الشامية عملًا عشوائيًا قادت إليه الحماسة الدينية المجرّدة من الوعي، بل كان عملًا مؤصلًا ينبثق من منظومة إسلامية شاملة، أسهم هؤلاء العلماء في تقنين جوانبها عن طريق المصنفات العلمية التي وضعوها لتأصيل فكرة الجهاد ولمعالجة المسائل الراهنة والطارئة برؤية واضحة. ومما يزيد من قيمة هذه المصنفات وأهميتها أن واضعيها من العلماء المباشرين لحركة الجهاد الإسلامي في القرن الثاني الهجري، وهما الإمام أبي إسحاق الفزاريّ والإمام عبد الله بن المبارك.

- **كتاب السير لأبي إسحاق الفزاري.**

يعد هذا الكتاب واحدًا من مصادر الفكر الإسلامي الأولى، التي اقتبست من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين لمواجهة المشكلات الحضارية التي كانت تعترض مرحلة التأسيس والبناء للحضارة الإسلامية المتميزة. فقد ألّف أبو إسحاق كتابه هذا في المرحلة الأولى من مراحل التدوين في الحضارة الإسلامية وفي وقت قريب من تأليف موطأ مالك وسيرة ابن إسحاق وأضرابهما، وشكّل واحدًا من أهم الركائز الفكرية التي أثرت في الأمة الإسلامية في قضية هامة من قضاياها المستمرة المتجددة وهي: قضية النظام العسكري وشؤون الحرب بكل ما يضمه ويحتاج إليه، والعلاقات الدولية بين الأمة وغيرها من الأمم. وقد اقتبس الأئمة المتقدمون نصوصًا من هذا الكتاب، وأشهر من نقل عنه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد بن حنبل، وابن جرير الطبري في (تهذيب الآثار)[1].

ويعد كتاب السِّيَر للفزاريّ من كتب الطبقة الأولى المنهجية التي وضعت في الإسلام، ومن خلاله يمكننا بناء حكم دقيق عن مناهج التأليف في القرن الثاني الهجري من ناحية الأسانيد

(1) ينظر: **استهلال محقق كتاب السير** لأبي إسحاق الفزاري، ص٧-١٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

واتصالها ورجالها، وتبويب هذه الكتب وترتيبها وتقسيمها وكيفية استنباطهم الأحكام من النصوص، وهو أمرٌ مهم جدًّا لمعرفة قواعد ومنطلقات التفكير الإسلامي.

وكتاب السِّيَر لأبي إسحاق هو أوَّل وأقدم كتاب يعالج موضوع المغازي والسير والجهاد وأحكامهما، وما يتعلق بذلك من نفير، وتجهيز عدة، وعقد ألوية، وترتيب صفوف، وحمل في سبيل الله، وكر وفر، وقسم وغنيمة، وتحريم غلول، وبيان حكم المرتد، وعلاقة المسلمين بأهل الذمة والمحاربين(١).

ومن هذه الأوليّة التي تميَّز بها في بابه، والمنهجية العلمية التي سار عليها تنبع القيمة العلمية والفكرية لهذا الكتاب، أما قيمته المعنوية فتنبع من أنه يُعَدُّ شاهدًا على عمق التزام العلماء وشعورهم بمسؤوليتهم في الصدّ عن مقدسات الإسلام؛ ذلك أن أبا إسحاق الفزاري كان إمامًا مجاهدًا، يخوض المعارك إذا ما كان الأوان أوان حرب، ويعود مربيًّا معلمًّا إذا ما وضعت الحرب أوزارها، يمدّ القيادة العسكرية بخبراته وتجربته، ويضع معالم واضحة تُمَنْهِجُ درب الجهاد وتبيِّن أصوله وأحكامه، لتلاميذه ولمن بعده من المثاغرين، فهو إذن يعيش حوادث الجهاد وينطلق من واقعيتها.(٢)

وعلى الرغم من أن الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٦هـ) قد أَلّف كتابه (السِّيَر) في ذات الفترة التي وضع فيها أبو إسحاق كتابه، إلا أن منهج الكتابين يختلفان تمام الاختلاف؛ فكتاب الإمام الشيبانيّ مطبوع بطابع كتب أهل الرأي في تلك الفترة: تعتمد الحديث الشريف في نطاق محدود، ولكنها تكثر الاستنباط والتنظير، وتنقل رأي الإمام أبي حنيفة وصاحبه أبي يوسف القاضي رحمهما الله، ولا تخلو من قوة في الاستنباط وحجة في الاستدلال؛ ولذا تجد النصوص في كتاب الإمام محمد قليلة، وهو في جملته آراء اجتهادية.

(١) ينظر: تقويم الكتاب، ضمن دراسة المحقق **لكتاب السير**، ص٧٧ ٧٨.

(٢) ينظر: استهلال محقق **كتاب السير** لأبي إسحاق الفزاري، ص٧-١٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

وقد جاء كتاب الفزاريّ على العكس من هذا، فهو يستدل على مسألة بحديث شريف، فإن لم يجد فبقول صحابيّ، ثم يدلل عليها بما جاء عن التابعين حتى ينتهي إلى شيوخه كالأوزاعيّ والثوريّ وغيرهم ممن كانوا يلتزمون النصوص ويقتفون الأثر. **ويترتب على هذا، أن كتاب السِّيَر لأبي إسحاق الفزاريّ مصدر أصيل لمعرفة فقه السلف من الصحابة والتابعين في موضوع الجهاد**، مع إبداع في الترتيب وإحكام في الوضع، وهذا ما دعا الشافعيّ أن يفضّله على كل كتاب أُلِّفَ في عصره في هذا الموضوع فقال: "لم يصنّف أحد مثل كتاب أبي إسحاق الفزاريّ"[1]، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإمام الشافعي تتلمذ على يد الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأخذ عنه، ولا شك أنه اطلع على كتابه (السير)، لكنه فضّل كتاب أبي إسحاق عليه.[2]

وشهد ابن تيمية برفعة مقام كتاب أبي إسحاق في بابه فقال: "وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد، فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم؛ ولهذا عظّم الناس كتاب أبي إسحاق الفزاريّ الذي صنَّفه في ذلك"[3].

إنّ كتاب أبي إسحاق الفزاريّ يُعدُّ بحقّ خزانة مهمة لمعرفة مذاهب جملة من الأئمة المجتهدين الذين أثروا حركة الاجتهاد في القرن الثاني الهجري، كالأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، حيث ضمّ الكتاب كثيرًا من آرائهم في الحرب والجهاد والسير والعلاقات الدولية وما يتعلق بذلك. وهو بصفة خاصّة خزانة فقه الإمام الأوزاعيّ والإمام الثوريّ باعتبار المؤلف تتلمذ عليهما وأكثر من النقل عنهما، وتبرز فيه نوعية العلاقة التي كانت بين العلماء في القرن الثاني الهجري، إذْ يقدّم دليلا قاطعًا على قدم الرسائل العلمية التي كان يتبادلها العلماء، فكثيرًا ما يقول الفزاري: وكتبت إلى الأوزاعيّ فأجابني...، ومثله الثوري.

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ١٣٢؛ سير أعلام النبلاء، ٨/ ٥٤٠.

(٢)ينظر: تقويم الكتاب، ضمن دراسة المحقق **لكتاب السير**، ص٧٨-٠٧٩

(٣) مقدمة في **أصول التفسير**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٦٠.

وتميزت النصوص الحديثية التي أوردها الفزاريّ في كتابه بالأسانيد العالية التي ليس بينها وبين المؤلف والرسول صلى الله عليه وسلم إلا الصحابيّ والتابعيّ. كما قدّم هذا الكتاب نصوصًا أصيلة عن الفتوحات الإسلامية الأولى، كقبرص، وبلاد فارس، وبلاد المغرب، وعن قيادة هذه الفتوحات، وعلاقة القيادة بمركز الخلافة في المدينة المنورة أو الشام، كالنص الذي ساقه عن عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، والخصومة مع قائد الجيش سلمان بن ربيعة، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم، وما أبداه من حكمة وبعد نظر(1).

إن هذا الكتاب يؤكد على قدرة الإسلام على مجابهة المشكلات التي تعترض سبيل البشرية، فيقيض الله طائفة من أهل العلم للقيام بأداء الأمانة وبيان عن الله تعالى وعن الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم هذه المشكلات، فقد جابهت مشكلة الغنائم والعلاقات الدولية المجتمع الإسلامي في القرن الأول، وظهرت مشكلة الذميين بقوة في القرن الثاني، ومعها مشكلة الزندقة والإلحاد، فقام علماء الإسلام بواجبهم، وألّف الفزاريّ كتابه هذا، ورابط مع المجاهدين، مجاهدًا ومعلّمًا، وسدّ ثغرة فكرية، وجانبًا مهمًّا من العلم والمعرفة في عصره(2).

- كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك.

يعتبر الإمام ابن المبارك من الأوائل السابقين الذين أسهموا في تأليف الكُتب في الحضارة الإسلامية، وقد عدّه الرامهرمزي ضمن أوّل من صنّف وبوّب من رواة الفقه في الأمصار،(3) وهو إلى ذلك من أكثر علماء الأمة حرصًا على الكتابة التصنيف، وقد سُئل عن كتابة العلم فقال: لولا الكتابة ما حفظنا.(4) وقال ابن سعد في الطبقات: "روى رواية كثيرة وصنف كتبًا

---

(1) ينظر: تقويم الكتاب، ضمن دراسة المحقق **لكتاب السير**، ص٨٠- ٨١.

(2) ينظر: تقويم الكتاب، ضمن دراسة المحقق **لكتاب السير**، ص٨٤.

(3) **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**: لحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط٣، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ، ص٦١١-٦١٢.

(٤) **المحدث الفاصل**، ٣٧٧/١.

كثيرة في أبواب العلم وصنوفه حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم".(١) وقد كانت كتبه التي صنّفها في مختلف فنون العلم تشهد بثقافته الواسعة ومعارفه المتشعّبة، حيث ألمّ بثقافة عصره أحسن إلمام، فقد دوّن العلم في الأبواب والفقه والغزو والزهد والرقائق وغير ذلك من صنوف العلم والمعرفة.(٢)

وقد استحسن مؤلفات ابن المبارك كثير من العلماء وقالوا بأنها تصانيف نافعة(٣)، واعتمدوا عليها وحفظوها، وممن اهتمّ بحفظها الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الذي حفظها وهو ابن ست عشرة سنة قبل خروجه لطلب الحديث.(٤)

وكانت مصنّفات ابن المبارك من الدقّة بمكان حتى إن يحيى بن آدم قال: كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيستُ منه.(٥)

وقد ذكرت كتب التراجم أن ممن صنّف في الجهاد كتابًا مستقلًا عبد الله بن المبارك، وأن كتابه هذا هو أوّل مصنّف أُلّف في بابه. قال حاجي خليفة: "كتاب الجهاد للإمام : عبد الله بن مبارك الحنظلي المتوفى سنة ١٨١هـ وهو أول مؤلف ألف فيه".(٦) وذكر الكتّاني في الكتب المفردة في أبواب مخصوصة: "الجهاد لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي الحنظلي، مولى بني حنظلة التميمي، من تابع التابعين، الحافظ أحد الأعلام، المتوفى بهيت - وهي مدينة على الفرات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائة وهو أول من صنف في الجهاد".(٧)

---

(١) ٣٧٢/٧.

(٢) **تذكرة الحفاظ**، ٢٠٢/١.

(٣) **تذكرة الحفاظ**، ٢٠٢/١.

(٤) **تاريخ بغداد**، ٣٢٥/٢.

(٥) **تاريخ بغداد**، ٣٩٢/١١.

(٦) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢، ص١٤١٠.

(٧) **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: مُحَمَّد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي المعروف بالكتاني (ت١٣٤٥هـ)، تحقيق: مُحَمَّد المنتصر بن مُحَمَّد الزمزمي، ط٦، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٨.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

كما ذكر الذهبي في ترجمة سعيد بن رحمة بن نعيم المصيصيّ أنه أحد رواة كتاب الجهاد عن ابن المبارك.(١) مما يؤكد على استفاضة شهرة هذا الكتاب.

وجمع ابن المبارك في كتاب الجهاد ٢٦٦ روايةً تحثّ على الجهاد،(٢) منها ٧١ رواية مرفوعة(٣) إلى النبي صلى الله عليه وسلم، و٢٨ رواية مرسلة(٤) ومنها المعضل(٥)، و٨٧ رواية موقوفة(٦) على الصحابة رضوان الله عليهم، و٨٠ رواية مقطوعة(٧)، وكلها مما يرغّب في الجهاد والشهادة في سبيل الله ويبين فضل المجاهدين والشهداء وما أعدّه الله لهم من عظيم الإكرام وعلوّ المقام.(٨) وقد نشر كتاب الجهاد وحقق أصوله الدكتور نزيه حمّاد سنة ١٩٧١م عن نسخة وحيدة في العالم محفوظةٍ في مكتبة لابيزج بألمانيا تحت رقم ٣٢٠.(٩)

والمتأمل لكتاب ابن المبارك حيثما وقعت عينه وقع على كنز، إذ فيه من الأحاديث وقصص جهاد الصحابة والتابعين ما يرفع الهمم إلى الصدق مع الله تعالى، وكأن ابن المبارك بمباشرته للجهاد بالثغور الشامية عرف ما يحتاج إليه المؤمن من إعداد عقيدته العسكرية، وأنها لن تتشكّل كما يجب إلا من أهم مصادرها (الكتاب والسنة)، ولن ترسخ وتقوى إلا إن سعى إلى ساحات القتال سعي الـمُعاين الموقن بالنعيم المقيم.

---

(١) **ميزان الاعتدال**، ٢/ ١٣٥.

(٢) **كتاب الجهاد**: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة ،

(٣) **الحديث المرفوع**: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة. ينظر: **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير**: أحمد محمد شاكر، عني به: بديع السيد اللحام، ط٣، دار الفيحاء، دمشق ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٥٤.

(٤) **المرسل**: هو الحديث الذي رواه التابعيّ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم وسقط من سنده الصحابيّ. ينظر: **الباعث الحثيث**، ص٥٧.

(٥) **الحديث المعضَل**: هو الحديث الذي سقط من إسناده راويان فأكثر، ومنه ما يرسله تابع التابعيّ. ينظر: **الباعث الحثيث**، ص٦٠.

(٦) **الموقوف**: هو ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسميه كثير من الفقهاء والمحدثين أثرًا. ينظر: **الباعث الحثيث**، ص٥٥.

(٧) **المقطوع**: هو الموقوف على التابعين قولًا وفعلًا. ينظر: **الباعث الحثيث**، ص٥٥.

(٨) **عبد الله بن المبارك الإمام القدوة**: محمد عثمان جمال، ص١٦٥؛ **الإمام عبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ) المحدّث الناقد**: محمد سعيد بن محمد بخاري، مكتبة الرشد، الرياض، ص٥٨.

(٩) **كتاب الجهاد** لابن المبارك، ص٤٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

ولاشك أن كتاب الجهاد كان من ضمن الكتب التي قرأها ابن المبارك على المثاغرين في مساجد طرسوس والمصيصة وفي أثناء الغزو أيضًا لتكون معاني الجهاد وقيمه أصيلةً ومنبثقة من أصول الدين الحنيف، ومشتملةً على أقوال وتطبيقات سيد المجاهدين صلى الله عليه وسلم ومن تخرّج من مدرسته النبوية من الصحابة والتابعين، وليكون التطبيق المباشر من العالم المجاهد الراوي لهذه التطبيقات خير دليل على أن الجهاد قولٌ وفعل وعلمٌ وعمل، ومن ثمّ يقتدي به تلامذته المرابطون والمجاهدون، ويبقى كتابه هذا نبراسًا لمن بعدهم من خَلَف هذه الأمة، وشاهدًا على أن "العود الأحمد إلى العقيدة العسكرية الإسلامية هو طريق النصر والعزة والمجد".[1] وسنرى في المبحث القادم أثر ذلك كله على حياة المجاهدين.



(1) **العسكرية العربية الإسلامية-عقيدة وتاريخًا وقادة وتراثًا ولغةً وسلاحًا-**: محمود شيت خطاب، كتاب الأمة (سلسلة دينية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر)، صفر ١٤٠٣هـ، ص٦٢.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الثالث: أثر العلماء على حياة المجاهدين في الثغور.

استقرّت أوضاع الثغور الشامية في خلافة الرشيد إلى حدّ بعيد، وكان للجهود التي بذلها الرشيد تجاه إفرادها بنظام إداريّ مستقلّ دورٌ في ذلك، إضافة إلى تحصينها وشحنها بالمقاتلة من جميع أقاليم الدولة الإسلامية وتعاهدها بالعمران والتقوية المستمّرة. وقد أدى الاستقرار السياسي والأمنيّ لمنطقة الثغور الشامية إلى تزايد أفراد المجتمع الثغري، فانضاف إلى المقاتلة الذي استقدموا من مختلف أقاليم الدولة الإسلامية أعدادٌ كبيرة من القادمين الجدد الذين كرّسوا حياتهم للغزو والجهاد، وأصبح سكان الثغور خليطًا متنوعًا بين العرب والعجم من أهل خراسان والشام والجزيرة إضافة إلى الزطّ[١] والجراجمة[٢].

ومما ساعد على تنامي المجتمع الثغري ازدهار الحياة الاقتصادية؛ فعلى الرغم من استمرار الحروب بين العباسيين والبيزنطيين في مناطق الثغور وما نتج عن هذا الصراع من آثار سلبية أدّت في أوقات الحرب إلى تعطيل الزراعة وعرقلة التجارة وتشريد السكان؛ إلا أن مدن الثغور التي قامت في الأساس كحصون دفاعية استطاعت الوقوف ضد تدمير المنطقة وإفقارها، فضلًا عمّا كان ينشط في أوقات السلم من حِراكٍ اقتصاديّ فاعل.[٣] وكان لموقع الثغور الاستراتيجي في ملتقى طرق المواصلات التجارية العالمية دورٌ كبير في هذا الازدهار، بل إن الثغور الشامية كانت مراكز تجارية هامة في سهول قيليقية،[٤] ومما شجّع على تنشيط الاقتصاد أن مدن الثغور كانت معفاةً من الضرائب لصفتها الدفاعية، فأصبحت هذه المدن –

---

(١) **قبيلة الزطّ** أصلها من الهند، أتى بهم الحجاج بن يوسف الثقفي من زط السند فقدموا مع أهلهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم الشام. واللفظ العربي آتٍ من الهندية (جط)، وقد وجد بعض العلماء قومًا من الزط في إقليم المستنقعات من الهند الشمالية جنوبي مصبّ نهر الأندس وهم خلف الأولين يعيشون هناك إلى اليوم. واللغة المستعملة في هذا الإقليم تسمى في بلوخستان الشرقية والبنجاب العربية لغة الجطّ. ينظر: **فتوح البلدان**، ص١٦٢؛ **العرب والروم**: فازيلييف، ص١٩٦.

(٢) **الجراجمة** قومٌ من النصارى يُنسبون إلى مدينة الجرجومة على جبل اللكام بين بياس وبوقا، وكانوا يُصالحون المسلمين على الروم أحيانًا ويمالؤون الروم أحيانًا أخرى. ينظر: **فتوح البلدان**، ص١٦٠.

(٣) **الثغور ودورها العسكري والحضاري**: توفيق سلطان اليوزبكي، مجلة آداب الرافدين، ع١١، العراق ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٤) **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص١٦٢.

وخاصّة طرسوس- منذ نهاية القرن الثاني الهجريّ منفذًا تجاريًا ممتازًا للمنتجات الإسلامية والبيزنطية على حدّ سواء، ولأية بضاعة أخرى تمر عبر أراضي الدولتين.(١)

وبجانب المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها منطقة حوض البحر المتوسط، وما تمتعت به مدن الثغور الشامية من خصوبة التربة والخضرة الدائمة ووفرة مياهها سواء من الأنهار أو الأمطار،(٢) فإن مدن الثغور تميّزت بأنواع من الصناعات التي كانت تُحمل منها إلى مختلف الأصقاع، إذ اشتهرت بعمل نوع من الثياب تسمى الشفايا وهي من الثياب الرقيقة الرفيعة، ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل بالثغور.(٣) فيما اشتهرت طرسوس خاصة بصناعة الأسلحة، كما كان يصنع فيها الورق والكاغد في البرج الذي يلي زاوية الحبالين،(٤) واشتهرت المصيصة بالفراء المصيصية غالية الأثمان التي قد يبلغ الفرو الواحد منها ثلاثين ديناراً، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ بثمنها أيضًا.(٥)

ونتيجة لهذا الاستقرار العام أصبحت مدن الثغور الشامية بلا استثناء قواعد الإسلام المتقدمة على الحدود مع الروم، فتدافع إليها الناس من بقاع العالم الإسلامي للجهاد والعلم والتجارة، كما أصبحت لها وقوفات في سائر بلاد الإسلام وخاصة في حلب تمدّها بالأموال لصرفها في حركة الجهاد، وتردها الجرايات والصلات، وتدرّ على أهلها الأنزال والحملان العظيمة الجسيمة، إلى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين، وأصبحت موئلا للعلماء

(١) **ثغر طرسوس بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي ١٧٠-٣٥٤هـ/ ٧٨٦-٩٦٥م**: أمينة البيطار، مجلة الفيصل، ع٢٤٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦-١٩٩٧م، ص٧٣.

(٢) **الثغور البرية الإسلامية**: علية الجنزوري، ص١٦١.

(٣) **بغية الطلب**، ١/ ١٥٦و١٨٠.

(٤) **بغية الطلب**، ١/ ١٨١.

(٥) **بغية الطلب**، ١/ ١٥٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

والصالحين والمجاهدين، وزخرفت مدن الثغور بالمساجد الجامعة، والدور والأوقاف والأربطة والأسواق.[1]

وكان العلماء عنصرًا أساسيًا من عناصر المجتمع الثغري، لم يعتزلوه للجهاد بل حققوا الجهاد بصورته الحقيقية حين أسهموا في إثراء المجتمع على جميع الأصعدة. وتفاوتت الوضعية الاجتماعية للعلماء المجاهدين؛ فمنهم من كان ذا تجارة ويَسَار، ومنهم من كان من أصحاب الحرف المختلفة. فكان عبد الله بن المبارك غنيًا ذا مال وثروة وكان ينفق على أصحابه وطلاب العلم والمتعففين ويكرمهم. وقد راجعه الفضيل بن عياض في ذلك مرة فقال له: يابن المبارك، أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من خراسان إلى البلد الحرام، فكيف ذا؟ فقال له ابن المبارك: يا أبا عليّ، إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقًا إلا سارعت إليه حتى أقوم به. فقال له الفضيل: يابن المبارك، ما أحسن ذا إذا تمّ ذا.[2]

كما يمكن أن نعتبر الإمام أبا إسحاق الفزاري من أهل اليسار وإن لم تتحدث المصادر عن تفاصيل حياته الاقتصادية، ومما يدلّنا على ذلك ردّه على الخليفة الرشيد مشيرًا إلى غنى عائلته المتوارث حين كافأه بأعطية فقال: "يا أمير المؤمنين، نحن أهل بيت وفي سعة، أنا رجل من ولد أسماء بن خارجة الفزاري".[3]

وقد حرِص كثير من علمائنا المجاهدين على أن تكون لهم حرفةٌ يتكسّبون منها، وذلك لأنهم كانوا يَرَوْن أن البعد عن السلطان، والنجاة من الرياء وصوْن ماء الوجه لا يكون إلا لمن ملك من الكفاية المالية ما يسدّ به حاجته للترفّع عن ذلّ السؤال، وكان إبراهيم بن أدهم يقول للرجل من الغزاة المرابطين بطرسوس: اكتسب، فإن لم تفعَل احتجْتَ فداهنتَ الناس للطمع

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور: جميل عبد الله محمد المصري، مجلة الجامعة الإسلامية ، ع٧٧و٧٨، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١١٢.

(٢) تاريخ بغداد، ١١/ ٣٩٧.

(٣) الجرح والتعديل، ١/ ٢٨٤؛ تاريخ دمشق، ٧/ ١٣٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

والحاجة، فتخَالف حينئذٍ الحقّ وأهله.(١) وورد أن عبد الله بن المبارك لمّا فُقِدت له بضاعة بكى، وقال: هي قوام ديني.(٢) وكان عتبة الغلام يقول: لا يُعجبني رجلٌ لا يحتَرِف.(٣) ورُوي أن رأس ماله كان فِلسًا يشتري به خوصًا(٤)، فيعمله ويبيعه بثلاثة فلوس؛ فيتصدّق بفلس، ويتعشّى بفلس، وفلسٌ رأسُ ماله.(٥) وكان يوسف بن أسباط يطحن الشعير بيده ويأكل منه.(٦) وكان أبو يوسف الغسولي يعمل في الحصاد.(٧) وبلغ من اهتمام علمائِنا المجاهدين بالعمل والتكسّب وكفاية النفس أن جعلوا ذلك من شروط صحبتهم، فقد روى الحسن بن الربيع(٢٢١هـ)- شيخ البخاري ومسلم- قال: قال لي عبد الله بن المبارك: ما حِرفتُك؟ قلتُ: أنا بورانيّ. قال: وما بورانيّ؟ قلت: لي غلمانٌ يصنعون البواري(٨). قال: لو لم تكن لكَ صناعةٌ ما صحبتني.(٩)

على أن أكبر تأثير للعلماء في حياة المجاهدين كان من الناحية العلمية باعتبارهم القادة الفكريين الذين يُعوّل عليهم في تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، ويمكننا القول بأن العلماء المجاهدين في الثغور الشامية خلال خلافة الرشيد مثّلوا نواة الحركة العلمية في هذه المنطقة، وكان علمهم وجهادهم ومصنفاتهم أساسًا للنهضة الفكرية والعمرانية التي وصلت إليها منطقة الثغور وخاصة في القرن الثالث حتى سقوطها بيد الروم منتصف القرن الرابع الهجري، وتحوّلت مدنها بلا استثناء إلى مراكز علمية وجهادية يفدُ إليها طُلّاب العلم والجهاد والرباط

---

(١) **بغية الطلب**، ٧/ ٣٤٦٨.

(٢) **صيد الخاطر**: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، ط١، دار القلم، دمشق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٠٣.

(٣) **تاريخ الإسلام** للذهبي، ٤/ ٤٥٢.

(٤) **الخوص**: ورق النخل. ينظر: **لسان العرب** (خ و ص)، ٧/ ٣٢.

(٥) **تاريخ الإسلام** للذهبي، ٤/ ٤٥٢.

(٦) **تاريخ دمشق**، ٨/ ٩٦.

(٧) **حلية الأولياء**، ٧/ ٣٧٨.

(٨) **البارية وجمعها بواري**: الحَصيرُ المَنْسوجُ. ينظر: **القاموس المحيط**، مادة (ب و ر)، ص٣٥٤.

(٩) **الجرح والتعديل**، ١/ ٢٦٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

من كافة أقاليم الدولة الإسلامية، وخرّجت عددًا هائلًا من العلماء إذ كانت مساجد الثغور بمثابة جامعات للعلم في أوقات السلم، ونقاط انطلاق في أوقات النفير والحرب.

وقد حرص علماؤنا المجاهدون على تعليم المثاغرين وتفقيههم وكان أبو إسحاق الفزاري مستقرًا بالمصيصة قد اتخذ من أهلها المرابطين مثله إخوانًا وتلامذة، يعلّمهم أحكام الدين، ويسهر على سلامة عقائدهم ضد المبتدعين والمنحرفين، وقد عرف له أهل المصيصة ذلك فوقّروه وأجلّوه ونزلوا عند قوله، وكان يقرأ عليهم كتابه السير فيغلقون حوانيتهم ويتركون أعمالهم ليستمعوا إليه ويتعلموا منه آداب الجهاد وأحكامه،[1] وقد نقل ابن عساكر ما يؤكّد هذا في ترجمة أبي إسحاق الفزاري إذ قال: "وهو الذي أدّب أهل الثغر، وعلمهم السنة وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه".[2]

وكان عبد الله بن المبارك يقول: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موت فيذهب علمه، وإما ينسى، وإما يصحب -أي السلطان- فيذهب علمه.[3] وكان نشر العلم مما بذل عمره فيه فكان الناس يجتمعون عليه بطرسوس ويجعلونه في وسطهم فيحدّثهم.[4] كما حدّث بالمصيصة بسبعة عشر ألف حديث.[5] وقد أنكر عليه صديقه أبو أسامة[6] فيما ذهب إليه من طرق التصنيف والتبويب، فمرّ عليه ذات يوم بطرسوس وهو يحدث، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه، ما هكذا أدركنا المشيخة، فأضرب ابن المبارك عن الحديث نحواً من عشرين يوما، فمرّ به أبو أسامة بعد ذلك وقد اجتمع عليه الناس

---

(١) السير لأبي إسحاق الفزاري، ص٤٩.

(٢) تاريخ دمشق، ٧/ ١٢٦.

(٣) حلية الأولياء، ٨/ ١٦٥؛ تاريخ دمشق، ٣٢/ ٤٤٣.

(٤) حلية الأولياء، ٨/ ١٦٥.

(٥) تاريخ دمشق، ٣٢/ ٤٤٠.

(٦) لم أظفر بترجمةٍ له.

يحدّثهم، فسلّم عليه وقال: يا أبا أسامة، شهوة الحديث.(1) أي أنه لم يستطع اعتزال العلم وأهله وهذا من حرصه رحمه الله.

وكان ابن المبارك يتعاهد تلاميذه بالنصح والإرشاد وتعليمهم الآداب العامة، فقد سأله رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن، في أي شيء أجعل فضل يومي؟ في تعلّم القرآن أم في طلب العلم؟ فقالك هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم. قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن.(2) وسأله رجلٌ عن حديثٍ وهو يمشي، فقال له: هذا ليس من توقير العلم.(3)

وبلغ من اجتهاد ابن المبارك في تعليم أهل الثغور أنه لم يكتفِ بتعليمهم في أوقات السلم بل كان يحدّثهم حتى في الغزو، وقد روى نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن ابن المبارك، فسأل نعيمٌ الوليد: أنّى سمعت من ابن المبارك؟ قال: في الغزو.(4)

ولّما كان علماؤنا المجاهدون والمرابطون من المحدثين والفقهاء نقل عنهم علمهم جملةٌ من أهل الثغور ورووا عنهم، كما ارتحل إليهم وإلى من تلاهم من شيوخ الثغور طلّاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلاميّ، وكثيرا ما نجد في كتب التراجم والرجال عبارة (نزل طرسوس) أو (نزيل المصيصة)، أو أن نجد للعالم أكثر من نسبة منها نسبةٌ إلى الثغور كأن يقال مثلًا (البغداديّ الطرسوسيّ)، وغيرها من العبارات التي تدلّ على حرص العلماء على المرابطة بالثغور وعلى ارتحال طلاب العلم إلى مدنها من بغداد أو دمشق أو القاهرة أو خراسان وغيرها من الأمصار. وقد ولّد هذا التبادل المعرفي قاعدة علمية متينة في منطقة الثغور التي أحوج ما تكون إلى العلم الأصيل، وأسهم بشكل واضح في انتظام أساليب العلم والجهاد مما ساعدها على الثبات أمام الهجمات البيزنطية قرنين من الزمان. ولاشك أن تتبع هؤلاء العلماء في كتب

---

(1) حلية الأولياء، ٨/ ١٦٥.

(2) حلية الأولياء، ٨/ ١٦٥.

(3) حلية الأولياء، ٨/ ١٦٦.

(4) حلية الأولياء، ٨/ ١٧١.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

التراجم والسير والرجال ليس بالأمر الهيّن لكثرتهم، وإنما أذكر مجموعةً منهم للدلالة على ما أصبحت عليه الثغور كمراكز علمية وجهادية من ناحية، وعلى طبيعة الجيل الذي تلى علماءنا المجاهدين وتأثّر بهم من ناحية أخرى.

وكانت طرسوس أعظم مدن الثغور الشامية التي ارتحل إليها ورابط بها علماء الأمة، ومن أشهر علمائها الإمام المحدّث الثقة أبو عبد الله موسى بن داوود الضبّيّ الكوفيّ الأصل، نزيل بغداد ثم قاضي طرسوس والمصيصة. وثّقه غير واحد واحتجّ به الإمام مسلم، وتوفي بطرسوس سنة ٢١٧هـ.[١] ومن قُضاتها أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٤٢هـ) الذي تولّى قضاءها ثماني عشرة سنة،[٢] وممن استقرّ بطرسوس الإمام الحافظ أبو أميّة محمد بن إبراهيم بن مسلم البغداديّ ثمّ الطرسوسيّ، نزيل طرسوس ومحدّثها وصاحب التصانيف الكثيرة، وتوفّي بها عام ٢٧٣هـ، [٣] وكان الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) إمام أهل السنة يخرج ماشياً إلى طرسوس، وشارك في الرباط والجهاد.[٤] ومشى إليها الحافظ الحجّة أبو حاتم الرازي الحنظلي الغطفاني (ت ٢٧٧هـ) في طلب الحديث.[٥] ووردها النسائي أحمد بن شعيب الخراساني صاحب السنن (ت ٣٠٣هـ) وعبد اللهّ بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)[٦] وكَيْلَجَة وهو أبو بكر محمد بن صالح البغدادي (ت٢٧١هـ).[٧]

ومن العلماء الذين أنجبتهم طرسوس محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسيّ التميميّ(ت٢٧٦هـ)، وقد روى ياقوت أنه من أهم حفاظ طرسوس، وأنه رحّال من أهل المعرفة، سمع بدمشق وحمص ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وميّافارقين، وتوفي ببلخ عام

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ١٣٧-١٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٥٠١.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٩٢-٩٤.

(٤) سير أعلام النبلاء، ١١/ ٢١١و ٣٠٨و٣١٢.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١/ ٣٦٠؛ سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٢٥٥.

(٦) سير أعلام النبلاء، ١٤/ ١٣٠.

(٧) سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٥٢٥ و١٤/ ١٣٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

٢٧٦هـ.[١] ومن أبنائها القاضي أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الكرجي العجليّ الطرسوسيّ، قاضي طرسوس وصاحب كتاب (سير الثغور) الذي نقل عنه ابن العديم كثيرًا في البغية، توفي بكفر طاب شمالي حلب عام ٤٠١هـ.[٢] ومن أبنائها أيضًا أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن عمر الطرسوسي، نزيل مصر، كان عالمًا بالقراءات وله فيها كتاب (المجتبى الجامع) توفي بمصر عام ٤٢٠هـ.[٣]

وقد أورد ابن العديم في البغية نقلًا عن أبي عمرو الطرسوسي صورةً متقدّمة لبعض رجال مدينة طرسوس من الغلمان المشهورين والشيوخ المسجدية وأئمة المسجد الجامع وخطبائه ورجال الصوفية والقراء، ما يعطينا صورة مجملة لفئات المجاهدين الذين زخرت بهم طرسوس. ومن أشهر هذه الفئات (الشيوخ المسجدية) وهم جماعة معروفة تعيش في المسجد الجامع متوجهون إلى القبلة يصلون نافلة نهارهم أجمع إلا في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، لا يشغلهم عن ذلك إلا النداء بالنفير، أو الغزو، أو تجديد وضوء، أو تشييع جنازة من يموت من الصالحين، أو عيادة مريض من المجاهدين.[٤] ومن هؤلاء أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الشهرزوري، أحد الرجال الصالحين المرابطين أمضى عشرين سنة من حياته ملازمًا للجانب الغربي من منبر المسجد في طرسوس لا يفارقه، يصلي ويقرأ القرآن ويلبي نداء النفير إلى الغزو إلى أن مات رحمه الله.[٥]

ومنهم زبرج الثملي الأسود، أحد غلمان ثمل الخادم الذي تولى طرسوس مدة طويلة، وقد ترك اللذة وزينة الدنيا أيام سيده وحفظ القرآن وتنّسك واشتغل بالعبادة كلّ وقته، لا

(١) معجم البلدان، ٤/ ٢٩.

(٢) تاريخ دمشق، ٣٨-٤١٨-٤٢٠.

(٣) الأعلام للزركلي، ٣/ ٢٧٤.

(٤) بغية الطلب، ٣/ ١٤٥٠؛ حياة الناس في مدن الثغور: مصطفى الحياري، ص٩٠.

(٥) بغية الطلب، ٣/ ١٤٥٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

يشغله عنها إلا الجهاد أو تشييع جنازة أو عيادة مريض.(١) ومع أنه كان يعيش في دويرة خارج المسجد الجامع إلا أنه عُدّ من الشيوخ المسجدية لكثرة مكوثه فيه. وبقي زبرج في طرسوس حتى استسلمت للروم عام ٣٥٤هـ فخرج عنها إلى القدس حيث عاش بقية حياته.(٢)

وأما الصالحون من القراء والزهاد وأهل العلم فيذكر القاضي الطرسوسي أنه لم يستطع إحصاءهم لكثرتهم. وذكر منهم شيخه أبو يعقوب إسحاق بن خلاد التَّيْلَمِيّ الذي أقرأه القرآن العظيم مع أكثر من ثلاثين شيخًا قرّاء أستاذين عُبّادًا يُشار إليهم بالفضل والنبل والورع والزهد، وأمضى أبو يعقوب خمسين سنة من حياته متعبدًا.(٣)

ومنهم أبو بكر بن الأصبهاني المقرئ، ويعرف بأبي بكر الإسكاف،(٤) أحد أئمة جامع طرسوس، وقد لقّن هو ومن يقرأ عليه في مجلسه القرآن العظيم في جامع طرسوس لمدة خمسين سنة أكثر من عشرة آلاف رجل لمواظبته على دراسة القرآن، وكانت حلقته أكثر الحلق عدد من يتلقن ويُلقن، وكان قد أوفده أهل طرسوس إلى بغداد هو وأبو علي بن الأصبهاني مستصرخًا حين ضايقها نقفور.(٥)

ويورد القاضي الطرسوسي عددًا من خطباء المسجد الجامع وأئمته الذين كان لهم دور هام في حثّ الناس على الجهاد والغزو، ومن أشهر هؤلاء الخطباء أبو القاسم بن الحمامي الذي كان خطيبًا فصيحًا حسن المقاصد، وأوتي حظًا من الحكمة والبيان ونصيبًا وافرًا من مناسبة الحديث لمقتضى الحال، وكان في بيانه أمهر ما يكون في مقام الدعوة ودفع الناس إلى المشاركة في القتال، ومما يُروى في هذا الشأن أن أحد الأمراء نادى للخروج بغزاة من طرسوس فحضر إلى المسجد الجامع للخروج منه على الرسم المعروف في كلّ غزاة، لكن هطول الأمطار الغزيرة في

---

(١) بغية الطلب، ٨/ ٣٧٤٤.

(٢) بغية الطلب، ٨/ ٣٧٤٤-٣٧٤٥.

(٣) بغية الطلب، ٣/ ١٤٦١.

(٤) يبدو أنه ليس بأبي بكر العين زربيّ المقرئ الذي سيأتي فيما بعد، ولم ينصُّ الطرسوسيّ على اسمه ليمكن التأكد.

(٥) بغية الطلب، ١٠/ ٤٣٥٩.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ذلك اليوم ثبّط عزائم فريق من الناس، ورأى أبو القاسم أن عدد الحضور أقلّ من المعهود في مثل هذه الغزوات، فقام وخطب خطبة بليغة ثم أومأ إلى الرعية وتلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾ وأومأ إلى السلطان الحاضر لعقد تلك الغزاة والخروج فيها، ثم قال: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يومي إليه مرة وإليهم أخرى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠]، فجددت خطبته نيّات الجاهدين، وتجهزت طائفة كثيرة منهم للغزو مسرعة من وقته، وتوقفت الأمطار حين انطلق الجيش من طرسوس وعاد الجاهدون من غزاتهم منتصرين بحمد الله.[١]

أما ثغر المصيصة فقد اشتهر من علمائه الإمام الحجة الحافظ أبو محمد حجاج بن محمد المصيصيّ(ت٢٠٦هـ)، ترمذيُّ الأصل، سكن بغداد ثمّ تحوّل إلى المصيصة بولده وعياله عام ١٩٠هـ ورابط بها ورحل الناس إليه. ثم ورد بغداد في حاجة فتوفّي بها عام ٢٠٦هـ.[٢] ومن المصيصة أيضًا الإمام الحافظ محدّث الثغر أبو عليّ حسين بن داوود المصيصيّ المحتسب، ولقبُه (سُنيدٌ المصيصيّ)، حدّث عن حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وعدد كثيرٌ من أئمة التابعين، توفّي عام ٢١٦هـ.[٣] ومنهم إبراهيم بن مهديّ المصيصيّ، بغداديٌّ صاحب حديث ورباط، وثّقه أبو حاتم وتوفّي عام ٢٢٥هـ.[٤] ومن علمائها أيضًا الإمام الثقة أبو الوليد أحمد بن جَنَاب بن المغيرة المصيصيّ ويقال أنه بغداديّ الأصل، توفي عام ٢٣٠هـ.[٥]

(١) بغية الطلب، ١٠/ ٤٥٩٠-٤٥٩١.

(٢) تهذيب الكمال، ٥/ ٤٥٢-٤٥٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٦٢٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٥٥٧.

(٥) تهذيب الكمال، ١٢/ ١٦١-١٦٥؛ سير أعلام النبلاء، ١١/ ٢٦.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

ومن علماء المصيصة أبو مروان عبد الملك بن حبيب البزّاز المصيصيّ، من متقدّمي أصحاب أبي إسحاق الفزاريّ وممن روى عنه كتابه السِّير، كما روى عن ابن المبارك وطبقته، وروى عنه جمعٌ من المحدثين منهم أبو داوود السجستانيّ صاحب السنن، توفّي قبل عام ٢٤٠هـ.(١) ومن علماء المصيصة الإمام الحافظ الحجة أبو يعقوب يوسف بن سعيد بن مُسَلَّم المصيصيّ، وثّقه أبو حاتم والنسائيّ، توفي عام ٢٧١هـ.(٢)

ولم يكن نصيب مدينة أذنة بأقل من أخواتها، إذ ارتحل إليها وخرج منها ثلةٌ من العلماء منهم المحدّث الثقة العابد المجاهد أبو بكر أحمد بن رب الطائي الموصليّ، سمع من سفيان بن عيينة وطبقته، وحدّث عنه النسائيّ وغيره، وكان ورعًا فاضلًا رابط بأذنة وبها توفي رحمه الله عام ٢٦٣هـ.(٣) ومن مشاهير أبنائها العلماء القاضي المحدّث أبو الحسن عليّ بن الحسين بن بُنْدَار الأذنيّ، سمع بدمشق وحلب وحرّان وأنطاكية ومصر، وقدم بغداد وحدّث بها، وتوفي عام ٣٨٥هـ.(٤) ومن علماء أذنة المحدّث المتقن أبو القاسم يحيى بن عبد الباقي بن يحيى الأذنيّ، كان ثقةً ضابطًا حدّث ببغداد، ووثّقه الخطيب البغداديّ، وتوفي بأذنة عام ٢٩٢هـ.(٥)

وقد اشتهر ثغر عين زربة بعدد غير قليل من العلماء منهم أبو بكر محمد بن يوسف بن هاشم المقرئ العين زربيّ، المعروف بالإسكاف، كان رجلًا صالحًا جامعًا للقرآن العظيم، توفي سنة ٤١١هـ.(٦) ومن علمائها المحدّث أبو الفرج محمد بن أحمد بن محمد العين زربيّ البزّار، يُعرف بابن الفاثوري، توفي سنة ٤٣٤هـ.(٧) ومن أبنائها الشعراء إسماعيل بن عليّ الدمشقي، أبو محمد الكاتب، الشاعر، المعروف بابن العينزربي، أصله من عين زربة وانتقل أبوه منها حين

(١) تهذيب الكمال، ١٨/ ٣٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٦٢٣.

(٣) تهذيب الكمال، ٢١/ ٣٦١؛ سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٢٤٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٤٦٥.

(٥) تاريخ بغداد، ١٦/ ٣٣٥-٣٣٦؛ تاريخ دمشق، ٦٤/ ٣٠٢-٣٠٥.

(٦) تاريخ دمشق، ٥٦/ ٣٤٢.

(٧) تاريخ دمشق، ٥١/ ١٣٤-١٣٥.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

استولى الروم عليها، وولد له إسماعيل بدمشق، وذكره العماد أبو عبد الله محمد بن محمد الأصبهاني في شعراء حلب،(١) وكان شاعراً مجيداً حسن النظم جيد الكتابة، توفي بدمشق سنة ٤٦٨هـ.(٢)

ويبدو جليًا من هذا العرض أن مدن الثغور الشامية أصبحت في الفترة اللاحقة لخلافة الرشيد مراكز علميّة متقدّمة، وكان للعلماء المجاهدين دورٌ كبير في هذه النهضة التي آتت أُكلها بارتحال كثير من العلماء إلى الثغور واستقرارهم فيها للعلم والجهاد والرباط، وأضحت مدن سهول قيليقية وخاصة طرسوس منارة من منارات الإسلام، حتى قيل: زينة الإسلام ثلاثة: التراويح بمكة فإنهم يطوفون سبعاً بين كل ترويحتين. ويوم الجمعة بجامع المنصور ببغداد لكثرة الناس والزحمة ونصب الأسواق. ويوم العيد بطرسوس لأنها ثغر وأهلها يتزيّنون ويخرجون بالأسلحة الكثيرة المليحة والخيل الحسان، ليصل الخبر إلى الكفار فلا يرغبون في قتالهم.(٣)

وقد ذكر أبو عمرو الطرسوسيّ بسنده أن الحجاج بن يوسف الثقفي استوصف ابن القِرِّيَّة(٤) البصرة والكوفة وواسط فوصفها، ثم استوصف منه الشام، فقال: الشام عروس بين نسوة جلوس.(٥) وعقّب أبو عمرو على هذه الرواية بقوله: وابن القرية نعت الشام وليس للمسلمين يومئذ طرسوس، فأما منذ ملكهم الله إياها، وجعل خطبة خلفاء دينه على منابرها، ونصبها قبة للجهاد وملجأ وعلماً لأولئك الأخيار البررة، فما اختلف اثنان سلكا عمائر

(١) **خريدة القصر وجريدة العصر**: محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد عماد الدين الكاتب الأصبهاني، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ج١٢، ص١٨٠-١٨١.

(٢) **بغية الطلب**، ٤/ ١٧١٨-١٧١٩؛ **الوافي بالوفيات**، ٩/ ١٠١.

(٣) **بغية الطلب**، ١/ ١٨٧.

(٤) هو أيوب بن زيد، والقِرِّيَّة من الطير: الحوصلة. ينظر: **الاشتقاق**: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٣٣٥.

(٥) **بغية الطلب**، ١/ ١٨٧.

الإسلام وجابا أفقها أن مدن الشام كالنسوة الجلوس وأن طرسوس تلمع بينها بمنزلة العروس.(١)

وهكذا ظلّت مدن الثغور الشامية مراكز جهادية وعلمية متقدّمة حتى تدهورت أحوال المسلمين السياسية في العصر العباسي الثاني، وتُركت الثغور معتمدة على قدراتها الذاتية للدفاع عن نفسها، وكانت الدولة البيزنطية بالمقابل تشهد صحوة في أواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان من أبرز رجالها الدمستق نقفور فوقاس(٢)-قبل أن يتولى العرش كامبراطور-، وكان الروم في حربهم مع المسلمين مدفوعين بدوافع دينية عبّروا عنها بكل وضوح وهدفوا إلى استعادة السيطرة على بيت المقدس، وسعوا للانتقام من المسلمين الذين دفعوهم إلى قلب أراضيهم لأكثر من ثلاثة قرون متواصلة.

ومع ازدياد ضغطهم أخذت مدن الثغور تسقط الواحدة تلو الأخرى، وحين سقطت طرسوس عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م ودخلها نقفور فوقاس صعد على منبرها وقال: يا معشر الروم أين أنا؟ فقالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا بل أنا على منبر بيت المقدس، وهذه البلدة التي كانت تمنعكم من بيت المقدس.(٣) وهذا يؤكّد على الروح الصليبية التي كانت تحرّك الروم وأن حربهم مع المسلمين وإن دُفعت بدوافع اقتصادية لا يمكن إنكارها؛ إلا أنها كانت ولن تزال حربًا دينية صرفة، وهو الأمر الذي عليه مدار نصر الله للمؤمنين، وعلى قدر عودتهم إلى هذا الدين الحنيف ينزل نصر الله عليهم. ورغم بقاء الثغور الشامية تحت سيطرة الروم قرابة قرنين

---

(١) **بغية الطلب**، ١/ ١٨٧.

(٢) لمع نجم نقفور في أواخر عصر الإمبراطور قسطنطين السابع (٩٤٥_٩٥٩م) وعصر رومانوس الثاني (٩٥٩_٩٦٣م) كقائدٍ عسكريٍّ مُحنّك أوكلت إليه قيادة الجبهة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ولما اعتلى عرش الإمبراطورية (٩٦٣_٩٦٩م) تولّى بنفسه قيادة الجيش البيزنطي في حروبه ضد المسلمين. ينظر: **تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا)**: يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمُري، جروس برس، طرابلس_ لبنان ١٩٩٠م، ص٥٠؛ **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران ص١٩٨؛ **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمد محمد مرسي الشيخ، ص ٢١٩؛ **مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي –الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م**-: عمر كمال توفيق، ط٢، دار المعارف، الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٢٢٧.

(٣) **بغية الطلب**، ١/ ١٩٧.

من الزمان إلا أنها عادت إلى تبعية البلاد الإسلامية على يد مليح بن ليون الأرمني عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م الذي خدم نور الدين زنكي.[١]

ولما كان الصراع الإسلاميّ البيزنطيّ صراعًا دينيًا فقد استنفر مطّوّعة الأمة من العلماء والعامة للمرابطة والجهاد في الثغور الشامية، وبالمقابل فإن متطوّعي الدولة البيزنطية تقاطروا على الثغور مع المسلمين وعُرفوا بالأكريتاي أي حراس الحدود. وقد أثّر هذا الصراع الطويل على الجانبين، وترجمت هذه التأثيرات بشكل واضح في أدب كلا الفريقين إذ أن الأدب تسجيل للمشاعر والمفاخر، وقد نعم المسلمون بانتصارات باهرة سجّلوها في قصائدهم ومقطوعاتهم التي استعرضنا بعضًا منها خلال الحديث عن سير العمليات العسكرية، وكان الشعراء من ضمن مرافقي الخليفة الرشيد الدائمين أثناء غزواته باعتبارهم السجّل الإعلاميّ للخلافة العباسية.

في حين أن المرابطين في الثغور كان لهم توجّههم في القصائد المعبّرة عن روح الجهاد وأخلاق المجاهدين، وعلى رأس هؤلاء الإمام عبد الله بن المبارك الذي صال وجال في بلاد الروم، وكما جاهد بسيفه جاهد بلسانه، "ويعتبر شعره نموذجًا رفيعًا ورائعًا من شعر الزهّاد الأوائل والمجاهدين الحكماء من السلف الصالح، فصاحبه قد قضى عمره في الجهاد والرباط والعلم والزهد، فجاء شعره مرآةً صادقةً لتلك النفس الإنسانية التي ارتقت في مدارج الكمال وعلت في مراتب الفضيلة".[٢] وكان يحضُّ الشباب على المرابطة في طرسوس للجهاد إذ يقول:

إنّي أُشيـرُ على العُزّاب إنْ قَبِلُوا ... بأنْ يـكون لهم مَثْوَىً بِطَرْسُوسِ
الدارُ واسعـةٌ بالأهلِ رافقـةٌ ... غَيْـظُ العَدُوِّ وأجرٌ غيرُ مَحْسُوسِ
قومٌ إذا نـابَهَمْ في الحربِ نـائبةٌ ... حَلُّوا الرِّبَاطَ فَلَمْ يُلْوُوا على كُوسِ[٣]

(١) **الكامل** لابن الأثير، ١٠/٤٦.
(٢) **كتاب الجهاد**، ص٢٥.
(٣) **ديوان ابن المبارك**، ص٨٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وكان يُنشد زهدياته أثناء رباطه ويستأنس بها، فقد روى أحد المجاهدين في الثغور الشامية واسمه (زرقان) أنه سمع ابن المبارك ينشدُ على سور طرسوس:

ومن البـــلاء وللبلاء علامة   أن لا يرى لك عن هواك نزوعُ

العبد عبد النـفس في شهواتها   والحرّ يشبـع تـــارة ويجوعُ[١]

وكان الخطر الإسلاميّ ماثلًا على الدوام في مخيلة كل بيزنطيّ، ولعل ما سجّله الأدب البيزنطيّ يعكس لنا صورة جليّة لهذه الحالة، إذ تعتبر الملاحم[٢] الشعبية البيزنطية وما يسمى بالأغنيات الشعبية الأكريتية-نسبة لأكريتاس- تصويرًا رائعًا ودقيقًا للحروب التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين. ومن أشهر هذه الملاحم ملحمة ديجينيس أكريتاسDigenis Akritas (بطل حرب الثغور البيزنطيين)،[٣] وهي ملحمة شعبية تمثل شجاعة الفرسان وبطولة الجند وحياة المحاربين الآسيويين المدافعين عن بيزنطة. وتصوّر هذه الملحمة -وهي من ملاحم أعمال الأبطال- كثيرًا من الوقائع والحوادث التي جرت على الحدود الإسلامية البيزنطية التي اشترك فيها بطل هذه الملحمة. وأخيرًا لقي ديجينيس حتفه في إحدى معارك البيزنطيين مع المسلمين في آسيا الصغرى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م.[٤]

وتعتبر سيرة الأميرة (ذات الهمّة) أضخم ما وصل إلينا من أدب شعبي على الإطلاق إذ تقع في سبعة أجزاء، وتقدّم السيرة من خلال سردها لقصص بطولة الفرسان سمات المجتمع العربي الإسلامي في صراعه مع البيزنطيين، وتُبرز السيرة مشكلة قبيلة بني كلاب التي

---

(١) **بغية الطلب**، ٨/ ٣٧٩٥.

(٢) **الملحمة**: هي قصة شعرية بطولية قومية تتغنّى الشعوب فيها بماضيها وأبطالها ومُثُلها، وتتغلغل العقائد الدينية والروحية في ثناياها، ومحور البطولة فيها أشخاص وطنيون حقيقيون أو أسطوريون، وتختلط في حوادثها الحقائق التاريخية بالأساطير. ينظر: **الأدب المقارن**: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م، ص١٤٤-١٤٥؛ **الأدب وفنونه**: محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٤٢.

(٣) للمزيد حول تفاصيل حوادث هذه الملحمة ينظر: **الحدود الإسلامية البيزنطية**، ٣/ ٢٧٠-٢٧٦؛ **سيرة الأميرة ذات الهمّة-دراسة مقارنة**-: نبيلة إبراهيم، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص١٤٠ وما بعدها.

(٤) **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين ربيع، ص١٢٧.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

اصطلت بنيران الحرب فنزحت إلى منطقة الثغور واتخذت مدينة ملطية موطنًا لها. وذات الهمّة هي فاطمة بنت مظلوم الكلابية التي انتقلت مع ابنها عبد الوهاب على رأس جيش بني كلاب المتطوّع إلى الثغور مع بداية وصول بني العباس إلى سدّة الحكم.[1]



(1) للمزيد حول حوادث السيرة، ينظر: **سيرة الأميرة ذات الهمّة**: نبيلة إبراهيم، ص٣٤-١٣٨؛ **الحدود الإسلامية البيزنطية**: فتحي عثمان، ٣/ ٢٨٧.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

ـ المبحث الرابع: دور المرأة الجهاديّ في الثغور الشامية.

أظهرت لنا الصفحات السابقة من هذه الدراسة ما كان يجري في مناطق الثغور الشامية في حالات السِّلم والحرب، والدّور الذي نهض به العلماء والخلفاء والقادة والجنود والمطّوعة في تطبيقات هذه الحالات. إلا أن مصادرنا الإسلامية كانت–وللأسف الشديد– شحيحة جدًا في استعراضها لدور المرأة في منطقة الثغور، مع أن أغلب المجاهدين كانوا يستقرّون بعائلاتهم في هذه المناطق، فقد ذكر أبو عمرو الطرسوسي(ت٤٠١هـ) في وصفه لتخطيط مدينة طرسوس أن جزءً من دورها كان مخصصًا للمجاهدين وعائلاتهم،[1] وكان العطاء المرسوم للمجاهدين أصحاب العوائل مختلفًا عن العزّاب، إذ خصص لهم الخليفة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد(ت٢١٨هـ) جزءً من أعشار غلات طرسوس التي كانت توزّعُ على أهل الشرف من أبناء المهاجرين والأنصار والشيوخ المسجدية والأدلاء المؤلفة قلوبهم من الروم والأرمن وأولادهم.[2] وهذا يعني أن وعيًا مشتركًا بقيمة الجهاد ساق العائلة المسلمة إلى مواطن الثغور المتاخمة للبيزنطيين، وعلِمت المرأة بهذا الوعي أنها والرجل أمام إحدى الحسنيين؛ فإن كان النصرُ فبها ونعمت، وإن كانت الشهادة حملت على عاتقها أمانة الأسرة والأبناء بإيمان وفخر. ولاشك أن المرأة وإن قلّت مشاركتها في ميادين القتال المباشر، فإنها قادت حِراكًا اجتماعيًا واعيًا بأهداف الجهاد في سبيل الله لدعم الحراك العسكريّ الذي تصدّى له الرجال، ولم يكن المجاهدون ليذهبوا مطمئنّين إلى ساحات المعارك باذلين أنفسهم لله تعالى ما لم تؤازرهم أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وبناتهم في هذا الطريق.

والحقُّ أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان على علم بما ستؤول إليه الأحوال في الثغور وما ستكون عليه من مواجهة دائمة مع الروم،[3] فقد قال صل الله عليه وسلم: " أهل الشام

---

(1) **بغية الطلب**، ١/ ١٨١.

(2) السابق.

(3) **دور المرأة في الثغور والعواصم (١٣٢–٣٥٤هـ)**: سناء عبد الله عزيز الطائيّ، مجلة دراسات إقليمية، السنة ٥، ع١٤، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل ٢٠٠٩م، ص١٩٢.

وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتلَّ منها مدينةً من المدائن فهو في رباطٍ، ومن احتلَّ منها ثغرًا من الثغورِ فهو في جهاد".[1] مما يدلّ على أن القوة التي تتطلبها حركة الجهاد في هذه المنطقة ليست فرديةً ينبري له الرجال فقط، وإنما هي كأي أمر من أمور الحياة جهدٌ تكامليٌ يؤدي كل فرد دوره المنوط به.

وإذا نظرنا إلى ما سجّلته المصادر من شواهد تاريخية على دور المرأة الجهادي فإنها -على ندرتها- تؤكّد العُمق الذي مثّلته المرأة لحركة الجهاد في منطقة الثغور منذ القرن الأول إلى يومنا هذا، وإن كان بعض الشواهد بعيدًا عن الإطار الزماني والمكانيّ لهذه الدراسة؛ إلا أنه يقترب من إيضاح الدور الذي أحجمت المصادر كثيرًا عن تسجيله.

ففي سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، تعرضت مدينة ملطية من الثغور الجزرية لهجوم بيزنطيّ في العصر الأموي، حيث بلغ عدد المهاجمين حوالي عشرين ألف مقاتل روميّ، فلما نزلوا على ملطية أغلقت المدينة أبوابها للدفاع عن نفسها، وظهرت النساء من على السور وعليهنّ العمائم وقاتلن الأعداء إلى جانب الرجال، في الوقت الذي خرج فيه رسول لأهل ملطية مستغيثًا بالخليفة هشام بن عبد الملك، وبالفعل تمكن أهل ملطية رجالًا ونساءً من الدفاع عن مدينتهم ودحر الروم قبل وصول الخليفة إليهم.[2] ويظهر من هذه الحادثة أن نساء الثغور كُنّ في حالات الاضطرار يحملن السلاح ويقاتلن، أي أنهنّ كُنّ مُهيّئات من ناحية التدريب والإعداد على هكذا حالات، وربما نستطيع أن نعتبر ذلك نموذجًا نقيس عليه ما سكتت المصادر عن تسجيله من دور مباشر للمرأة في عمليات الجهاد.

---

(١) **تاريخ دمشق**، ١/ ٢٨٢؛ **بغية الطلب**، ١/ ٤٦؛ ضعّف الألباني هذا الحديث في تخريجه، إلا أن قوة دلالته هاهنا تؤخذ بعين الاعتبار. ينظر: **تخريج أحاديث كتاب فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن عليّ بن محمد الربعيّ**: محمد ناصر الدين الألبانيّ، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٢.

(٢) **فتوح البلدان**، ص١٨٦؛ **دور المرأة في الثغور والعواصم**، ص١٩٣.

وقد كان الجهاد في سبيل الله حاضرًا في أذهان أمهات الخلفاء العباسيين وزوجاتهم، وترجمن ذلك بالمساهمات الاجتماعية التي حرصن عليها لتجهيز المقاتلين في سبيل الله، إذ قامت السيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد ببناء دار ضيافة في مدينة بغراس[1]، ولم يكن بها دار ضيافة غيرها، وكانت مهمة هذه الدار استقبال المسافرين من المجاهدين وطلاب العلم، إذ تقع بغراس على طريق الثغور الشامية مما يلي طرسوس.[2]

أما (قبيحة) أم الخليفة المعتزّ بالله بن المتوكّل (٢٥٢-٢٥٥هـ) فقد أنشأت في مدينة طرسوس في شارع باب الصفصاف ما يمكن أن نسميه مؤسسة وقفية متكاملة، تتكوّن دارها من حُجَرٍ مُعدّةٍ لسكنى مائة وخمسين غلامًا، في كلّ حُجرة بيتان ومرتفق. وعُيّن لهذه الدار رئيسٌ يمتثل هؤلاء الغلمان له، فيركبون بركوبه ويسيرون بسيره، ينشر على رأسه أعلامٌ مكتوب عليه (المعتزّ بالله)، ويحملون معهم هذه الأعلام في غزواتهم إلى بلاد الروم.[3]

ولهذه الدار خزانة للسلاح يتمّ استعراضها في أيام الأعياد عند ورود الرسل من الروم لإظهار قوّة الثغر وأهله، وتحتوي هذه الخزانة على الدروع الحصينة التي تستر الفارس والفرس، والعُمُد المذهّبة، والجواشن والخوذ المنيعة، ومن الأسلحة أنواع متعددة مختصّ بكل نوع منها غلمان محددون. وقد نُصِّبَ لهذه الدار أيضًا مؤدّبٌ من موالي المعتزّ بالله أو من وجوه رجال طرسوس مختصٌّ بتدبير أمور الموالي، ويتمّ اختيار هذا المؤدّب من الفرسان المقدّمين،

(١) **بغراس**: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. ينظر: **معجم البلدان**، ١/ ٤٦٧.

(٢) **بغية الطلب**، ١/ ١٥١؛ **دور المرأة في الثغور والعواصم**، ص١٩٤.

(٣) **بغية الطلب**، ١/ ١٨٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

وكان من أهمهم أبو حفص عمر بن سليمان الشرابي[1] وكان من موالي المعتزّ وشرابيًا لابنه عبد الله،[2] وهو ممدوح أبي الطيب المتنبيّ في القصيدة التي أولها:

نَرَى عِظَماً بالبَيْنِ والصّدُّ أعظَمُ   ونَتّهِمُ الواشِينَ والدّمْعُ مِنْهُمُ[3]

وأنشأت السيدة أم الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) مؤسسة وقفية كُبرى بطرسوس عند نهاية شارع النجّارين، "وليس بطرسوس ولا بالثغر كله دار أكبر منها"،[4] ومما ميّز هذه المؤسسة وجود اختصاصيين من أهل سوق السلاح مهمتهم تدبير الشؤون العسكرية، وترميم الأسلحة، وجلاء الدروع والسيوف في كل سنة مرة أو مرتين.[5] كما ضمّت هذه الدار عددًا كبيرًا من المجاهدين الذي كانوا على أهبة الاستعداد في كل وقت، إذ كان يركب منهم إلى الجهاد في سبيل الله مائة وخمسون غلاماً ومن انضمّ إليهم بكامل عدتهم، ويرأسهم رجل منهم على رأسه أعلام تعرف بهم، متى احتيج إليهم في الغزو لساقة أو ميمنة أو ميسرة أو في تجريد لحادثة سدوا أكبر مسد. ولضخامة مهمات هذه المؤسسة كان يُنفق عليها كامل دخلها الذي يبلغ في السنة الواحدة مائة ألف دينار، وربما اقترضوا إن تعذر وجه مالهم، وردوه عند حصوله.[6]

ومن هذه الشواهد يتضح لنا أن المرأة أدّت دورها المهم إلى جانب الرجل واستكملا معًا تحقيق ما يتطلبه الجهاد من وعي الأسرة المسلمة، وكان حضور المرأة في النواحي

---

(١) **الشرابي**: لقبٌ يُطلق على الشخص الموكّل بصناعة الأشربة والأدوية، ويُسمّى أيضًا (الشربدار). ينظر: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧هـ، ج٥، ص٤٤٠؛ **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية**: أنور محمود زناتي، ص٢٣١.

(٢) **بغية الطلب**، ١/ ١٨٣-١٨٤.

(٣) **ديوان أبي الطيّب المتنبي بشرح أبي البقاء العُكبري**، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٢٥٥هـ/١٩٢٦م، ج٤، ص٨١.

(٤) **بغية الطلب**، ١/١٨٢.

(٥) **السابق**.

(٦) **السابق**، ١/١٨٢-١٨٣.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

الاجتماعية أرسخ منه في النواحي العسكرية بطبيعة الحال. وإن كانت المصادر اعتنت بتسجيل مواقف أمهات الخلفاء وزوجاتهم باعتبارهنّ الشخصيات النسائية الأبرز على الساحة الاجتماعية؛ إلا أنها أغفلت دور المرأة في المجتمع الثغري العريض باعتبارها أمًا للمجاهدين وأختًا وزوجة وبنتًا، وهُنّ من تقع عليهنّ مسؤولية تنشئة الجيل المجاهد وتربيته وترسيخ عقيدة الجهاد في شخصيته، وتعاهد فهمه لمعاني الاستخلاف في الأرض، حتى يذهب إلى ساحات القتال بروحٍ متطلّعةٍ إلى الحياة الحقيقية.

ولعل شواهد تاريخنا الإسلاميّ الممتدة منذ فزِع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما نزل عليه الوحي إلى يومنا هذا تنبؤنا أنّ قلب المرأة –كما يقول أحمد أمين– هو مستودع الذخائر لأمتنا الإسلامية، وأن وراء كل جيش في الأمة جيشًا غير منظور من قلوب نسائه، ووراء كل جيش صاحب جيش المرأة الصامت، ووراء البنود والأعلام والجنود والذخائر ذخيرة أسمى هي قلب المرأة.(١)

(١) **فيض الخاطر**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، ج٢، ص٩٠-٩٤.

الخاتمة.

الحمد لله الذي أنعم بالتمام كما أنعم بالابتداء، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فلا شكّ أن الاشتغال بفحص حوادث التاريخ والاقتراب من وجهها الصحيح؛ معبرٌ لفهْم الواقع واستشراف المستقبل واستجلاءِ سُنن الله تعالى الثابتة. وقد رصد هذا البحث رباط العلماء وجهادهم في الثغور الشامية زمن الخليفة العبّاسيّ هارون الرشيد رحمه الله، سعيًا لتأمّل جزءٍ من التجربة التاريخية العميقة التي كوّنت الإنسان المسلم، ومثّلت في العصر موضع البحث علامةً فارقةً في تاريخ الإنسانية، وخرج بجُملةٍ من النتائج أهمها ما يلي:

١/ تنطلق علاقة المسلمين بالروم من منطلق دينيّ أصيل، وليس بأمر اعتباطيّ نزول سورة في القرآن الكريم باسم (سورة الروم)، وهذا يعني أن النصر والهزيمة يقتربان من الأمة الإسلامية بقدر تمسكها بعقيدتها.

٢/ ترتكز عِزّةُ الأمة الإسلامية على اتحاد القوة الدينية الممثلة في العلماء، والسياسية الممثلة بالخلفاء ومن في حكمهم والموكلة بحماية الدين وسياسة الدنيا به. ويزداد ثبات الثانية بقدر إجلالها للأولى.

٣/ كانت علاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية عدائيةً في مجملها إلا ما تخللها من فترات الهدنة وتبادل الأسرى، وكان التفوق السياسيّ الإسلاميّ والعسكريّ مهيمنًا وحاسمًا في عهد الرشيد مما اضطر الروم إلى دفع الجزية له طوال مدة خلافته إلا قليلا.

٤/ بتتبع سير غزوات الرشيد ضد الروم يمكن أن نلاحظ استراتيجية متطلّعة إلى فتح القسطنطينية، وإن لم يكن إزالة الدولة البيزنطية هدفًا معلنًا للخلافة العباسية التي سعت إلى إحلال السِّلم العالمي.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

٥/ انفردت هذه الدراسة بتحليل معركة القُفْل -فيما أعلم-، وتأتي أهميتها من خلال تقديمها معلومات مميزة تعطي صورةً حيّة لما كانت عليه حروب الثغور في عصر الرشيد، كما تدلُّ على الثقل الذي مثّله العلماء في سير المعارك وسبرهم لأغوار التفكير القتاليّ للبيزنطيين. وتشير في ذات الوقت إلى تكامل دور الخليفة والقادة والعلماء في حركة الجهاد ضد الروم.

٦/ وضعت هذه الدراسة معركة القُفل من ناحية تاريخ حدوثها بين عامي ١٨٠ و١٨١هـ، من خلال مقارنتها باستراتيجية الرشيد في معاركه مع الروم، وموائمة ردود الفعل البيزنطية مع الفترة التي انفرد فيها قسطنطين السادس Constantine VI بالحكم من ١٧٤هـ وحتى ١٨١هـ.

٧/ تشير معركة القُفل إلى أهمية النصوص المنقولة في المصادر عن طريق كُتبٍ فُقدت بتقادم الزمن، وهو ما يجعلنا يقظين إلى نُقصان المعرفة التاريخية التي انتهت إلينا، ومجتهدين في البحث الدائم عن ما يُكملها.

٨/ سبق العلماءُ المجاهدون في التأصيل للفكر الجهاديّ، ويعتبر كتاب السِّير لأبي إسحاق الفزاريّ وكتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك أوّل المؤلفات التي صُنّفت في مجاليهما في الفكر الإسلامي.

٩/ تمثّل الرسالة التي كتبها أبو الربيع محمد بن الليث وبعث بها الخليفة هارون الرشيد إلى الامبراطور البيزنطيّ قسطنطين السادس Constantine VI ذروة ما وصل إليه الفكر الإسلاميّ العلميّ في الجدل الدينيّ، وسبقًا علميًا في مجال البحث العلمي، باعتبارها أول نص محفوظٍ وصل إلينا في الرد على عقائد النصارى وتفنيدها، وسوق الحجج في إثبات البشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم المقدسة والتي أنكروها وطمسوها.

١٠/ نهضت المرأة بدور أساسيّ في الجهاد بالثغور الشامية، وإن كانت شواهده شحيحة في المصادر الإسلامية ومنعدمة داخل الإطار الزمنيّ للدراسة؛ إلا أن ما ورد منها يمكن القياس عليه للإشارة إلى عُمق دور المرأة وأهمّيته وخصوصًا في النواحي الاجتماعية.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

١١/ اشتملت هذه الدراسة على تفصيلٍ بحثيٍّ حول أحد عشر عالمًا مجاهدًا، فيما ضمّت أخبارًا متفرّقة عن غيرهم من العلماء المجاهدين؛ وذلك لأن أغلب التراجم والأخبار في كتب التاريخ والتراجم والسير والطبقات سلطت الضوء من ناحية جهاد العلماء على شخصية عبد الله بن المبارك بالدرجة الأولى ثم أبي إسحاق الفزاري، فيما لم تستفض في تراجم بقية العلماء المجاهدين؛ وهذا مردّه لشهرة ابن المبارك التي طبقت الآفاق، ولهذا تكرر ورود هذين العلمين في أكثر من موضع في الرسالة.

١٢/ الأخبار المتعلقة بجهاد العلماء والمبثوثة في المصادر اهتمّت بالحادثة التاريخية أكثر من تحديد سنة الحادثة، فتُذكر أغلب الأخبار في سياق تراجم أصحابها دون تحديد سنة المعركة أو قائدها ليتسنى مقارنتها بالحوادث المسجّلة تواريخها، وقد حاولت الدراسة وضع ما أمكن منها في سياقها التقريبي.

١٣/ كل العلماء المجاهدين في الثغور الشامية يمكن اعتبارهم من العلماء المهاجرين إليها، أي أنهم لم يكونوا من أهل الثغر أصالة بل نزلوه ورابطوا فيه، وهذا طبيعيّ بالنظر إلى وضع الثغور المتذبذب الذي لم يكن يسمح بإقامة دائمة فيه، في حين أن الثغور لما استقرّ أمرها في خلافة الرشيد كان علماؤنا المجاهدون ممن أسهم في تثبيت وضعها العسكري والعلمي.

١٤/ هناك مجموعة من العلماء ذكرت كتب التراجم والسير أنهم كانوا في الغزو أو رابطوا في الثغور، وعند البحث والتقصي في المصادر لا نجد لهم وقائع ومشاركات مسجّلة في غزو الثغور، وهذا لا يعني خطأ الأخبار القائلة بغزوهم وإنما يعود إلى أمرين اثنين: أولهما: إلى فقدان الكثير من المصادر ذات الصلة وعلى رأسها كتاب سير الثغور للطرسوسيّ، ومعظم أجزاء بغية الطلب لابن العديم. وثانيهما: طبيعة المدونات التاريخية في هذه الفترة والتي ركّزت في تسجيلها لأحداث الصوائف والشواتي على الخلفاء والقادة ونتائج المعارك أكثر من تفصيلات المشاركين فيها. وأدرجت الدراسة أسماء بعض هؤلاء العلماء بالاستناد إلى مصاحبتهم لمن ثبتت مرابطته بالثغر.

والحمد لله رب العالمين.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه الله ــ



الملاحق

ملحق رقم (١)

نصّ معركة القُفْل.

"ذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى الهاشمي في كتاب النسب، وقرأه في كتابه قال: حدثني محمد بن حماد المصيصيّ- مولى المهدي- قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان بن زياد المصيصيّ عن أبيه قال: خرجنا مع أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزاة من المصيصة، فلما صرنا في غمار عسكره كان يبلغه أخلاطنا بالجند ومنازعتنا إياهم في المنازل، فعزل عسكرنا من عسكره، وعَرَضنَا؛ فبلغ أهل المصيصة ومن ضوى إليهم ألفين وثمانمائة ونيفاً على السبعين، وبلغ أهل أذنة ثمانمائة ونيفاً على الثمانين، وبلغ أهل طرسوس ألف وستمائة ونيفاً وأربعين، فَعَزَلَنا من عسكره، ونزلنا طوانة، وأقمنا بها ثلاثة أيام حتى صار إليه عيونه، فأخبروه خبر الطاغية وأنه لا جمع له، فسرنا حتى انتهينا إلى أدرولية، فأقمنا بمرج أدرولية أربع ليال والرشيد لا يستشير أحداً من أهل الثغور، وفتحنا ثلاثة وعشرين حصناً من حصون العدو، وذلك أن الطاغية وجه إلى البطارقة الذين في ناحية الضواحي فجمعهم ورجالهم، حتى عسكروا على خليج القسطنطينية، والناس يتحدثون أن الطاغية يريد لقاء هارون.

وعزم أمير المؤمنين على لقاء الطاغية حيث كان، فتوجه من أدرولية حتى دخل القُفل، والقفل شعب مسيرته أربعة أميال، ثم يفضي إلى مَرْجٍ رَحْبٍ فسيح، يليه خليج قسطنطينية، فنزل على نهر عظيم كثير الماء، والعدو نزول على ذلك النهر، فكتب الطاغية إلى بطارقته، أن انزلوا القفل، ولتكن الرجالة منتظمة حتى تملأ القفل، والعدو يحول بين المسلمين وبين أن ينالوا شيئاً من العلوفة، وقد ضيق على المسلمين غاية التضييق وليس لهم ملجأ ولا مسلك. فلما اشتد بالمسلمين ما هم فيه من الجهد، كتب أمير المؤمنين كتاباً إلى الطاغية يطلب المهادنة، وبذل له كلَّ أسيرٍ وأسيرةٍ، وأنه يبني ما هدم من الحصون التي خربها في مسيره، فأبى عليه، واشتدت شوكة العدو، وطمعوا كل مَطْمَع، وضَعُفَت خيول المسلمين، ونَخِبَت قلوبهم، فلما

رأى الرشيد ذلك، فزع إلى الأشياخ من أهل الثغور، فجمع إبراهيم بن محمد الفزاريّ، ومخلد بن الحسين، ولم يكن في أيامهما لهما نظير في الديانة والفضل والعلم، فقال له إبراهيم بن محمد: يا أمير المؤمنين خلَّفت الرأي خلف القُفل، ولكل مقام مقال، ومخلد يصير إلى أمير المؤمنين. وتفرق القوم على ذلك، فلما كان في الليل صار أمير المؤمنين إلى مخلد بن الحسين معظماً له، وكان مخلد من عقلاء الرجال، فقال: يا أمير المؤمنين، أصير إليك في ليلتنا إن شاء الله، ومضى مخلد إلى إبراهيم بن محمد الفزاري فأرسلا إلى سالم البرنسي، من أشجع أهل زمانه من السند، فخَليَا به، واستعلما ما عنده من الرأي، فأعلمهم أنه لا يجتمع معهما عند أمير المؤمنين، وأنه يحتاج إلى ما كان في خزائن أمير المؤمنين من كسوة وطيب وطعام ومال، وأنه يحتاج أن يظهر العصيان والمحاربة هو وأهل الثغور لأمير المؤمنين ولأصحابه، فما كان عند أمير المؤمنين من عدة، وأنه يحمل أصحابه على صدق المحاربة، فمضى مخلد بن الحسين إلى أمير المؤمنين بذلك، فأجابه إلى ما سأل، ودفع إليه ما أراد.

وباكر سالم القتال، واعتزل أهل الثغور عن قرب أمير المؤمنين، وتلاحم القوم بينهم الحرب، وغُرِّقت دواب، وخُرِّقت مضارب، وزحف سالم البرنسي بمن معه من أهل الثغور حتى نزل بالقرب من معسكر الروم، وبعث يطلب منهم الأمان، ويُطْمِعُهم في أمير المؤمنين ومن معه، وفي كل ذلك تجيء الرُّسُل إلى سالم يسألونه الرجوع إلى أمير المؤمنين، وتُحمل إليه الجوائز والخلع، فكل ذلك يردها، وبطارقة الطاغية ورؤساؤهم ينظرون إلى ذلك. وكَتَبَ إلى البطارقة كتاباً وألطفهم، ووجه إليهم بمال وكساء وطيب، ودعاهم إلى طعامه في مضربه، فأجابه العدو، ووجهت البطارقة بكتابه إلى الطاغية، فكتب إليهم أن يقبلوا من سالم ولا يعرضوا له إلا بسبيل خير ولا لأحد ممن تبعه، فإنهم أهل الثغور ورجال الحرب، صُبْرٌ عند اللقاء وشوكتهم الشوكة الصعبة، فآنسوه وآنسهم، وحلف لهم وحلفوا له، وقال: إن في أصحابي من لا أثق به لحداثة سنه وقلة حنكته، وفي أصحابكم كذلك، فقالوا: نعم، فقال: تكون طائفة مكان كذا، وطائفة مكان كذا، فرتب سالم أصحابه في الدَّرب كله، وصار في يديه

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

وأيدي المسلمين، وتميل طائفة على ساقة سالم، فقُتِل من المسلمين ثلاثة نفر، وأخذ العدو من ثقلة سالم بعضها، ويميل سالم بمن معه من أهل الثغور على العدو فقُتِل من العدو نيف على سبعين ألف رجل، وأسر من العدو زُهَاء ثلاثين ألف، وغنم المسلمون من الدواب والبغال والدروع والسيوف ما لا يحصى، ونادت رجال من النصرانية بسالم: يا سالم ارحم النصرانية، ابق منهم بقية. فجمع الغنائم وأجازها الجبل، وضرب القباب لأمير المؤمنين رحمة الله عليه، ونضَّد جيف القتلى على الطريق يمنة ويسرة، واستنقذ ما كان من عطاياه للبطارقة، ووجه إلى أمير المؤمنين فأقبل، وحلف سالم لا يركب ولا يفارق ركاب أمير المؤمنين حتى يجيزه الدرب، فلما نزل المسلمون منزلهم أمر أمير المؤمنين بضرب أعناق الأسارى، فلم يستبق منهم أحداً، ولم يمر أمير المؤمنين بحصن إلا فتحه الله عليه حتى قدم المأمن".[1]



(1) **بغية الطلب** لابن العديم، ج٩، ص٤١٧٧-٤١٧٩.

رِباطُ العلماء وجِهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ملحق رقم (٣)

جزء من رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي بعث بها هارون الرشيد إلى قسطنطين السادس ملك الروم. [١]

"وسيذكُرُ لكَ أميرُ المؤمنين من علامات النّبيّ ﷺ في التوراة والإنجيل ما يُكْتَفى به إن شاء الله وباليسير منه، لأن كتب الله عزّ وجلّ محفوظة، وحُجَجُهُ محروسة، لا يُزاد فيها ولا يُنقص منها، وإذا وجدت فيها كلمة تدلُّكَ على حقّ وتهديكَ إلى رشد، فلستَ واجدًا أخرى تصدُّكَ عنه وتشككك فيه، إذا تُلي ذلك بالحقّ ووضع على الصدق، ولكن ضلّت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام وتصريف تفسير الكتب، وأميرُ المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق.

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبيّنه في الإنجيل لكم، إذ قال للحواريين: "أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحقّ الذي لا يتكلّم من قِبَل نفسه إنما يقول كما يقال له، وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة وكلّ شيء أعدّه الله لكم يخبركم به". [٢]

وترجمة البارقليط، أحمد: هذا مالا شك ولا مرية فيه، وهو الذي يخبر بها وعد الله المؤمنين وصالحي الحواريين في القرآن ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل .

---

(١) نصّ هذا الملحق مقتبسٌ من: **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة:٢٠٠٦م، ص٥١-٥٥. فيما اقتُبست حواشيه من: **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٦.

(٢) ورد في إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٤ آية ٢٦) من الكتاب المقدس: (وأما المعزى: الروح المقدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم"، وفيه أيضا (الإصحاح ٥ آية ٢٦) : " ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الإبتداء"، وفيه _ (الإصحاح ١٦ آية ١٣)، (وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية).

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

ومن ذلك قول أشْعَيَا النبي عليه السلام: "قيل لي أقم بطارا ما ترى بخبري؟"(١) قال أرى راكبين بعيرين مُقْبِلَيْن أحدهما يقول لصاحبه: سَقَطَت بَابِل وأصنامها المنحوتة". ولسنا نعلم نبينا رَكِب بعد موسى ﷺ بعيرًا إلا محمدا ﷺ كثيرا.

ومن ذلك قول داود عليه السلام: "اللهم ابعث جاعل السُّنَّة كي يعلم الناس أنهم بَشَر"(٢)، يقول كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان، ولسنا نعلم نبيًّا وضع سُنَّةً تنسب إليه إلا محمدًا ﷺ، أما عيسى فإنه نَصَب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حَبَقُّوق المتنبئ في زمان دانيال: "جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران، وامتلأت من تحميد أحمد وتقديسه، ومَسَح الأرض بيمينه ، ومَلَك رقاب الأمم"(٣).

وقال أيضا: "تضيء لنوره الأرض، وتُحْمَلُ خيله في البحر"(٤)، فإلى من ينحو هذا القول، وإلى أين يُذهب بهذا المعنى؟ لئن ذُهِبَ به إلى غير الذي تُحمل خيلُه في البحر، وبدأ من جبال فاران أمرُه، وغَلَبَ على الأرض ومَسَحَها، ومَلَكَ رقاب الأمم كلها: لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور: "صدِّقوا وسبِّحوا الرب تسبيحاً حديثاً، سبحوا الذي هلَّله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه ويتوب صهيون من أجل أن الله أصفى له أمته، وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات عالية، بأيديهم سيوف ذات شفْرَتين، لينتقم الله من الأمم الذين لا يعبدونه، ثم يقيد

---

(١) كذا بالأصل هو تحريف، ورد في نبوءة أشعيا (الإصحاح ٢١ آية ٩٦) من الكتاب المقدس : "لأنه هكذا قال لي السيد، اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى، فرأى ركابا، أزواج فرسان، ركاب حمير، ركاب جمال، فأصغى إصغاء شديدا، ثم صرخ كأسد: أيها السيد: أنا قائم على المرصد دائما في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان، فأجاب وقال: سقت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض ...".

(٢) ورد في سفر المزامير (مزمور ٩ آية ٢٠) من الكتاب المقدس: "يا رب اجعل عليهم رعبا، ليعل الأمم أنهم بشر".

(٣) ورد في نبوءة حَبَقُّوق (الإصحاح ٣ آية ٣) من الكتاب المقدس: "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران"، وجاء في معجم ياقوت: "فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة، ذكرها في التوراة، قيل: هي اسم لجبال مكة ..."، وفي آية ٦: "وقف وقاس الأرض، نظر فرجفت الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القدم، مسالك الأزل له".

(٤) وجاء في آية ١٥ من نبوءة حبقوق، "سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة".

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال"، فأَيَّتُما أمة يُكَبِّرون الله بأصوات وأذان الصلوات الدائمة وعلى كل شَرَف[1] وعند كل حرب، وأيتما أمة كانت سيوفها ذات شفرتين إلا أمة محمد ﷺ.

ومن ذلك قول أشْعَيا: "سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً، ويسبحه من آفاق الأرض فوج يكون في بني قيدار"[2]، وبنو قيدار قريش أهل فاران الذي نزل فيه القرآن، وأيتما أمة تسبح من آفاق الأرض إلا أمة محمد ﷺ عندي أكدى.

ومن ذلك قول أشعيا: "عبدي الذي وجب به حبي الذي بَشَّرْتُ به نَفسي أفيض عليه روحي، يوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسْمَعُ صوته في الأسواق، ويفتح العيون العُور، ويُسْمِعُ الآذان الصُّمَ، ويُحْيِي القلوب الغُلْف، وما أعطيه لا أعطي غيره، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً، تهليله يأتي من أقصى الأرض، يجوز الماء بشدة أمواجه، ويفرح[3] وكورها، سكانها يحمدون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية"[4].

ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين،[5] يقول الله عز وجل لمحمد في الزبور: "انصبَّت رحمتي على شفتيك، من أجل ذلك باركتك الدهر، تقلد السيف على الأمم أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسباء، بهاك وحمدك أحمد، يغلب البر منك كلمة الحق، وذلت لك الأشقياء، سيفك يحسمه يمينك، ونبالك مسمومة ويسقط عند الأمم" .فأي نبي كان على الأمم جباراً ولهم بإذن الله قتالاً إلا نبينا ﷺ.

---

(1) الشَّرف: المكان العالي.

(3) هكذا في الأصل .

(4) ورد في نبوءة أشعيا (الإصحاح ٤٢ آية ١ _ ٤) من الكتاب المقدس: "هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضم الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته".

(5) في الأصل: (في خمسة وأربعين مزمورا).

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

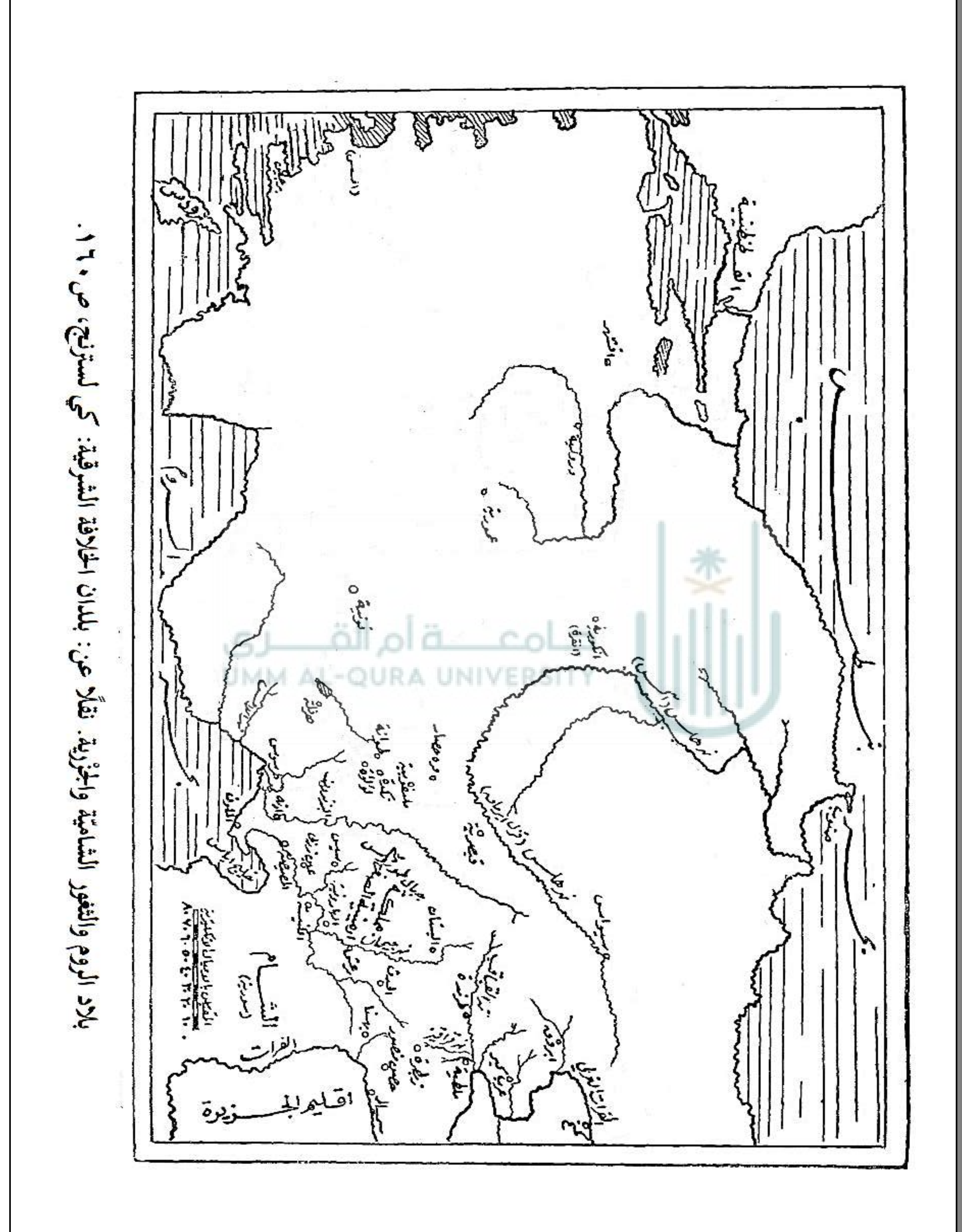
ومن ذلك آخر التوراة : "جاء الله تبارك وتعالى من سيناء، وأشرف من ساعير واستبان من جبال فاران، وجاء عن يمينه ربوات القديسين"(1)، وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، في جبل ساعير وهو جبل بالشام، وأنزل القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران وهي بلاد مكة، وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكرراً وتعرفونه جميعاً بلغتكم.

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: "سأقيم لهم من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فهمه ولا يتكلم إلا بما آمره به"(2)، فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل؟ أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحداً منهم لقال لهم: أقيم لكم نبياً منكم فإن قلتم إنما قال إخوتكم، وهو يريد من أنفسكم، فهب أمير المؤمنين قَبِل هذا الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة: (مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم)، فهل تجدون من هذا مخرجاً ومن الإيمان أن المعنى وقع على محمد ﷺ بُدًّا ".

(1) ورد في سفر التثنية (الإصحاح ٣٣ آية ١) من الكتاب المقدس: "جاء الرب من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم".

(2) ورد في سفر التثنية (الإصحاح ١٨ آية ١٥) من الكتاب المقدس: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون".

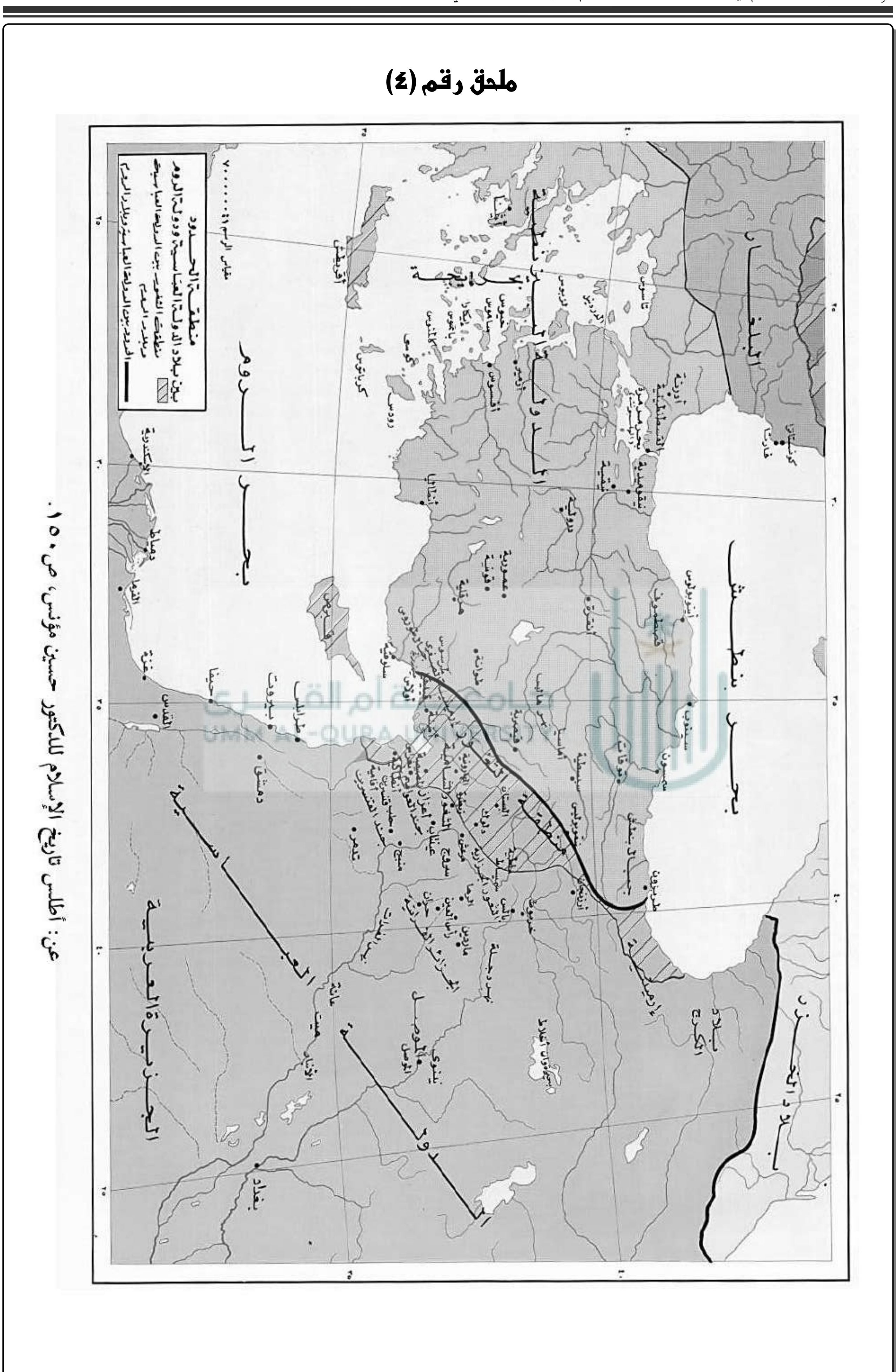
ملحق رقم (٣)



بلاد الروم والثغور الشامية والجزرية. نقلاً عن: بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترنج ص ١٦٠.

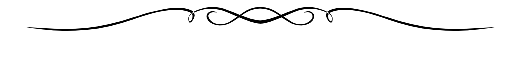
رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ــرحمه اللهــ

ملحق رقم (٤)



عن: أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس، ص ١٥٠.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ





قائمة المصادر والمراجع.



رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

ـ أولًا: المصادر:

- **القرآن الكريم.**

١. **أحكام الجهاد وفضائله**: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: نزيه حمّاد، ط١، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢. **الأخبار الطوال**: أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة ١٩٦٠م،

٣. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي (ت٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيّام، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤. **أدب الإملاء والاستملاء**: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الهلال، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥. **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليليّ القزويني (ت ٤٤٦هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض.

٦. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بـابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧. **الاشتقاق**: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٨. **الأعلاق الخطيرة** في ذكر أمراء الشام والجزيرة: محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبّارة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا-دمشق ١٩٩١م

٩. **الأعلاق النفيسة**: أحمد بن عمر بن رُسْتة، ليدن ١٨٩١م.

١٠. **إعلام الموقّعين عن رب العالمين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان و أحمد عبد الله أحمد، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ.

١١. **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م.

١٢. **الأغاني**: علي بن الحسين بن محمد الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني(ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، ط، دار صادر، بيروت ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

١٣. **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤. **الأنساب**: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢ه)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٥. **أهم رسالة في علم مقارنة الأديان_ رسالة أبي الربيع محمد بن الليث من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم_**، تقديم: خالد محمد عبده، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة:٢٠٠٦م.

١٦. **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير**: أحمد محمد شاكر، عني به: بديع السيد اللحام، ط٣، دار الفيحاء، دمشق ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

١٧. **البحر المحيط في التفسير**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨. **البداية والنهاية**: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٧م.

١٩. **البعث والنشور**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ١ط، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٠. **بغية الطلب في تاريخ حلب**: عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت.

٢١. **بقايا كتاب سير الثغور من خلال مخطوطة بغية الطلب لابن العديم**: عثمان بن عبد الله الطرسوسي الكرجي (ت٤٠١هـ)، تقديم ودراسة: شاكر مصطفى، ط١، دار طلاس للدراسات، دمشق ١٩٩٨م.

٢٢. **بهجة الـمَجالِس وأنس الـمُجالِس**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

٢٤. **تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٥. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.

٢٦. **تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا)**: يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمُري، جروس برس، طرابلس ـ لبنان ١٩٩٠م.

٢٧. **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٢٨. **تاريخ الرسل والملوك**: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٩. **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٣٠. **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٣١. **تاريخ خليفة بن خياط** (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢. **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٣. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

٣٤. **تثبيت دلائل النبوة**: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني(ت٤١٥هـ)، دار المصطفى، شبرا-القاهرة ٢٠٠٦م.

٣٥. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**: أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦. **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٧. **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ت ٨١٦هـ)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣٨. **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩. **تقويم البلدان**: أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ)، طبعة درسدن ١٨٤٦م.

٤٠. **تلبيس إبليس**: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: السيد الجميلي، ١ط، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤١. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، ١٣٨٧هـ.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

٤٢. **التنبيه والإشراف**: أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار القناوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٤٣. **تهذيب التهذيب**: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٥٢٨هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٤. **تهذيب الكمال**: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٥. **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرحب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١.

٤٦. **الثقات**: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٧. **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م.

٤٨. **الجامع الصحيح**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)، اعتنى به: محمد زهير ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت ١٤٢٢هـ.

٤٩. **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، علّق عليه: محمد ناصر الدين الألبانيّ، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض١٤١٧هـ.

٥٠. **الجرح والتعديل**: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

٥١. **الجماهر في معرفة الجواهر**: محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت٤٤٠هـ)، طبعة حيدر أباد، الهند ١٣٥٥هـ.

٥٢. **جمهرة أنساب العرب**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة.

٥٣. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانة، كراتشي١٣٣٢هـ.

٥٤. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار السعادة، مصر ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥٥. **الخراج وصناعة الكتابة**: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، ط١، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م.

٥٦. **الخراج**: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٧. **خريدة القصر وجريدة العصر**: محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد عماد الدين الكاتب الأصبهاني، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

٥٨. **الدُّرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب**: محمد بن الشحنة (ت ٨٩٠هـ)، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، سوريا ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٩. **ديوان أبي الطيّب المتنبي بشرح أبي البقاء العُكبري**، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٢٥٥هـ/ ١٩٢٦م.

٦٠. **ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك**، جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، ط٤، الرياض ١٤٣٢هـ.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

٦١. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**: عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاتة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٢. **الرسالة القشيرية**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٦٣. **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي المعروف بالكتاني (ت١٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط٦، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٤. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٦٥. **الروض المعطار في خبر الأقطار**: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت ١٩٨٠م.

٦٦. **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٧. **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨. **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد الذَهَبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٦٩. **السِّيَر**: إبراهيم بن محمد بن الحارث أبي إسحاق الفزاري (ت١٨٨هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه الله ـ

٧٠. **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧١. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٢. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٧٣. **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**: محمد بن أحمد بن علي تقي الدين المكي الحسني الفاسيّ(ت٨٣٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٤. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧هـ.

٧٥. **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٧٦. **صفة الصفوة**: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٣، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧٧. **صورة الأرض**: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت: بعد ٣٦٧هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م.

٧٨. **صيد الخاطر**: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، ط١، دار القلم، دمشق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٩. **الطبقات الكبرى**: عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٠. **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزُّهري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

٨١. **العقد الفريد**: أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٨٢. **العلل ومعرفة الرجال**: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط٢، دار الخاني، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٣. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٨٤. **غاية النهاية في طبقات القراء**: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: ج. برجستراسر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م.

٨٥. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٨٦. **فتوح البلدان**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨م.

٨٧. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (٤٢٩هـ)، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م.

٨٨. **الفقيه والمتفقه:** أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، دار ابن الجوزي، السعودية ١٤٢١هـ.

٨٩. **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:** عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، دار البشائر، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٩٠. **الفهرست:** محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩١. **القاموس المحيط:** محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسيّ، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩٢. **الكامل في التاريخ:** علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزَري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٣. **كتاب الأموال:** القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، أبو عُبيد (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.

٩٤. **كتاب الجهاد:** عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة .

٩٥. **كتاب العين:** الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٩٦. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٧. **الكشف والبيان**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٩٨. **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت.

٩٩. **الـمُحَبَّر**: محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٠٠. **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**: لحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط٣، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ.

١٠١. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٦٤هـ)، راجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٢. **المسالك والممالك**: إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م.

١٠٣. **المسالك والممالك**: عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت ٢٨٠هـ)، دار صادر، بيروت ١٨٨٩م.

١٠٤. **المسالك والممالك**: عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٥. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٦. **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع:** محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت٣٥٤هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٠٧. **معالم التنزيل في تفسير القرآن:** الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٠٨. **معجم البلدان:** ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٩. **المعين في طبقات المحدثين:** محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: همام عبد الحميد سعيد، ط١، دار الفرقان، عمّان ١٤٠٤هـ.

١١٠. **المغازي:** موسى بن عقبة بن أبي عياش (ت ١٤١هـ)، تحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، المغرب ١٩٧٩م.

١١١. **المغني:** عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب، الرياض ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١١٢. **مقاتل الطالبيين:** علي بن الحسين بن محمد الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني(ت٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.

١١٣. **المقدّمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدوّن من الأحكام الشرعيات:** محمد بن أحمد بن رشد القرطبيّ (ت٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجّي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.

١١٤. **مقدمة في أصول التفسير:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

١١٥. **الملل والنحل**: محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط٣، دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١١٦. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١١٧. **الموطأ**: مالك بن أنس بن عامر الأصبحي(ت ١٧٩هـ)، خرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١١٨. **ميزان الاعتدال ففي نقد الرجال**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للباعة والنشر، بيروت.

١١٩. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، تحقيق: محمد البرهامي منصور وآخرون، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

١٢٠. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢١. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري(ت٦٠٦هـ)، خرّج أحاديثه: صلاح محمد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٢. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفيست: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان.

١٢٣. **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٤. **الوزراء والكتاب**: محمد بن عبدوس الجهشياري (ت٣٣١هـ)، تحقيق: مصفى السقا وآخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٢٥. **وفيات الأعيان**: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٧١م.

ـ ثانياً: المراجع العربية والمعرّبة:

١٢٦. **الأدب المقارن**: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م.

١٢٧. **الأدب وفنونه**: محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٠م.

١٢٨. **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين**: محمد حسين محاسنة، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين- الإمارات ٢٠٠٠م-٢٠٠١م.

١٢٩. **الإمام عبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ) المحدّث الناقد**: محمد سعيد بن محمد بخاري، مكتبة الرشد، الرياض.

١٣٠. **بلدان الخلافة الشرقية**: كي لسترنج، نقله إلى العربية وعلّق عليه: بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٣١. **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**: حسن إبراهيم حسن، ط١٥، دار الجيل-بيروت ومكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣٢. **تاريخ الدولة الأموية ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م**: محمد سهيل طقّوش، ط٧، دار النفائس، بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

١٣٣. **تاريخ الدولة العباسية**: محمد سهيل طقوش، ط٧، دار النفائس، بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٣٤. **تاريخ الشعوب الإسلامية**: كارل بروكلمان، تعريب: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م.

١٣٥. **تاريخ النظم الإسلامية-دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى**: فاروق عمر فوزي، ط١، دار الشروق، عمّان-الأردن ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

١٣٦. **تخريج أحاديث كتاب فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن عليّ بن محمد الربعيّ**: محمد ناصر الدين الألبانيّ، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣٧. **التكوين التاريخي للأمة العربية- دراسة في الهوية والوعي-**: عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٣٨. **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى**: علية عبد السميع الجنزوري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.

١٣٩. **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٤٠. **الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ**: محمد عبد الحفيظ المناصير، ط١، دار مجدلاوي للنشر، عمّان-الأردن ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٤١. **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**: محمد فتحي عثمان، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٤٢. **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**: حسنين محمد ربيع، دار النهضة العربية، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

١٤٣. **دراسات في حضارة الإسلام**: هاملتون جب، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت١٩٧٩م.

١٤٤. **الدولة الأموية المفترى عليها-دراسة الشبهات ورد المفتريات-**: حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م.

١٤٥. **الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م**: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢م.

١٤٦. **دولة بين العباس**: شاكر مصطفى، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣م.

١٤٧. **ديوان الجند-نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون-**: عبد العزيز عبد الله السلومي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤٨. **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**: أسد رستم، ط١، دار المكشوف، بيروت١٩٥٥م.

١٤٩. **السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدول العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس**: سليمان الرحيلي، مكتبة التوبة، الرياض١٤١٤هـ.

١٥٠. **سيرة الأميرة ذات الهمّة-دراسة مقارنة-**: نبيلة إبراهيم، دار الكاتب العربي، القاهرة.

١٥١. **السيرة النبوية الصحيحة**: أكرم ضياء العمري، ط٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٥٢. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**: مهدي رزق الله أحمد، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٥٣. **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٧م.

١٥٤. **العالم الإسلامي في العصر الأموي**: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ط٣، دار الاتحاد التعاوني للطباعة، القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥٥. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**: حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، ط٥، دار الفكر العربيّ، القاهرة.

١٥٦. **عبد الله بن المبارك الإمام القدوة**: محمد عثمان جمال، ط٤، دار القلم، دمشق ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥٧. **العرب والروم**: فازيلييف، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي.

١٥٨. **العسكرية العربية الإسلامية-عقيدة وتاريخًا وقادة وتراثًا ولغةً وسلاحًا-**: محمود شيت خطاب، كتاب الأمة (سلسلة دينية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر)، صفر ١٤٠٣هـ.

١٥٩. **العصر العباسي الأول -دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**: عبد العزيز الدوري، ط٣، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٧م.

١٦٠. **العصر العباسي الأول**: السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٩٣م.

١٦١. **علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول**: أحمد إسماعيل الجبوري، ط١، دار الفكر، عمّان ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٦٢. **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**: عز الدين فراج، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦٣. **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**: عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٦م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

١٦٤. **فيض الخاطر**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

١٦٥. **القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)**: أرشيبالد.ر. لويس، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

١٦٦. **محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية**: يوسف العش، طبعة جامعة دمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٦٧. **المدينة الإسلامية**: محمد عبد الستار عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، أغسطس١٩٨٨م.

١٦٨. **المسلمون والروم في عصر النبوة**: عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٦٩. **معالم بغداد الإدارية والعمرانية-دراسة تخطيطية-**: صالح أحمد العلي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م.

١٧٠. **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**: محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ٢٠٠٠م.

١٧١. **المعتزلة وأصولهم الخمس وموقف أهل السنة منها**: عواد عبد الله المعتق، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٧٢. **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية**: أنور محمود زناتي، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، عمّان ٢٠١١م.

١٧٣. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: جواد علي، ط٢، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـرحمه اللهـ

١٧٤. **مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي –الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م-**: عمر كمال توفيق، ط٢، دار المعارف، الاسكندرية ١٩٦٧م.

١٧٥. **منهج المسعوديّ في كتابة التاريخ**: سليمان بن عبد الله المديد السّويكت، ١ط، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٦. **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**: يحيى وزيري، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٩م.

١٧٧. **هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا**: شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط٤، دمشق ١٩٩٩م.

١٧٨. **هارون الرشيد وعصره**: أندري كلو، تعريب وتعليق: محمد الرّزقي، سراس للنشر، تونس ١٩٩٧م.

١٧٩. **يوميات آسيا الوسطى**: محمد بن ناصر العبودي، ط١، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

_ ثالثًا: الرسائل العلمية والأبحاث المنشورة:

١٨٠. **إبراهيم بن أدهم ونشوء الاتجاه الصوفي**: أديب نايف ذياب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٥، ع٢، الأردن ١٩٩٨م.

١٨١. **إبراهيم بن أدهم**: مصباح غلونجي، مجلة التراث العربي، مج٣، ع١١-١٢، سوريا ١٩٨٣م.

١٨٢. **أضواء جديدة على السفارة الثانية لملك السكسون أوتو الأول إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس**: علي بن محمد عودة الغامدي، نشر ضمن حصاد الندوة ١٧

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م وعنوانها: (تاريخ الوطن العربي عبر العصور _ الوفود والسفارات).

١٨٣. **الإمام عبد الله بن المبارك وجهوده في الدعوة إلى الله**: محمد محمد أحمد، (رسالة ماجستير، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان)، السودان ٢٠٠٧م.

١٨٤. **الأهمية الموضعية لمدينه مرو منذ الفتح الإسلامي حتى مجيء تيمورلنك-دراسة في الجغرافية التاريخية الاقتصادية**: عبد الرحمن علي عبد الرحمن، مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية، ع٢، العراق ٢٠٠٩.

١٨٥. **التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة**: سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، مجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع٤٠، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٨٦. **ثغر طرسوس بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي ١٧٠-٣٥٤هـ/ ٧٨٦-٩٦٥م**: أمينة البيطار، مجلة الفيصل، ع٢٤٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦-١٩٩٧م.

١٨٧. **الثغور ودورها العسكري والحضاري**: توفيق سلطان اليوزبكي، مجلة آداب الرافدين، ع١١، العراق ١٩٧٩م.

١٨٨. **الجند الأموي و الجيش العباسي دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي و العباسي**: فاروق عمر فوزي، مجلة المورد، مج٨، ع٤، العراق ١٩٧٩م.

١٨٩. **جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها خلال العصر العباسي الأول**: محمد بن سليمان الراجحي، مجلة الدرعية، السنة الرابعة، ع١٣، محرم ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م.

رباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

١٩٠. **الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية**: عبد الرحمن محمد العبد الغني، حوليات كلية الآداب، الحولية١١، الرسالة٧١، مجلس النشر العلمي_ جامعة الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٩١. **الحركة الأدبية في مجالس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)**: محمود سعود الحليبي،(رسالة دكتوراه، قسم الأدب، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، الرياض ١٤٢٤-١٤٢٥هـ.

١٩٢. **حياة الناس في مدن الثغور-مدينة طرسوس-**: مصطفى علي الحياري، مجلة دراسات تاريخية، ع٤، سوريا ١٩٨١م.

١٩٣. **دراسات تاريخية حربية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول**: هاشم إسماعيل الجاسم، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة)، القاهرة ١٩٧٧م.

١٩٤. **دور المرأة في الثغور والعواصم (١٣٢-٣٥٤هـ)**: سناء عبد الله عزيز الطائيّ، مجلة دراسات إقليمية، السنة ٥، ع١٤، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل ٢٠٠٩م.

١٩٥. **رسائل العالم الإسلامي السفارية إلى العالم البيزنطي في العصر العباسي الأول - رسالة هارون الرشيد إلى قسطنطين أنموذجا**: زهير بوحولي، بحث منشور ضمن ندوة (التراث العربي والحوار الثقافي)،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس، تونس ٢٠٠٧م.

١٩٦. **الرقة العاصمة الثانية للخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣ه/ ٧٨٦-٨٠٩م**: طه خضر عبيد، مجلة التربية والعلم، مج١٧، ع٣، الموصل ٢٠١٠م.

١٩٧. **السفارات والوفود بين الدولتين العباسية والبيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م**: محمد قائد حسن الوجيه، بحث منشور ضمن

ندوة (تاريخ الوطن العربي عبر العصور-الوفود والسفارات)، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٩٨. **سياسة نور الدين محمود العسكرية إزاء الأرمن في قيليقية**: علي محمد عودة الغامدي، ضمن بحوث اللقاءين العلميين الأول والثاني اللذين عقدا في شوال ١٤٠٩هـ وشوال ١٤١٠هـ، الجمعية التاريخية السعودية.

١٩٩. **طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور**: جميل عبد الله محمد المصري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع٧٧و٧٨، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٠٠. **عطاء الموالي في عصر الراشدين وبني أمية-محاولة تقويم جديد**: نجمان ياسين، مجلة التراث العربي، مج ٢١، ع٨١-٨٢، سوريا ٢٠٠١م.

٢٠١. **العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول**: موفق سالم الجوادي وعبد المنعم رشاد، مجلة المورد، ع٢، مج٣٢، العراق ٢٠٠٥م.

٢٠٢. **العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ)**: محمد بن ناصر الملحم، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى، المجلد الثاني عشر، العدد العشرون، صفر سنة ١٤٢١هـ.

٢٠٣. **مدينة مرو في المصادر الجغرافية العربية**: طارق فتحي سلطان والست وفاء أحمد مصطفى، مجلة التربية والعلم، مج١٦، ع٣، العراق ٢٠٠٩م.

٢٠٤. **مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في العراق إبان الدولة الأموية٤١-١٣٢ه/ ٦٦١-٧٥٠م**: سمية عبد الماجد بشير، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية)، السودان٢٠١٠م.

٢٠٥. **معركة ميريوكيفالوم ٥٧٢هـ/١١٧٦م من المعارك الاسم في التاريخ الإسلامي**: علي محمد علي عود الغامدي، مجلة جامعة أم القرى، ع١، ١٤٠٩هـ.

رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

٢٠٦. **الموالي و المناصب الإدارية في الدولة الأموية**: زريف مرزوق المعايطة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ع٤٩، العراق ٢٠٠٠م.

٢٠٧. **موسوعة المدن العربية والإسلامية**: يحيى شامي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣م.

٢٠٨. **موقف بعض علماء المسلمين حول مشروع إجلاء أهل قبرص و محاربتهم في عهد هارون الرشيد١٧٠-١٩٣ه/ ٧٨٦- ٨٠٩ م-دراسة تاريخية تحليلية-**: عبد الهادي العجمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج٢٧، ع١٠٧، الكويت٢٠٠٩م.

٢٠٩. **النشاط الأدبي للموالي في العصر الأموي**: محمود المقداد، (رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة دمشق)، دمشق ١٩٨٢م.

٢١٠. **نظرة القبائل العربية للموالي في العصر الأموي**: أمجد ممدوح الفاعوري، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ع٥٥، ٢٠١١م.

٢١١. **النظم العسكرية -نشأة الجيش النظامي في الإسلام وتطوره حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي**: فاروق عمر فوزي، (وقائع ندوة النظم الإسلامية-مكتب التربية العربي لدول الخليج- مج٢)، أبوظبي ١٩٨٤م.

٢١٢. **واقع البحرية العباسية في ثغور شرق البحر المتوسط ١٣٢-٢٤٧هـ/ ٧٤٩-٨٦١م**: طه خضر عبيد، مجلة التربية والعلم، مج١٨، ع٣، الموصل ٢٠١١م.



رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد _رحمه الله_

فهرس الموضوعات.



رِباطُ العلماء وجهادُهم في الثّغور الشَّامية ضدّ الروم زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ